جامعة جنوب الوادي
كلية التربية بقنـــــا
شعبة التعليم الأساسي
الفرقة اللثانية دراسات اجتماعية
العام الجامعي ٢٠٢٢- ٢٠٢٣ م

تاريخ

مصر اليونانية والرومانية

إعداد

د. محمد محمود محمد

الجزء الاول

تاريخ مصر في العصر اليوناني

الفصل الأول:

العلاقات التاريخية بين بلاد اليونان ومصر

العلاقات التاريخية بين بلاد اليونان ومصر

لم تكن العلاقات بين مصر وبلاد اليونان وليدة لحظة دخول الاسكندر الاكبر لمصر سنة ٣٣٢ق.م، اذ ان العلاقات بينهما تعود الى فترات سابقة بكثير عن هذا التاريخ. فقد مرت العلاقات بين مصر وبلاد اليونان قبل الغزو المقدوني لمصر بالعديد من المراحل التاريخية، يمكننا أن نجمل هذه المراحل في المراحل الآتية:

المرحلة الاولى: تعود بداية العلاقات بين مصر وبلاد اليونان الى بداية عصر الأسرات، أي إلى أكثر من ٢٥٠٠ سنة قبل مجيء الإسكندر الأكبر إلى مصر.

المرحلة الثانية: منتصف الالف الثاني ق.م: حوالى منتصف الالف الثاني ق.م شهد ازدهار حضاري بين البلدين، حيث ازدادت قوة مصر في عصر الدولة الحديثة، وشهدت اليونان ظهور الحضارة المينوية ثم الحضارة الموكينية وازدهارها. وشهدت هذه الفترة تبادل تجاري بينهما تمثل في تصدير القمح من جانب مصر في مقابل حصولها على الفضة من بلاد اليونان. وتشير الشواهد الاثرية بشكلٍ واضح الي مجيء وفد من الكفتيو(اهل كريت) الى الملك تحوتمس الثالث، قدموا اليه هدايا قيمة من الاواني الفخارية الكريتية وسبائك البرونز، فضلا عن ذلك فقد وجدت الاثار في اماكن مختلفة من بلاد اليونان، كما تم العثور على اثار يونانية في مصر ترجع الى هذه الفترة.

المرحلة الثالثة: نهاية الالف الثاني ق.م. عند نهاية الالف الثاني ق.م انقطعت الصلات التجارية بشكل مؤقت بين البلدين، بسبب الاضطرابات التي اجتاحت المنطقة، ففي هذا الوقت تعرضت بلاد اليونان للغزو الدوري الذي اجتاحها وادي الى دخولها في عصر الظلام بعد قضاء الغزاة على الحضارة الموكينية، بينما دخلت

مصر بنهاية الدولة الحديثة والقضاء عليها في مرحلة ضعف وخضعت للعديد من الغزاة سواء الليبيين او الفرس،

المرحلة الرابعة: خلال القرن السابع ق.م عادت العلاقات بين البلدين، وازدهرت العلاقات التجارية، واصبحت مصر تصدر القمح لبلاد اليونان، وتستورد الفضة، نظرًا لغني بلاد اليونان بمناجم الفضة، التي افتقرت اليها مصر، وكانت في حاجة ماسة الي العملة، لسك عملة خاصة بها، ودفع رواتب الجند المرتزقة من مختلف الجنسيات. واسس التجار اليونانيون في مصر مدينة "نقراطيس"، كمحطة تجارية يونانية، اصبحت مركزًا تجاريا هاماً لاقامة التجار اليونانيين. وقام الملوك الاسرة السادسة والعشرين بالاستعانة باليونانيين كجنود مرتزقة في جيوشهم لمواجهة خطر الغزاة الليبيين والنوبيين والفرس، خاصة ان الجنود اليونانيين كانوا ذوي كفاءة ومهارة فائقة في القتال، لتمرسهم على فنون القتال المختلفة، وقد اقام الجنود المرتزقة الاغريق عند "دفنة" بالقرب من مدينة دمياط الحالية.

المرحلة الخامسة: القرن السادس ق.م بعد ان سيطر الفرس على مصر خلال القرن السادس ق.م، فان العلاقة بين مصر واليونان شهدت تحولاً خطيراً، فلم تعد هذه العلاقات قاصرة على العلاقات الاقتصادية فقط، بل تعدتها الى النواحي العسكرية، لان الفرس كانوا يشكلون تهديداً كبيراً لمصر واليونان، وعدوًأ مشتركًا لهما، لذا تم تأسيس تحالف عسكري بينهما لدحر العدو الفارسي المشترك. وفي سنة ٤٨٦ق.م عندما نشبت ثورة في مصر، مد الاثينيين يد العون للمصريين بارسال اسطول الى مصر، وردت مصر عليها في سنة ٤٤٥ ق.م بارسال اسطول من القمح الى اثينا، واحداث الحروب البيلوبونزية كانت تشير بشكل واضح الى تأثير القمح المصري على هذه الحرب، فقد كان كل طرف من اطراف الحرب سواء اسبرطة او اثينا يتهافتون على امدادات القمح المصري اليهم، ويمني النفس كل منهما بمنع وصوله

الى الطرف الاخر من اجل وضع نهاية لهذه الحرب. واذا كانت هذه العلاقات قد بأت كعلاقات تجارية وتطورت الى علاقات عسكرية، فأنها امتدت الى العلاقات الدينية، ففي هذا الوقت كان هناك معبدًا للربة المصرية إيزيس في بلاد اليونان، وقد يكون هذا الامر هو الاساس الذي اوحي الى بطلميوس الاول بفكرة انشاء عبادة واحدة لليونانيين والمصريين، لما لا وقد عبد اليونانيين ايزيس منذ امد بعيد قبل دخول المقدونيين مصر. وبالاضافة الى ذلك كان ورق البردي من اهم الصادرات المصريرة الى بلاد اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد.

معركة خايرونيا ٣٣٨ق.م

بعد ان وصلت بلاد اليونان إلى درجة كبيرة من التدهور السياسي والعسكري، استطاع فيليب الثاني السيطرة عليها، وذلك بعد انتصاره في معركة "خايرونيا" على قوات اثينا وطيبة في سنة ٣٣٨ق.م، وبهذا دانت له بلاد اليونان بالسمع والطاعة، ثم بعد ذلك اخذ يستعد لتكوين جيش قوي لشن حملة عسكرية انتقامية على الإمبراطورية الفارسية.

الفصل الثاني:

الاسكندر الأكبر

- السيرة الذاتية للإسكندر الأكبر
- حملته على الشرق
- دخول الاسكندر الأكبر مصر

السيرة الذاتية للاسكندر الأكبر

ولد الاسكندر الثالث في صيف سنة ٣٥٦ق.م، والده "فيليب الثاني "ملك مقدونيا، وامه أولمبياس، قضى طفولته في القصر الملكي، عندما بلغ الثالثة عشر، دعى فيليب الفيلسوف اليوناني ارسطو لزيارة مقدونيا لكي يتولى تعليم الاسكندر، علم الاخلاق، والسياسة، والجغرافيا، والميتافيزيقا، والفلسفة، والطب، وفن الحكم، وغزو الشعوب.

وتدرج الاسكندر الاكبر في القيادة وشؤون الحكم، ففي السادسة عشرة تولى حكم مقدونيا أثناء غياب والده واستطاع قمع ثورة في تراقيا. وفي الثامنة عشرة تولى قيادة الجناح الايسر لجيش فيليب في معركة خايرونيا ٣٣٨ق.م، وفي التاسعة عشر نفي إلى المنفي لسوء العلاقات بين والدية. و في سن العشرين ٣٣٦ق.م قتل فيليب وتولى حكم مملكة مقدونيا.

الطابع الاستكشافي العلمي لحملات الاسكندر

وصف أحد المؤرخين حملات الاسكندر "ان حملات الاسكندر الاكبر اخذت طابع حملات الاستكشاف العلمي، فقد كان انتصاره على الملك الفارسي دارا الثالث في موقعة جاوجميلا يمثل بداية لمرحلة جديدة في الكشف العلمي، وبداية لمعرفة الاغريق ببلدان لم يعرفوها من قبل مثل المناطق الواقعة شرقي نهر دجلة، وشمال الخليج الفارسي وجنوب بحر قزوين". فقد ضمت حملته العسكرية على الشرق مجموعة من العلماء، وخلال هذه الحملة تم تسجيل الظواهر الطبيعية والعلمية بدقة، وفقا لتعليماته. وكان لها اثر كبير في صبغ الشرق بصبغة حضارية كبيرة.

خط سير حملة الاسكندر

في ربيع ٣٣٤ق.م عبر الاسكندر مضيق الهلليسبونت بجيش يتكون من ثلاثون الف من الجنود، ومائة وستون سفينة حربية، وبعد العديد من المعارك الفرعية استطاع هزيمة الجيش الفارسي بقيادة دارا الثالث في ايسوس، وعرض دارا على الاسكندر ان يتنازل له عن كل اسيا غرب الفرات، وان يدفع له عشرة الاف تالنت مقابل الصلح، الا انه رفض وطلب التسليم بلا شرط، وبعد معركة ابسوس اعلنت المدن الفينيقية الولاء للاسكندر ماعدا مدينة صور، التي حاصرها الاسكندر لمدة سبعة شهور، وفي ٣٣٢ق.م تقدم الاسكندر جنوبا نحو مصر ودخلها بدون مقاومة من الوالي الفارسي مازاكيس عليها، وقابله المصريون بالترحاب.

دخول الاسكندر الاكبر مصر ٣٣٢ق.م

بعد استيلاء الاسكندر الاكبر على صور، ثم غزة، زحف بلوزيوم في أكتوبر ٣٣٢ق.م، واستسلمت القوة الفارسية في بيلوزيوم او الفرما (Pelusium) – تقع على الفرع البيلوزي للنيل– التي دخلها دون مقاومة من مازاكيس (Mazakes) الوالي الفارسي، ومنها اتجه جنوبا بمحاذاة الفرع البلوزي للنيل الى ان وصل الى ممفيسس (Memphis)– حاليا هي قرية ميت رهينة بالقرب من مركز البدرشين، العاصمة القديمة لمصر القديمة، وقد قابله المصريين بالترحاب والسرور، لكراهيتهم للفرس، ومن جانبه قدم الاسكندر القرابين للالهة المصرية القديمة في معبد "بتاح"، ولذلك فان المصريين احبوا الاسكندر ولم يعتبروه غازياًا اجنبيا، وقاموا بتتويجه وتنصيبه فرعوناً في منف في احتفال رياضي وموسيقي ضخم مثل الفراعنة الوطنيين، ومن منف اتخذ الفرع الكانوبي للنيل، وشيد بين بحيرة مريوط والبحر مدينة الاسكندرية. ثم توجه الى ناحية الشمال الغربي لمصر للقيام بزيارة الى معبد آمون في واحة سيوة، وقد تم

استقباله بكل حفاوة من كاهن المعبد، الذي لقبه بابن امون، ودار حوار بين الاسكندر ووحي امون حول مستقبلة ومصير حملته على الشرق، ويبدو ان رد كهنة الوحي كان مبشرًا له بتحقيق الانتصار على الفرس وسيادة العالم، ثم بعد ذلك عاد الى منف مرة اخرى.

لماذا فتح الاسكندر مصر؟

يولي المؤرخين القدامى والمحدثين أهمية خاصة لدخول الاسكندر الأكبر مصر سنة ٣٣٢ق.م، فهذا التاريخ يُعد نقطة تحول جوهرية في تاريخ مصر القديم، فلأول مرة تخضع مصر في تاريخها لحكم أجنبي غربي، فطيلة الفترات السابقة كانت مصر تخضع لحكام شرقيين، كما ان هذا التاريخ يضع نهاية لحكم الفراعنة الوطنيين– وان سادت بين فترات حكمهم فترات من الحكم الاجنبي– وبداية لفترة حكم العنصر المقدوني لمصر، تلك الفترة التي سوف تمتد لحوالي ثلاثة قرون.

اختلفت اراء المؤرخين حول الاسباب التي دفعت الاسكندر الاكبر الى فتح مصر، وعلى الرغم من هذا الاختلاف، إلا إنه يمكننا أن نحدد هذه الأهداف في ثلاثة أهداف هي:

هدف حضاري تمثل في رغبة الاسكندر في دمج الغرب بالشرق في مشروع حضاري واحد من خلال دمج الحضارة الهيلينية بالحضارات الشرقية، وقد نتج عن هذا المشروع حضارة جديدة عرفت بالحضارة الهلنستية مزيجا من حضارةاليونان والحضارات الشرقية. ويعتقد البعض أن الاسكندر الاكبر كان يعتنق فكرة المساواة بين البشر، ولذلك عامل الفرس كأنداد للمقدونيين والاغريق، في حفل سوسا ٣٢٤ تزوج ستاتيرا وعدد كبير من قادته العسكريين تزوجوا فارسيات– عمل ذلك على فتح

آفاق الفكر الاغريقي، الذي كان منحصرا في فكرة دولة المدينة، ولكن يبدو ان قادته لم يكونوا مقتنعين بفكرة العالمية فمعظمهم طلق الفارسيات بعد وفاة الاسكندر.

هدف سياسي من اجل الانتقام من الفرس الذين كانوا يهددون بشكل مستمر بلاد اليونان، واحيانا دمروا و سيطروا على كثير من المدن اليونانية.

هدف اقتصادي من المعروف ان بلاد اليونان فقيرة في مواردها الزراعية، خاصةً القمح، وكان اليونانيون على ادراك تام بوفرة انتاج مصر من القمح منذ زمنٍ بعيد، لذلك الحصول عليه من مصر بالاضافة الى حصولهم عليه من أماكن أخرى سواء من مناطق سواحل آسيا الصغري أو من المنطقة المحيطة بالبحر الاسود، وإلا تعرضوا لمجاعات قاسية بسبب تأخر وصول القمح إليهم، لذلك أراد الاسكندر الأكبر من خلال فتحه لمصر، أن يضمن مصدراً دائمًا من القمح لبلاد اليونان، وبذلك أصبحت مصر منذ عهد الاسكندر أهم مصدر للحصول على القمح بالنسبة لبلاد اليونان. ومما لا شك فيه أن الاسكندر والعلماء المرافقين للحملة كانوا يدركون بشكل جيد أن مصر احد اهم مصادر القمح في العالم القديم، وهذا ما يفسر لنا سبب عدم اتجاه حملة الاسكندر شرقًا بعد معركة أيسوس لتتبع الملك الفارسي المنهزم ولاستكمال السيطرة على الامبراطورية الفارسية، واتجاهها جنوبًا للسيطرة مصر، لكي تكون محطة تموين له تمده وجيشه بالمؤن والقمح الكافي لاستكمال حملته على الفرس.

أعمال الاسكندر في مصر

مكنته ثقافته الواسعة وتعلمه على يد ارسطو العلوم المختلفة، خاصة على فن غزو الشعوب، كيفية التعامل مع المصريين، فمنذ ان وطأن قدماه مصر، احترم الاسكندر العقائد الدينية المصرية، مما خلق نوع من الالفة والوئام بينه وبين

المصريين، لمحبتهم لكل من يحترم دينهم كالاسكندر وبغضهم لكل من يهين او يقلل من معتقداتهم الدينية مثل الفرس، وقد اسهم في خلق هذا الجو العلاقات القديمة الضاربة في عمق التاريخ بين مصر واليونان، تلك العلاقات التي يسودها الود والتعاون بينهما ضد عدوهما المشترك الخطر الفارسي، وبذلك يكون الاسكندر قد نجح في فك شفرة قلوب المصريين.

أما عن النظم الادارية التي ادخلها الاسكندر في مصر، فقد قام بتنظيم الادارة الجديدة لمصر، وتقسيم مصر الى قسمين شمالي وجنوبي بشكل تقليدي كما كان معمولا به قبل مجيئه، وتعيين حاكمين اداريين لقسميها الشمالى والجنوبي من المصريين "بوتيسيس" و "دولاسبيس". وبعد عزل احدهما تولى الاخر ادارة القسمين معًا، وانشأ مقاطعات جديدة على الحدود الغربية–ليبيا– وعين عليها "كليومينيس النقراطيسي"، ومقاطعة على الحدود الشرقية– العربية– وعين عليها ابولونيوس بن خارينوس، وقام بتعيين كليومينيس النقراطيسي مشرفاً على الشؤون المالية والخزانة العامة، كما عهد إليه ايضا بالاشراف على بناء مدينة الاسكندرية. ومما يسترعي النظر ان الاسكندر الاكبر لم يقوم بتعيين حاكم عام لمصر خوفاً من محاولة اي حاكم من هؤلاء الحكام الاستقلال بها بسبب ثرائها الاقتصادي، وبالتالي يؤدي الى حرمان امبراطورية الاسكندر من خيرات وموارد مصر الوفيرة. وعمل على تامين الباد من خلال وضع حامية تقوم علىتامينها، ووضع على راس الحامية اثنان من قادته العسكريين "بيوكستيس بن مكارتاتوس" و "بلاكروس بن أمينتاس"، ووضعت بعض وحدات هذه الحامية في منف والبعض الاخر عند بلوزيوم. وعين بوليمون بن ثيرامين قائدًا على الاسطول. ولكن بعد مغادرة الاسكندر مصر، ازداد نفوذ كليومينيس على غيره من الموظفين، واصبح الحاكم الفعلي لمصر([1]).

([1]) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ٢٢

بناء مدينة الاسكندرية:

كانت رحلة الاسكندر الاكبر الى معبد آمون بسيوة سببًا في تأسيس مدينة الاسكندرية، فبعد أن غادر الاسكندر مدينة منف الى الشمال بمحاذاة الفرع الكانوبي لنهر النيل–فرع رشيد–، ووصوله الى ساحل البحر المتوسط، ووتتبعه للساحل غربًا الى ان وصل الى قرية راقودة على الساحل البحر المتوسط التي تواجهها في البحر جزيرة فاروس، اعجب الاسكندر بهذا الموقع وقرر ان يأسس مدينة تحمل اسمه وتكون منارة للحضارة ومركزا لنشر الحضارة الاغريقية في مصر، وتم تأسيس المدينة في شهر يناير سنة ٣٣١ق.م، وقد عهد الاسكندر الاكبر بتخطيط وبناء مدينته الجديدة الى مهندس اغريقي من مدينة ميليتوس يسمى "دينوقراطيس". ثم استكمل رحلته غربًا الى معبد امون.

نتائج فتوحات الاسكندر

استطاع الاسكندر الاكبر أن يغزو معظم العالم القديم المعروف في هذا الوقت، وقد تمخضت فتوحاته عن العديد من النتائج، منها على سبيل المثال لا الحصر، توسيع مدى معرفة اليونانيين بالشرق وتاثير ذلك على فكرهم العلمي. ونشر الهيلينية في العالم الشرقي وصهرهما معا، مما نتج عنه عصر يعرف بالعصر الهلينستي، وانتشار الثقافة الاغريقية حتى نهر السند. واضمحلال المدينة اليونانية بشكلها التقليدي، فقد كانت السيطرة في هذه المدن للاغنى وللاكثر تعلمًا، وليس حكما ديقراطيا يخضع للقوة الشعبية، وخارجيا كانت هذه المدن تحت سيطرة ملوك.

وفاة الاسكندر الاكبر:

غادر الاسكندر الاكبر مصر الي قلب الامبراطورية الفارسية، حيث انتصر على دارا في جاوجميلا، ثم سقطت في يدية بابل، ثم حقق عدد من الانتصارات

العسكرية، ابرزها الانتصار في بيرسيبوليس، واخذ يتقدم ويخضع الولايات الشرقية للامبراطورية الفارسية وفتح قليم البنجاب واجتاز السند حتى مصبة، وكاد ان يتمم حملته حتى نهاية نهر الجانج، الا ان الحالة السيئة لجيشة بسبب طول الغياب لمدة عشر سنوات من الحملات العسكرية المتصلة اضطرته للعودة الى سوسا ٣٢٤ق.م. ومنها الى بابل، وكان فيها يستعد للقيام بحملة على بلاد العرب، الا انه اصيب بالجمى ومات في الثالث عشر من يونيه ٣٢٣ق.م.

مسميات الفترة من ٣٣٢ ق.م حتى ٢٧ق.م

تعددت مسميات العصر الذي افتتحه الاسكندر الاكبر بفتوحاته للشرق، فقد اطلق على هذا العصر مسمي العصر الهلنستي، والعصر المتأغرق، والعصر السكندري.

العصر الهلنستي، بمعني امتزاج الحضارة الهلينية بالحضارة الشرقية، واتصالهما ببعض بشكل مباشر ، مما نتج عنه حضارة جديدة عرفت بالحضارة االهلنستية، ومن ثم تم اطلاق اسم هذه الحضارة على هذا العصر. ابرز مظاهره ظهور الممالك الكبيرة على نسق المملكة المقدونية. وضعف فكرة دولة المدينة، التي اصبحت جزء من هذه الممالك.

العصر المتأغرق: نسبة الى انتشار الحضارة واللغة الاغريقية في هذا الوقت، وصبغ الشرق بالصبغة الهللينية، وكان من الضرور في هذا الوقت على الشرقيين ان يتزودا بقسط من الثقافة الاغريقية، لذلك كثير من الوطنيين الشرقيين بشكل عام والمصريين بشكل خاص من الحضارة الاغريقية اسلوب حياة لهم بدلاً من الحضارة المصرية، وهؤلاء عرفوا باسم الوطنيين المتأغرقين او المصريين المتأغرقين، وبالتالي عرف هذا العصر بالعصر المتأغرق.

العصر السكندري: سمي هذا العصر نسبةً إلى مدينة الاسكندرية التي أسسها الاسكندر الاكبر، نظرًا للمكانة الرفيعة التي استحوذت عليها المدينة في هذا الوقت، فقد شهدت نهضة علمية وثقافية، مما جعلها بمثابة كعبة العلم التي يأتي إليها كل العلماء وطلاب العلم من كل فجٍ عميق.

الفصل الثالث:

قيام وتأسيس دولة البطالمة في مصر

موتمر بابل

مطالب بطلميوس من برديكاس

تخلص بطلميوس من كليومينيس

استيلاء بطلميوس على جثمان الاسكندر الأكبر

كسب ود الكهنة وتملق مشاعر المصريين الدينية

إقامة عبادة رسمية للاسكندر الأكبر آمون

مؤتمر بابل ٣٢٣ق.م

بوفاة الاسكندر الأكبر فجأة في بابل في يونيو ٣٢٣ق.م طرأت مشكلة لم تكن في الحسبان، هذه المشكلة كانت كفيلة بالقضاء على أكبر إمبراطورية ظهرت في العالم القديم حتى ذلك الوقت، هي مشكلة وراثة عرش الإمبراطورية المقدونية من بعده.

لذلك اجتمع كبار القادة العسكريين في بابل للتشاور على مصير امبراطورية الاسكندر، ولمن سيؤل عرش هذه الامبراطورية، وكان بعض هؤلاء القادة يؤمن بفكرة العالمية والمزج بين الشرق والغرب والبعض الاخر يرفضها تمامًا لانها تتعارض مع اماله واطماعه، وبالتالي فانه ليس من الضروري الابقاء على وحدة الامبراطورية. وخلال هذا الاجتماع اقترح الفرسان بقيادة برديكاس الانتظار الى ان تضع روكسانا مولودها-كانت حامل في الشهر الثامن-، فاذا جاء ذكرا نصب على العرش- ففي هذا الوقت كان الاسكندر الاكبر متزوجاً من "روكسانا" الفارسية التي تزوجها سنة ٣٢٧ق.م، ومن "ستاتيرا" بنت الملك الفارسي "دارا الثالث" التي تزوجها سنة ٣٢٤ق.م ولم ينجب منها- اما مشاة الجيش المقدوني فقد كان لهم رأيًا أخر وكان يتزعمهم القائد العسكري "مليا‌جروس" فقد رفضوا واعلنوا تاييديهم لـ "ارهيدايوس" ابن غير شرعي لفيليب الثاني، رفضوا أن يكون ملكهم ينحدر من نسل اسيوي بربري من وجهة نظرهم.

أما بطلميوس بن لاجوس فقد رفض الاقتراحين، فمن وجهة نظره ان المقدونيين لم ينتصروا على الفرس لكي يخضعوا لسلالتهم، كما رفض ان يتولى حكم امبراطورية الاسكندر شخص معتوه وابن غير شرعي لفيليب. وهذا الاقتراح يبين لنا رغبة بطلميوس في الاستقلال بحكم إحدي الولايات وعدم الابقاء على وحدة

امبراطورية الاسكندر، وذلك على عكس رغبة "برديكاس" في الابقاء على وحدة الامبراطورية، وذلك رغبة منه في ان يكون على رأس هذه الامبراطورية بعد وفاة الاسكندر الذي منحه عند وفاته خاتم الملك.

واقترح "يومنيس" أمين خزانة الاسكندر الاكبر حلا وسطاً، بان يتم تنصيب "أرهيدايوس" ملكاً تحت اسم "فيليب الثالث"، مع جنين "روكسانا" المنتظر اذا كان ذكرًا تحت اسم "الاسكندر الربع". وتعيين برديكاس قائد عام للجيش في آسيا، وتعيين "كراتروس" وصياً على العرش. وفيما بعد انتهز برديكاس غياب كراتروس عن بابل، اثناء الحرب الهلينية أو "اللامية" التي تزعمتها أثينا للتخلص من السيطرة المقدونية على بلاد اليونان، واغتصب الوصاية لنفسه. وتركت قيادة الجيش في اليونان لانتيباتروس، وبطلميوس صبح حاكماً لمصر، أما انتيجونس الاعور فقد حكم فريحيا الكبري وليكيا وبامفيليا، أما تراقيا فقد اسند حكمها الى ليسيماخوس، وسليوقس منح قيادة عليا في الجيش كمساعد لبرديكاس. وفي هذه الولايات استمر العمل بالنظام الفارسي، فكل ولاية من هذه الولايات اصبحت تعرف بـ ساتربية، وحاكمها ساتراب. وقد نشبت بين قادة الاسكندر الاكبر بعد وفاته عدة حروب طمعًا في الاستيلاء كلًا منهم على أكبر جزء من امبراطورية الاسكندر، وقد استمرت هذه الحروب لمدة ٤٣ عاما وعرفت بحروب الخلفاء من سنة ٣٢٣ الى سنة ٢٨٠ق.م، انتهت بمعركة كوربيديون ٢٨٠ق.م([1]).

مطالب بطلميوس من برديكاس:

تقدم بطلميوس بن لاجوس بعددٍ من المطالب إلى برديكاس الوصي العام على امبراطورية الاسكندر، تمثلت هذه المطالب في ان يقوم بطلميوس بأخذ جثمان

([1]) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ٣٠.

الاسكندر ويقوم بدفنه في مصر في واحة سيوة عند والدة امون، وقد رفض برديكاس هذا المطلب، الذي كان يهدف بطلميوس من وراءه الحصول على شرعية لحكمه في مصر، كخليفة للاسكندر على حكم مصر.

أما المطلب الثاني تمثل في رغبة بطلميوس في استعادة الاثار والكتب المقدسة والمخطوطات التي اخذها الفرس من مصر اثناء فترتي حكمهك لمصر ونقلوها الى عاصمتهم بابل، وازاء هذا المطلب لم يجد برديكاس مانعًا من الموافقة على هذا المطلب، وكان بطلميوس يهدف من ذلك ان يتقرب الى المصريين ويكسب ود الكهنة المصريين، لمعرفته بما يمثله الدين من مكانة روحية كبيرة في افئدتهم، ومعرفته الجيدة بان الكهنة المصريين هم القادة الروحيين للمصريين، فاذا كسب ودهم امتلك المصريين جميعًا، خاصةً أن بطلميوس في مرحلة تأسيس حكم جديد له في مصر. ويحتاج الى استقرار حكمه جديد بعيدًا عن اي مشاكل قد تحدث في هذا الوقت.

أما الطلب الثالث تمثل في مطالبة بطلميوس بخذ نصيبة من الكنوز الكثيرة التى استطاع الاسكندر ان يجمعها خلال حملته على الشرق، ولكن برديكاس رفض هذا الطلب، وكان بطلميوس يهدف من هذا المطلب الحصول على الاموال الكافية التي تمكنه في انشاء جيش واسطول قوي للزود عن دولته الجديدة، وعمل بنية تحتية للاقتصاد المصري خاصة الزراعة بعد ان اهملت في الفترات الاخيرة من حكم الملوك الفراعنة.

ولكي يثبت بطلميوس ركائز حكمه في مصر، لجأ الى العديد من الخطوات لتحقيق هذا الأمر، هذه الخطوات هي:

التخلص من كليومينيس:

تمثلت أولى الخطوات التي اتخذها بطلميوس بن لاجوس من اجل ارساء قواعد حكمه في مصر في التخلص من "كليومينيس النقراطيسي"، أمين الخزانة في مصر، الذي قام بتعيينه في هذا المنصب برديكاس–الوصي العام على امبراطورية الاسكندر–لكي يكون نائبا لبطلميوس وعينًا له مصر، يراقب كل تحركات بطلميوس، خشية ان يقوم بطلميوس بالاستقلال بالولاية الغنية بالقمح، لذا قام بطلميوس في ٣٢٢ق.م بتوجيه التهم اليه ومحاكمته ثم اعدامه، بعد ان استمع الى الشكاوى المقدمة ضده من الكهنة المصريين، متذرعًا بطلميوس في مسلكه ضد كليومينيس بانه كان جشعًا في تحصيل الضرائب من المصريين، وقيامة بالاستيلاء على كنوز المعابد المصرية، وفرضه الضرائب الباهظة على المصريين، بالاضافة الى احتكاره شراء القمح من الفلاحين بسعر بخس جدا وتصديرة في الخارج لبيعه لحسابة بسعر مرتفع.

الاستيلاء على جثمان الاسكندر:

بعد أن فرغ بطلميوس من القضاء على كليومينيس، اخذت تختمر في عقله فكرة الاستيلاء على جثمان الاسكندر الاكبر، الى ان هداه تفكيره الى وضع خطة تكفل له تحقيق هذا الامر من خلال تقديم رشوة كبيرة للضابط "ارهيدايوس" قائد موكب جثمان الاسكندر، والمسؤول عن نقل جثمان الاسكندر ودفنه في مدينة "ايجاي" في مقدونيا بجوار فيليب الثاني، و تغيير خط سير الجثمان، فبعد ان خط سير الموكب يتجه من بابل الى شمال الشام، تغير خط سير الموكب، واصبح يمر من بابل الى جنوب الشام، ثم بعد ذلك إلى بيلوزيوم، وقد كان بطلميوس بن لاجوس في أهبة الاستعداد لاستقبال جثمان الاسكندر الاكبر، فقد اقام له موكبًا جنائزيًا

ضخمًا، وتقدم هذا الموكب بفرقة عسكرية، ونجحت خطة بطلميوس في الاستيلاء على جثمان الاسكندر ودفن في منف في رحاب بتاح، لأن مدينة الاسكندرية لم يكن قد تم الانتهاء من انشائها، وبقي جثمان الاسكندر الاكبر في منف الى ان قام الملك بطلميوس الثاني بنقل الجثمان من منف الى الاسكندرية بعد ان اكتمل بنائها في عهده، واقيم له ضريح او "سيما" او "سوما" بالاسكندرية. وسوف نلاحظ فيما يلي عاقبة هذا الامر، ومخالفة بطلميوس لتعليمات برديكاس.

كسب ود الكهنة وتملق مشاعر المصريين الدينية:

تملق مشاعر المصريين الدينية، وعمل على كسب ود الكهنة في منف وسيوة، وحرص على ان يتقدم موكب جثمان الاسكندر في مصر، التماثيل المصرية التى استولى عليها الفرس ونقلوها الى بابل، وذلك للتقرب من المصريين وتملق مشاعرهم الدينية، وكسب ود الكهنة الذين كانوا بمثابة الزعماء الروحيين للشعب المصري، وفيما يتعلق بالكهنة المصريين، اصغى بطلميوس لشكاوى الكهنة من كليومينيس الذي ضيق الخناق عليهم، لارضائهم وللتخلص من كليومينيس الذي كان عينًا لبرديكاس في مصر على بطلميوس، فبذلك، استطاع بطلميوس ان يحقق اكثر من مصلحة بخلاصه من كليومينيس.

إقامة عبادة رسمية للاسكندر الأكبر آمون:

شرع بطلميوس بن لاجوس في تأسيس عبادة رسمية للاسكندر الاكبر، لما لا والاسكندر الاكبر قد حاز على اعتراف كهنة منف وسيوة، كفرعونُ غرست فيه روح آمون رع، وبالتالى يمكن ان يعبد من جانب المصريين والاغريق على حدٍ سواء. وان توضع له تماثيل في المعابد المصرية، ويمكن لاي شخص اغريقي ان يتعبد لهذا الاله الجديد بكل حرية في المعابد المصرية. وتم انشاء هيئة كهنوت لهذه

العبادة، وعين اخاه "مينلاءوس" كاهنا اكبر لعبادة الاسكندر، ومنذ تولى كاهن عبادة الاسكندر منصبة اصبحت الوثائق السمية تؤرخ بتاريخ توليه هذا المنصب، ويعتقد البعض ان مقر هذه العبادة كان في المعبد الجنائزي في منف الذي رقد فيه جثمان الاسكندر الاكبر قبل نقله الى ضريحه في الاسكندرية "السوما" في عهد فيلادلفوس.

الاستيلاء على قوريني ٣٢٢ق.م:

لتأمين سلطانه في مصر توسيع حدود مملكتة، فقد عمل بطلميوس على استغلال النزاعات الداخلية والثورة الاجتماعية التي نشبت في قوريني(برقة حالياً)، واستجاب لاحد الاحزاب المتنازعة التي طلبت مساعدته، فارسل بطلميوس صديقة "اوفيلاس" الذي تمكن من هزيمة "ثيبرون" حاكمها واعدمه، استولى على قوريني وتوابعها سنة ٣٢٢ق.م. وكان الهدف من الاستيلاء على قوريني تأمين حدود مصر الغربية ضد القبائل الليبية، التي كانت تغير على مصر منذ عصور الفراعنة على مصر من ناحية الغرب. بالاضافة الى رغبته في نقل اغريق قوريني وبرقة الى مصر، لكي يزيد عدد الجالية الاغريقية في مصر، التي اعتد عليها في تاسيس حكمه في مصر. وضم قوريني عملت على تثبيت مركز بطلميوس في مصر واكسبته شهرة وجعلته يشعر بامكانية استقلاله عن ببرديكاس

التخلص من برديكاس على مصر ٣٢١ق.م:

غضب برديكاس من الخطوات التي اتخذها بطلميوس في توطيد حكمه ورغبته في الاستقلال عن امبراطورية الاسكندر، سواء عند اعدامه كليومينيس، او عند دفن جثمان الاسكندر في مصر، او ضم قوريني، وفي الحقيقة ان باقي الولاة رغبوا ايضا في نفس الامر، لذلك قسم برديكاس جيشة الى قسمين، قسم قاده يومينيس الى اسيا الصغرى لمحاربة انتيجونس، والقسم الاخر قادة لمحاربة

بطلميوس، وقام بطلميوس بتأليب قادة برديكاس ضده وتقديم الهدايا والرشاوى لهم، بعد ان فشل برديكاس في عبور النيل، مما ادى الى فشله في غزو مصر ومصرعه على يد "سليوقس"، ووزع كميات كبيرة من القمح والمؤن على قوات برديكاس، التي اعلنت ولائها له، وطلبوا منه ان يعلن نفسه وصيا على امبراطورية الاسكندر، لكنه رفض، لان ذلك سيثير باقي رفاقه ضده، وراي انه من الافضل ان يصب جل تركيزة على توطيد حكمه في مصر، ونتيجة لمقتل برديكاس ضم قوات ببرديكاس الى قواته. ومنذ هذا الوقت اعتبر بطلميوس مصر ملكًا خاصا له وغنيمة حرب ، حصل عليها بحد السيف بعد انتصارة على برديكاس.

اتخذ لنفسه لقب ملك "باسيليوس" سنة ٣٠٦ق.م

بعد ان قام انتيجونس باتخاذ هذا اللقب، اعلن بطلميوس على العملة التي سكها في الاسكندرية اسمه مصحوبًا بلقب الملك، وذلك في سنة ٣٠٦ق.م، ومنذ ذلك الوقت طلب من الكهنة المصريين ان يكتبوا اسمه في خرطوش على طريقة الملوك الفراعنة، وحمل الالقاب المقدسة الخمسة مثل بطلميوس بن رع، ومحبوب امون، وسيد الارضين..الخ، وقد سلك مسلكه كل القادة الاخرين، كتعبير عن استقلالهم بولايتهم عن الامبراطورية، فحمل سليوقس لقب ملك بابل، ولوسيماخوس لقب ملك تراقيا، وكساندر لقب ملك مقدونيا واليونان([1]).

مؤتمر تريبيا راديسوس ٣٢١ق.م

بعد وفاة برديكاس اجتمع القادة العسكريين في شمال الشام في منطقة تريبيارايديسوس، لاعادة تقسيم امبراطورية الاسكندر، واوصى المؤتمر:

([1]) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٣٩-٤١.

تعيين انتيباتر وصيًا عامًا على الامبراطورية وحاكمًا على مقدونيا واليونان، ونقل "ارهيدايوس" و"الاسكندر الرابع" و"روكسانا" من بابل الى مقدونيا. وخلال هذا المؤتمر تم الاعتراف رسميًا بضم قوريني الى مصر، وانتيجونس حاكما لاسيا الصغري وقائد عام للجيش المقدوني ومكلف باخضاع يومينيس، ولوسيماخوس خاكم لتراقيا، وتعيين سليوقس فقد منح ساتربية بابل –مكافاة لقتله برديكاس – بعد تخليه عن قيادة سلاح الفرسان. وجوف سوريا للقائد "لاؤميدون" التابع للقائد العام للجيش المقدوني انتيجونس.

الاستيلاء على جوف سوريا والساحل الفينيقي

عرض بطلميوس على حاكم جوف سوريا "لاؤميدون" مبلغ من المال مقابل ان يتنازل له عنها ولكن رفض، استغل بطلميوس وفاة "انتيباتر" المفوض العام للامبراطورية وقام بالاستيلاء عليها سنة ٣١٩–٣١٨ق.م ، وفر "لاؤميدون" هارباً من ساتربيته.

كان هدف بطلميوس من الاستيلاء على جوف سوريا، تأمين الحدود الشرقية لمصر، والتحكم في اقتصاديات بلاد الشرق الادنى والبحر المتوسط. وتوفير الاخشاب اللازمة لصناعة الاسطول التي كانت تستوردها مصر من هذه المناطق، لذلك كان من الضروري الاستيلاء على هذه المنطقة الهامة. وبعد ان سيطر بطلميوس على هذه المنطقة قام انتيجونس بطرد البطالمة من جوف سوريا والساحل الفينيقي في سنة ٣١٥ق.م، وقام بطلميوس شن حملة اخرى على جوف سوريا في سنة ٣١٢ق.م واستعاد سيطرته عليها مرة ثانية. الا ان انتيجونس كان مصرًا على انتزاع المنطقة من البطالمة مرة ثانية، لذلك قاد انتيجونس بنفسه حملة الى الشام، مما ادي الى انسحاب بطلميوس منها مرة ثانية خوفًا من بطش انيجونس به.

التصدي لحملة انتيجونس على مصر ٣٠٦ ق.م:

اتباع بطلميوس لسياسة خارجية مستقلة عن امبراطورية الاسكندر، جلب له عداوة انتيجونس، ففي سنة ٣٠٦ق.م شن انتيجونس حملة على مصر، لكنها فشلت، بسبب مياة الفيضان التي كانت تغمر اراضي الدلتا، وبسبب النوات الشديدة في هذا الوقت، بالاضافة الى الرشاوي التي عرضها بطلميوس جنود انتيجونس سواء مبالغ مالية او قطع من الاراضي يمكن ان يوزعها عليهم اذا تخلوا عن انتيجونس وانضما اليه. وعلى اثر ذلك انسحب انتيجونس من مصر ، خوفا من ملاقاة نفس مصير برديكاس.

بعد فشله عسكريا في تركيع مصر، لجأ انتيجونس الى عمل حصار اقتصادي عليها، حيث طلب من رودس ان تقطع علاقاتها التجارية مع مصر، لكن رودس رفضت، واراد انتيجونس معاقبة رودس، فضرب حولها الحصار لمدة خمسة عشر شهرا، وفشل انتيجونس في الاستيلاء عليها بسبب المساعدات التي قدمها بطلميوس لرودس اثناء فترة الحصار ٣٠٥-٣٠٤ق.م، واعترافا من اهل رودس بجميل بطلميوس معهم اطلقوا عليه اسم سوتير اي المنقذ. فيقول ديودور الصقلي " ان اهالى رودس اقاموا هيكلا لبطلميوس ورفعوه الى مصاف الالهة. بينما يذكر باوسانياس " ان رودس عبدت عندئذ بطلميوس وخلعت عليه لقب سوتير "الاله المنقذ".

معركة الملوك وظهور مشكلة جوف سوريا- معركة إبسوس ٣٠١ ق.م:

تعد معركة الملوك معركة صراع بين الافكار المختلفة، صراع بين المؤمنين بافكار الاسكندر وهو انتيجونس، وبين غير المؤمنين بها وهم بطلميوس بن لاجوس ملك مصر، ولوسيماخوس ملك تراقيا، وسليوقس ملك بابل، و كاسندر ملك مقدونيا،

الذين افقوا فيما بينهم على ضرورة التخلص من انتيجونس، لانه يريد توحيد الامبراطورية المقدونية. استمرت الحرب بين الطرفين من ٣١٥-٣٠١ق.م، وكانت الخطة الموضوعة لذلك تقوم على أساس تقدم كاسندر ولوسيماخوس بمهاجمة انتيجونس في آسيا الصغرى يساعدهم في ذلك سليوقس بتقديم المساعدات العسكرية لهم، بينما يقوم بطلميوس بالاستيلاء على سوريا، لكن بطلميوس لم ينفذ الخطة المتفق عليها مع رفاقة، واستولى فقط على جوف سوريا، بل انسحب منها بعد ان سرت إشاعة كاذبة بانتصار انتيجونس على رفاقة عند إبسوس في فريجيا الكبرى، واستولى انتيجونس على سوريا الجنوبية ورد بطلميوس الى حدوده وراء غزة، ولكن في الحقيقة انتصر الملوك وقتل انتيجونس وفر ابنة ديمتريوس الى إفيسوس، ونظراً لتخاذل بطلميوس، عوقب بعدم منحه جوف سوريا الذي وعد قبل المعركة بان يكون ملكا له، وتم منح الشام باكملها لسليوقس. ولكن عاد بطلميوس واستولى على جوف سوريا. اهم نتيجة تمخضت عن إبسوس انها قضت نهائية عن فكرة امكانية توحيد امبراطورية الاسكندر. وكانت هذه المعركة سببًا في نشأة المسألة السورية، لان اجتماع قادة ابسوس بعد المعركة منح سوريا الجنوبية لسليوقس وسلبها من بطلميوس. الذي ضرب هذا الاتفاق بعرض الحائط واحتلها عقب المعركة مباشرةً.

الاستيلاء على قبرص والتوسع في بحر ايجة ٣١٣ق.م:

وضع بطلميوس لأول نصب عينيه ضرورة الاستيلاء على جزر الكيكلاديس وثيرا وبعض مدن الساحل الايوني، لتأمين الطرق المؤدية الى بحر ايجة وبلاد اليونان، خاصة انه كان في امس الحاجة الى بناء شبكة من العلاقات القوية مع بلاد اليونان الام، للاستفادة من خبرات اليونانيين في تأسيس مملكته الجديدة على أسس إغريقية.

كما توجه أيضًا للسيطرة إلى قبرص، نظراً لاهميتها الاستراتيجية في حماية سواحل مصر الشمالية، ولتحقيق السيادة البحرية في البحر المتوسط،، ولأن سواحلها كانت مواني‌ء طبيعية مميزة، ولشهرتها بخشب الارز اللازم لبناء الاسطول البطلمي، ولمواردها المعدنية الوفيرة خاصةً من الفضة، وحاجة البطالمة الى الفضة لسك عملة قوية- أقام البطالمة فيها دار سك للعملة بعد استلائهم عليها- لذلك استولى عليها بطلميوس في سنة ٣٢١ق.م، وعين عليها اخوة "مينلاؤس". وفي ٣٠٦ق.م نجح ديمتريوس بن انتيجونس في طرد البطالمة منها، وفي ٢٩٤ق.م استعادا بطلميوس وبقيت تحت سلطان البطالمة الى ان تنازل عنها بطلميوس الزمار سنة ٥٨ق.م للرومان. وقد استطاعت كليوباترا السابعة بفضل علاقاتها الوطيدة مع قيصر ومن بعده انطونيوس ان تستعيد قبرص مرة ثالثة الى املاك مصر، الا انه بعد وفاتها الت قبرص الى ملك الشعب الروماني.

تعمير واحة الفيوم:

حرص بطلميوس الاول على توطين الجنود المسرحين من الاغريق، لذا قام بتعمير واحة الفيوم غرب النيل، التي كانت تغمرها مياة النيل وقت الفيضان ومنها كانت المياة تصب في بحيرة قارون، وكانت الواحة ترتبط بطريق بري بمنف وبقناة مائية بالنيل، وبالرغم ان مشروع تعمير الواحة قد بدأ في عهد سوتير الا انه لم ينتهي الا في عهد فيلادلفوس في بداية القرن الثالث قبل الميلاد([1]).

([1]) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٥٨-٥٩.

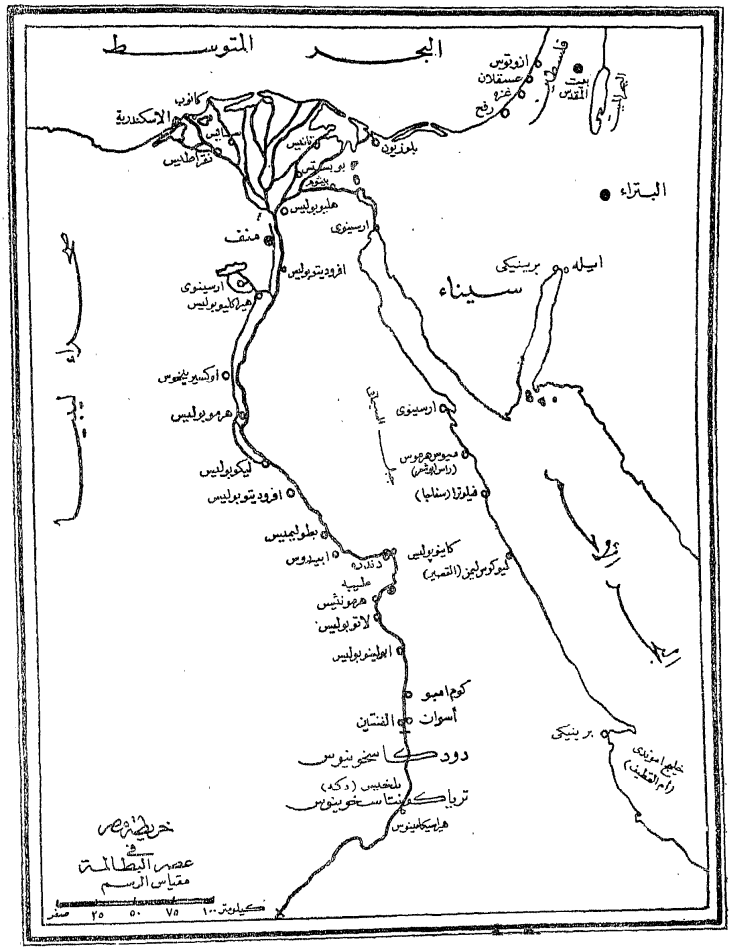

خريطة مصر في العصر البطلمي([1])

تنظيم ولاية العهد:

فطِنَ بطلميوس في سن الثانية والثمانين(٣٢٣-٢٨٤ق.م) إلى اهمية اختيار ولي عهده قبل وفاته، حتى لا ينشأ نزاع بين أبنائه، لذلك قام باشراك ابنة الاصغر من زوجتة برينيكي لثانية في الحكم معه منذ ٢٨٥ ق.م، وتجاهل الابن الاكبر من يورديكي او بطلميوس الصاعقة. وزوجة من اخته ارسينوي الاولى. وعند وفاة بطلميوس الاول كانت دولة البطالمة تشمل مصر وقوريني وقبرص وجوف سوريا وجزر الكيكلاديس وجزيرة ثيرا وبعض المدن الواقعة على الساحل الايوني. الا ان

([1]) ابراهيم نصحي، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٤.

الابن الاكبر غير الشرعي–بطلميوس الصاعقة– لم يرضى بذلك، فلجأ إلى سليوقس ملك سوريا وبابل ليعينه ضد اخيه ويعيد اليه حقه في تولي العرش، وفي هذا الوقت كان سليوقس قد انتصر على لوسيماخوس ملك مقدونيا، وكان يستعد لدخولها، لكن بطلميوس الصاعقة يقوم بقتله، ويرضى به الجنود ملكاً على مقدونيا. الا انه لم يعمر كثيرا في الحكم وقتل بعد وقت قصير في احدى غزوات الكلت الذين هاجموا مقدونيا واليونان واسيا الصغرى. وبعد سلسلة من الملوك الذين حكموا مقدونيا لاسابيع او اشهر، تولى انتيجونس بن ديمتريوس الحكم في مقدونيا ٢٧٧ق.م واسس بها اسرة الحاكمة الانتيجونية التي ناصبت البطالمة العداء وتحالفت من السليوقيين ضد البطالمة([1]).

مدينة بطوليميس:

اسس بطلميوس الاول مدينة اغريقية وحيده في مصر، واطلق عليها اسم بطوليميس على الضفة الغربية لنهر النيل في الصعيد(المشاة بمحافظة سوهاج)، وكان يهدف من تأسيسها ان تكون مركزًا لاشعاع الحضارة الاغريقية في الصعيد، ومنافسا لطيبة العاصمة المصرية القديمة التي شكلت مركز المقاومة الوطنية ضد حكم الاجانب، ويعتقد البعض ان تخطيطها جاء على نسق تخطيط الاسكندرية،وتكتعت المدينة بكل مقومات المدن الاغريقية الاخرى في مصر وبلاد اليونان الام، فقد كان بها نظم دستورية خاصة بها، سواء مجلس شورى وجمعية شعبية ومحاكم مستقلة وحكام يتم انتخابهم من مواطنيها، وكتم تنظيم مواطنيها في قبائل كلاً منها كان ينقسم الى احياء ووحدات، وكان بالمدينة كل وسائل الترفيه الخليقة بالمدن اليونانية في بلاد اليونان سواء المعابد و المعاهد والمسارح، الا ان

([1]) ابراهيم نصحي، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٤.

هذه المدينة لم يقدر لها ان تستحوذ على المكانه المرجوه من تأسيسها وانزوت، جاءت في المكانة بعد الاسكندرية ونقراطيس([1]).

جعل الاسكندرية عاصمة ثقافية للعالم الهللينستي:

أراد بطلميوس الأول أن يجعل من مدينة الإسكندرية كعبة للعلماء والمثقفين من كل أنحاء العلماء يفدون إليها من كل حدبٍ وصوب، لذلك فتح أبوابه على مصراعيها للأدباء والفلاسفة وطلاب العلم، وأغدق عليهم الذهب والاموال، وهيأ لهم حياة كريمة، مما أدى إلى تدفق العلماء إلى الاسكندرية في شتى فروع العلم، فهاجر إليها عالم الرياضيات إقليديس، وعالم الفلك هيبارخوس، و هيروفيلوس الطبيب المشهور، وعالم الرياضيات يوقليديس، والرسام "انتيفيوس" و"ابيليس"، فضلًا عن ذلك فإن بطلميوس شجع عمل المناظرات العلمية بين العلماء يتبارزون فيما بينهم في المسائل العلمية([2]).

الموسيون:

ونظرًا لتزايد اعداد الوافدين الي الاسكندرية، قام بطلميوس الاول ببناء مجمع علمي او اكاديمية او جامعة اطلق عليها اسم الموسيون اي "بيت ربات الفنون والآداب التسع"، وذلك حسب اقتراح ديمتريوس الفاليروسي، الذي كلف قام بالاشراف على بناء الموسيون، التي كان بها اماكن لاقامة العلماء اقامة دائمة، وجعل معيشة العلماء والطلاب فيها مجانية دون مقابل لجعلهم متفرغين بشكل تام للبحث والاطلاع، وقام بتعيين رئيس فخري للاكاديمية عرف بـ "كاهن بيت ربات الفنون والآداب التسع". والحق به مكتبه، وعين ديمتريوس رئيسا للموسيون وامده بالمال

([1]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، ١٣٥.

([2]) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٥٧.

اللازم لشراء الكتب، واصبح الموسيون احد المعالم الرئيسية في الاسكندرية، وقد اقام فيه استرابون خمس سنوات لتأليف كتابه في الجغرافيا.ووصفه استرابون"الموسيون جزء من القصور الملكية، ويشتمل على منتزه ورواقة به مقاعد، وبيت كبير به قاعة لاجتماع العلماء اعضاء الموسيون([1]).

مانيتون السمنودي وكتابة التاريخ المصري:

بالاضافة الى ذلك فان بطلميوس الاول اوعز الى الكاهن المصري مانيتون السمنودي بكتابة تاريخ لمصر حتى عهد الاسكندر الاكبر، وسمى هذا الكتاب بالتاريخ المصري، قسم خلاله مانيتون تاريخ مصر الى ثلاثين اسرة حاكمة بداية من اول ملوك مصر مينا موحد القطرين نهاية بقتانبو الثاني اخر الفراعنة.وللاسف هذا الكتاب مفقود، إلا انه وصل إلينا الكثير من أجزائه من خلال المؤلفين اليونانيين الذين اعتمدوا على كتاب مانيتون كمصدر لكتاباتهم. ومازال التقسيم الذي وضعه مانيتون لتاريخ مصر معمول به في مجال علم المصريات الى الان([2]).

مكتبتي الاسكندرية(المكتبة الكبرى-والمكتبة الصغرى):

بعد انشاء الموسيون فكر بطلميوس الاول في بناء مكتبة كبيرة ملحقة بالموسيون، جلب لها الكتب والمخطوطات النادرة من كل مكان خاصة من اثينا وغيرها من مدن اليونان، وحرص خلفائة على مضاعفة اعداد الكتب والمخطوطات سواء بالشراء او النسخ، واصدر البطالمة امر بان يسلم كل شخص يأتي الى الاسكندرية الكتاب الذي يحمله مقابل الحصول على نسخة منه مكتوبة باليد. وخلال عصر فيلادلفوس اشرف الشاعر كاليماخوس على ادارة وتنظيم المكتبة، وبعد ذلك

([1]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، ٣٠٨.

([2]) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٥٧.

انشأت مكتبة صغري مكملة للمكتبة الكبرى. وقد ادت كل هذه المجهودات التي بذلها البطالمة في المجال الثقافي الى تحويل مدينة الاسكندرية الى مركز اشعاع حضاري في الشرق الهللينستي، مما جعل البعض يطلق على هذه الفترة "العصر السكندري"، وبذلك نجح البطالمة في تحقيق السيادة والتفوق الادبي والثقافي في العالم الهللينستي([1]).

([1]) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٥٨.

الفصل الرابع:

العصر الذهبي لدولة البطالمة

بطلميوس الثاني

شخصية بطلميوس الثاني:

بطلميوس الثالث

أولًا: شخصية بطلميوس الثاني:٢٨٥-٢٤٦ق.م

بعد وفاة بطلميوس الاول سوتير في سنة ٢٨٤ق.م تولى ابنه بطلميوس الثاني، كانت شخصية بطلميوس الثاني عكس شخصية والدة الذي كان محاربا من الطراز الرفيع، بينما كان بطلميوس الثاني محبا للترف والبذخ، وبعيد كل البعد عن حياة العسكرية، فلم يقوم بقيادة اي حرب من الحروب التي كانت في عهده بل كان ينوب عنه قواده في القيادة. ولعبت شقيقتة وزوجتة ارسنوي الثانية دورا كبيرا في سياستة الداخلية والخارجية بعد ان تخلصت من زوجتة الاولى ارسنوي الاولى، واتخذ لنفسه لقب فيلادلفوس اي المحب لاخته، وتم تأليهيهما معًا في حياتهما تحت لقب فيلادلفوس اي المحبة لاخيها او المحب لاخته، واطلق اسمها على منطقة الفيوم اي منطقة ارسينوي، وعاصمتها عرفت بمدينة الارسينويين([1]).

ثانيًا: الحرب السورية الاولى(٢٧٥-٢٧١ق.م):

شكلت الحروب السورية الجزء الاكبر من سياسة البطالمة، فقد دخل البطالمة في صراع مرير مع السليوقيين من اجل السيطرة على فينيقيا وجوف سوريا، ووصلت مراحل هذه الحروب الى سبعة حروب بين الطرفين.بدأت الحرب السورية الاولي بسبب تمسك فيلادلفوس بالسياسة التي ورثها عن والده في ضرورة السيطرة على فينيقيا وسوريا، وقبرص، وبعض جزر بحر ايجة، ومدن اسيا الصغرى شمالًا وبرقة غربًا، ولذلك دخل فيلادلفوس في صراع مع انطيوخس الاول والثاني، اشتعلت الحرب عندما استولى فيلادلفوس على "ميليتوس" احدى ممتلكات "لوسيماخوس"، ثم الاستيلاء على دمشق من السليوقيين، لذا قاد "انطيوخس" قواته واستطاع طرد القوات البطلمية جنوبًا الى سوريا وفلسطسن. واختلفت النقوش المصرية والبابلية في تحديد

([1]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٣٠-٣١.

المنتصر في هذه المعركة، فقد اسند النقش المصري الانتصار الى البطالمة، بينما اسند النقش البابلي الانتصار للسليوقيين. ويبدو ان الانتصار الذي حدث هو طرد البطالمة من دمشق، حيث تشير الى الادله البردية الى التواجد البطلمي في الساحل الفينيقي الى سنة ٢٥٧ق.م على الاقل، على اية حال فان فيلادلفوس عمل على تأليب المدن الايونية بقيادة مدينة ميليتوس ضد انطيوخس، بينما استغل انطيوخس "ماجاس" شيق لفيلادلفوس من ابيه ضده ومساعدته في الاستقلال بقوريني بعد هزيمة فيلادلفوس في الحرب السورية الاولى([1]).

ثالثًا: حرب خريونيديس

عرفت بالحرب الخريمونيدية او حرب خريمونيديس في الفترة من ٢٦٧-٢٦١ق.م، نسبةً الى سياسي اثيني قاد ثورة المدن اليونانية وفي مقدمتهم اثينا واسبرطة ضد هيمنة انتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا على بلاد اليونان، وخلال هذه الحرب اعلن فيلادلفوس مناصرته للثورة وحرية الاغريق. وكان حلف المدنية يأمل في ان يخوض فيلادلفوس الحرب بجانبهم، لكنه خيب ظنهم واكتفى بتقديم المساعدات المالية والتموينية والقيام بمناورات بحرية باسطولة في بحر ايجة. مما ادي الى هزيمة المدن اليونانية وانتصار جوناتاس([2]).

رابعًا: مساعدة فيلادلفوس لبرجامون في الاستقلال عن السليوقيين:

اشتهرت برجامون بالاخشاب، التي كان البطالمة في حاجة اليها لبناء الاسطول، وقد كانت برجامون قلعة يحتفظ فيها "سليوقس" بخزائنه، وامين هذه القلعة "فيليتاريوس"، الذي بدأ في الاستقلال عن "سليوقس" لكنه مات. وتولى بعده ابن اخية

([1]) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٦٢-٦٣.

([2]) الحسين أحمد عبدالله، مصر والشرق الادنى في العصر الهيللينستي، ١٠١-١٠٢.

"يومينيس" الذي استطاع الاستقلال عن سليوقس بتحريض من فيلادلفوس، وابحر الاسطول المصري لحماية يومينيس ٢٦٢ق واستولى على افيسوس وميليتوس. وكان هدف فيلادلفوس من استقلال برجامون فتح جبهة قتال جديدة لشغل انطيوخس، وابعادة عن مساعدة حليفة جوناتاس المقدوني خلال ثورة المدن اليونانية ضد مقدونيا بقيادة خريمونيديس([1]).

خامسًا: الحرب السورية الثانية:

بعد وفاة انطيوخس الاول خلفه ابنه انطيوخس الثاني الذي سعي للانتقام من فيلادلفوس، لمساعدته لبرجامون في حربها ضد والده، ولرغبته في استعادة جوف سوريا من البطالمة. لذلك تحالف انطيوخس الثاني مع ملك مقدونيا وتم تدعيم هذا التحالف بمصاهرة سياسية سنة ٢٥٣ق.م، ثم تحالف انطيوخس الثاني مع ورودس، وفي نفس الوقت ثار ولاة البطالمة في إفيسوس وميليتوس ضد فيلادلفوس، وتمكن ملك مقدونيا من تحقيق انتصار على اسطول البطالمة في كوس ٢٥٨ق.م، وتمكن اسطول رودس من تحقيق انتصار على اسطول البطالمة عند افيسوس ٢٥٥ق.م، بينما تمكن انطيوخس من طرد القوات البطلمية من اسيا الصغرى ماعدا اقليم كاريا، وفقدت مصر ممتلكاتها في جزر الكيكلاديس ماعدا جزيرة ثيرا، الا ان فيلادلفوس احتفظ بجوف سوريا. وتم عقد صلح بينهما، وتدعيمه بزواج ابنة فيلادلفوس "برينيكي" من زوجته الاولى "ارسينوي الاولى" من "انطيوخس الثاني". ويعتقد البعض ان المهر الذي دفعته العروس للعريس، أن تؤل جوف سوريا الى السليوقيين، الا انه من الناحية السياسية كانت جوف سوريا تابعة لمصر، ومن الناحية الاقتصادية كان

([1]) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٦٦.

دخلها يذهب لانطيوخس الثاني، بشرط ان يكون عرش انطيوخس لابناء برينيكي، وكان لانطيوخس زوجة اخرى انجب منها ابنين وبنتين ابعدهم الى إفيسوس([1]).

خامسًا: فيلادلفوس و علاقته بروما وقرطاجة:

خلال حرب روما مع بيرهوس ملك ابيروس ٢٨٠ق.م، اتجه وفد من الاسكندرية الى روما ليعرض على الرومان الصداقة. وفي ٢٦٤ق.م اثناء الحرب البونية الاولى ، طلبت قرطاجة من مصر اقراضها بعض الاموال الا ان مصر رفضت واثر فيلادلفوس الحياد، واعتذر للقرطاجيين بان الرومان والقرطاجيين اصدقاء له، وانه وسيطاً للصلح بينهما. وتشير احدي الوثائق البردية التي ترجع لعام ٢٥٢ق،م وجود بعض الجنود المرتزقة الرومان في الجيش البطلمي([2]).

سادسًا: تأمين الحدود الجنوبية:

منذ عهد الاسكندر الاكبر وبطلميوس الاول كانت هناك حاميات مصرية تتمركز في الفنتين لحماية حدود مصر الجنوبية، وقد ارسل فيلادلفوس حملة الي اثيوبيا سنة ٢٧٦ق.م، لتوطيد حدود مصر الجنوبية، وتامين الطرق التجارية لاعالي النيل([3]).

سياسته فيلادلفوس في قوريني:

تولى حكم قوريني–برقة– "ماجاس" الاخ غير الشقيق لفيلادلفوس منذ عهد سوتير، وبعد تولي فيلادلفوس الحكم اعلن ماجاس استقلاله، وتحالف مع انطيوخس الاول، وتزوج من ابنة انطيوخس "اباما" سنة ٢٧٤ق.م، هذا التحالف شجع ماجاس

([1]) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٣٣.

([2]) الحسين أحمد عبدالله، مصر والشرق الادنى في العصر الهيللينستي، ١٠٤–١٠٥.

([3]) الحسين أحمد عبدالله، مصر والشرق الادنى في العصر الهيللينستي، ١٠٥–١٠٦.

على الزحف الى مصر وكاد يصل الي الاسكندرية لولا قبائل المرماريد على الحدود الغربية لمصر التي صدته. وتحسنت بعد ذلك العلاقات بين الاخوين، واتفقا ان يتزوج ابن فيلادلفوس–بطلميوس الثالث– من برينيكي بنت ماجاس، ولكن بسبب وفاة ماجاس لم يتم الزواج، وارادت اباما ان تزوجها بنتها لديمتريوس اخ ملك مقدونيا، ولجماله وقعت اباما في حبه، فرفضت برينيكي الزواج منه، وقتلته في فراش والدتها ٢٥٥ق،م، وسيطرت على مقاليد الحكم في قوريني وتزوجت بطلميوس الثالث، وبذلك عادت الوحدة بين مصر وقوريني([1]).

سياسة فيلادلفوس في شرق الاردن وفلسطين:

كانت فلسطين بسكانهاا العرب المتأغريقين وبعض اليهود جء من امبراطورية البطالمة، وكانت ذات اهمية اقتصادية كبيرة، فقد كانت فلسطين تمد مصر بزيت الزيتون والخيول العربية والاغنام والرقيق والفضة، واتخذت المدن في فلسطين اسماء بطلمية، وكان المركز الرئيسي للبطالمة في عكا، التي كانت في العصر البطلمي تعرف بمدينة بطلمية، وكان البطالمة يطلقون على منطقة شرق الاردن "ارض عمون"، وعاصمتها قديما عرفت "برباط عمون"، لكن في العصر البطلمي اعيد تسمية العاصمة ب فيلادلفيا تخليدا للملكة ارسينوي الثانية، وكان الشيخ طوبياس او وطوبيا رئيس فرقة فرسان في خدمة البطالمة كان يتولى الحكم في الاقليم نيابة عنه. وكانت سوريا وفلسطين تمد الاسر الكبيرة في مصر بالجواري([2]).

([1]) حسن أحمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٣٤.

([2]) الحسين أحمد عبدالله، مصر والشرق الادنى في العصر الهيللينستي، ١٠٦–١٠٨.

سياسة فيلادلفوس مع شبة الجزيرة العربية:

ارسل فيلادلفوس الحملات الاستكشافية الى الجزيرة العربية، لاحكام السيطرة على طرق التجارة الشرقية، احدى هذه الحملات كانت بقيادة أريستون، فضلا عن ذلك قام فيلادلفوس بانشاء مستوطنة في بلاد العرب تعرف "امبيلوني"، وقد اعد احد الملاحين في عهده كتاب عن مواني‌ء البحرين الاحمر والمتوسط. وذكر اريستون ان اهم قبائل العرب قبيلة ثمود، وتحدث عن ممالك اليمن. ونظرًا لقيام الانباط بالقرصنة ضد السفن المصرية وتهديد التجارة الشرقية مع الجزيرة العربية، قرر فيلادلفوس القيام بحملات لتأديبهم، وتأمين تجارة مصر الشرقية، فشن حملة سنة ٢٧٨ق.م وحملة اخرى ٢٧٧ق.م. لكي ينهي تحكمهم في هذه التجارة كوسيط بين بلاد العرب الجنوبية ومدن ساحل فينيقيا، وذلك بان يتم تبادل السلع الشرقية مباشرة مع السبئيين دون الحاجة الى وساطة الانباط([1]).

بطلميوس الثالث: ٢٤٦-٢٢١ق.م

اشترك بطلميوس الثالث في الحكم مع والده منذ سنة ٢٤٧ق.ن، وانفرد بالحكم سنة ٢٤٦ق.م بعد وفاة فيلادلفوس، كان ميالاً للعلم والثقافة، وكان صديقاً للجغرافي "إراتوسثينس"، مقربا من رعيته ولقب بلقب يورجيتيس اي "الخير"، لما قدمه للشعب اثناء المجاعة التي تعرضت لها مصر بسبب انخفاض فيضان النيل، فتنازل عن بعض الضرائب واستورد القمح من سوريا وفينيقيا، واهتمامة ببناء المعابد، اهمها معبد ادفو، استمر العمل فيه مائة وثمانين عاما اكتمل بنائه في عهد الزمار، ينسب الية محاولة اصلاح التقويم المصري، وحاول تحديد بداية محددة لتاريخ البطالمة،

([1]) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٥٢-٥٣.

واقترح ان تكون سنة وفاة الاسكندر الرابع سنة ٣١١ق.م، لم يتخذ محظيات، واكتفي بزوجة واحدة برينيكي([1]).

الحرب السورية الثالثة:

بعد وفاة انطيوخس الثاني في ظروف غامضة في إفيسوس، ويعتقد بان "لاؤديكي" زوجته الاولى قد قتلته، لتؤمن العرش لابنها. بدلاً من ان ياخد العرش ابن "برينيكي" البطلمية، واعلنت ابنها ملكا تحت اسم "سليوقس الثاني". وارسلت "برينيكي" تستنجد باخيها "يورجيتيس"، الذي اجتاح سوريا السليوقية ودخل انطاكية عاصمة السليوقيين، وعبر الفرات الى بلاد مابين النهرين، وهنا علم بمقتل اخته وابنها، لكنه استمر في اجتياحه وانتصاراته حتى كاد القضاء على مملكة السليوقيين. وفي سنة ٢٤٥ق.م اضطر للعودة لمصر، بسبب المجاعة التي حدثت، وانتهز "سليوقس الثاني" رجوع "يورجيتيس" واستعاد سنة ٢٤١ق.م كل ما استولى عليه "يورجيتيس"، وبقيت سورريا الجنوبية–تشمل فلسطين وساحل فينيقيا– في حوذة البطالمة. وبسبب الصراع على العرش السليوقي بين "سليوقس الثاني" واخية "انطيوخس هيراكس" او ما يعرف بـــ "صراع الاخوين"، لجأ الطرفان لوضع نهاية للحرب، وذلك بعقد معاهدة بينهما في سنة ٢٤١ق.م([2]).

دبلوماسية يورجيتيس:

بعد الحرب السورية الثالثة استخدم يورجيتيس الدبلوماسية سواء مع الدولة السليوقية او الانتيجونية في مقدونيا وبلاد اليونان. فقد استغل الحرب بين سليوقس واخية الاصغر على العرش(حرب الاخوين) في تحريض ودعم انطيوخس هيراكس

([1]) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٣٧.

([2]) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٥٤–٥٥.

ضد اخية بامداده بالمال، حتى يجعل السلوقيين منقسمين على انفسهم ومنشغلين عن التفكير في اختلال جوف سوريا. وعمل على مساندة المدن اليونانية وتحريضها ضد مقدونيا، ويعاب على يورجيتيس ان اعتماده على الدبلوماسية جعله يهمل في تنظيم الجيش وتسليحه([1]).

السياسة الداخلية لبطلميوس الثالث:

كان مثقفاً مصلحاً، على علاقة طيبة بالكهنة، تقرب الى المصريين، فقد عمل على اعادة تماثيل الالهة المصرية التي سلبها الفرس من المعابد المصرية بعد رجوعه من حملته على سوريا. واعلن تنازله عن الضرائب والمتاخرات سواء كانت عينية او نقدية بسبب المجاعة، وعمل على استيراد كميات كبيرة من القمح من الخارج لمواجهة المجاعة. وقد شكره الكهنة المصريين على هذا الموقف النبيل في **قرار كانوب** الصادر في ربيع ٢٣٧ق.م الذي سجلوا فيه اعمال بطلميوس الثالث المجيدة، وشكروه واثنوا عليه، ومنحوه لقب الخير، واهتم ببناء المعابد المصرية، وانشا صرحا او بيلون في الكرنك عرف باسمه، وبدأ في بناء معبد ادفو للاله حورس، بدا من ٢٣٧ واستغرق بنائه ١٨٠ عام اكتمل في حكم الزمار([2]).

([1]) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٣٩.

([2]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٧٥.

الفصل الخامس:

عصر ضعف دولة البطالمة

مقدمة عن العصر:

يبدأ عصر ضعف دولة البطالمة بوفاة بطلميوس الثالث، وتولى ابنه بطلميوس الرابع مقاليد الحكم، وخلال هذا العصر سادت الاضطرابات الداخلية والثورات ضد الحكم البطلمي، وظهر النزاع على العرش بين البطالمة، وتكالبت القوى الخارجية في هذا الوقت ضد دولة البطالمة، وفقدت مصر معظم ممتلكاتها في الخارج على يد مقدونيا والسليوقيين، كما شهد هذا العصر تدخل روما في شؤون مصر الداخلية، بدعوى حمايتها من مقدونيا والسليوققين، الى ان استطاعت روما فرض حمايتها على مصر وضمها الى املاك الشعب الروماني على يد القائد اوكتافيوس سنة ٣٠ق.م.

بطلميوس الرابع (فيلوباتور) ٢٢١-٢٠٥ق.م

يعد عهد بطلميوس الرابع بداية عصر ضعف دولة البطالمة، تولى الحكم في الثانية والعشرين من العمر، اتخذ لقب فيلوباتور ***Philopator*** اي المحب لوالده، للتقرب للشعب المصري، لمعرفته بمدى حب الشعب لوالده. كان يميل الى المجون واللهو والشعوذة والتأليف المسرحي على عكس والده. كان محبًا لديانة ديونيسوس ***Dionysos*** معبود الخمر عند الاغريق، وحاول فرض عبادته على رعاياه الا انه اصطدم باليهود، تزوج شقيقته ارسنوي الثالثة. وقع تحت تأثير رجال القصر اجاثوكليس و سوسيبيوس، وحرضوه لقتل امه وعائلته واصدقائه. وفي نفس الوقت تولى انطيوخس الثالث في سوريا، وفيليب الخامس في مقدونيا، وفي هذا الوقت بدأت تظهر روما على الساحة السياسية الشرقية([1]).

([1]) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٥٧.

الحرب السورية الرابعة ٢٢١ق.م:

اراد انطيوخس الثالث استرداد سوريا الجنوبية التي اخذها بطلميوس الاول سوتير، مستغلًا فيلوباتور الضعيف في الحكم، وسيطرة رجال القصر عليه، وقام بغزو الاقليم في ٢٢١ق.م، لكن انطيوخس فشل بسبب براعة قائد الجيوش المصرية في سوريا الجنوبية وبسبب ثورة قامت ضده في بابل ضده. واخذ سوسيبيوس في بث القلاقل في الدولة السليوقية، ودخل مع انطيوخس في مفاوضات وهمية لكسب الوقت، لاستغلال الوقت في اعداد الجيش البطلمي، ونظراً لصعوبة الحصول على جنود مرتزقة، لجأ سوسيبيوس الى تجنيد عشرين الفًا من المصريين في الجيش. وكانت هذه اول مرة يشترك فيها المصريين في التنظيم الاساسي للجيش البطلمي، فقد اقتصرت مشاركتهم في معركة غزة في ٣٢١ق.م على الخدمات المساعدة فقط([1]).

معركة رفح ٢١٧ق.م

٢١٨ق.م زحف انطيوخس الثالث بجيشة الى سوريا الجنوبية، ووالبداية كانت لصالحه بسبب الخلاف الذي حدث بين القائد المصري ثيودوتوس وبين القصر في الاسكندرية، فعينوا اخر بدلا منه، فقام ثيودوتوس بالانضمام الى انطيوخس، فضلا عن ذلك لم يستطيع سوسيبيوس ارسال تعزيزات عسكرية كفاية، مما ادي الى استيلاء انطيوحس على فينيقيا وغزة، تمت المواجهة بين الطرفين بالقرب من رفح ٢١٧ق.م. وبالرغم من فرار الملك البطلمي من المعركة بعد سحق الفرسان السليوقيين للفرسان البطالمة، الا ان المشاة من الفلاحين المصريين كان لهم الفضل في تحقيق الانتصار على المشاة السليوقيين. وهكذا احتفظت مصر بسيادتها على

([1]) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٥٧-٥٨.

سوريا الجنوبية بما فيها فينيقيا وفلسطين. وبعد هذه المعركة لم يخرج فيلوباتور لاي معركة واعتمد على سلاح الدبلوماسية واثارة المدن الاغريقية ضد مقدونيا([1]).

موقفه من الحرب البونية الثانية والحرب المقدونية الاولى:

اثناء الحرب البونية الثانية قام هانيبال باحراق حقول القمح والمحاصيل في ايطاليا مما جعل روما تقوم بارسال الوفود الى مصر في الفترة من ٢١٥-٢١٠ق.م، ويرجع الناصري ان مصر ساعدت روما اقتصاديا في هذه الفترة، لان الرومان عبروا عن شكرهم للملك بطلميوس الخامس عقب هزيمة هانيبال على الدور الذي لعبه والده لصالحهم. اما خلال الحرب المقدونية الاولى ٢١٢-٢٠٦ق.م بين روما وفيليب الخامس ملك مقدونيا فالتزم فيلوباتور بالحياد، حتى ان فيليب عرض عليه مساعدته في القضاء على الثورات الوطنية المصرية مقابل الوقت الى جانبه لكن فيلوباتور فض واصر على الوقوف على الحياد([2]).

السياسة الداخلية:

بعد عودته من رفح منتصرًا على السليوقيين اعلن زواجه من اخته ارسينوي الثالثة، وفي مناسبة الزواج الملكي تم اعلان تاليه الملك والملكة تحت اسم فيلوباتور (اي المحب او المحبة لوالدها)، وذلك للتقرب للشعب، الذي كان يحب بطلميوس الثالث. وخلال حكمه قامت ثورة عارمة ضده في الدلتا ووصلت للصعيد في طيبة، وتغلغلت روح الثورة في نفوس المصريين، وظهرت نبوءة الفخار، التي تتنبأ بظهور احد ابناء اهناسيا الذي سوف يحرر مصر من الاجانب الاغريق. وادت الثورة في الصعيد الى استقلال طيبة عن حكم البطالمة حتى ١٨٥ق.م في عهد بطلميوس

([1]) حسام احمد المسيري، تاريخ مصر اليونانية الرومانية، ص ٢٨-٢٩.

([2]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٨١.

الخامس. وخلال هذه الثورة تلقت طيبة مساعدة وتأييد من الدولة الاثيوبية في الجنوب([1]).

بطلميوس الخامس ابيفانيس المتجلي: ٢٠٥-١٨٠م

عند وفاة بطلميوس الرابع كان بطلميوس الخامس في السادسة من العمر، تم اخفاء موت بطلميوس الرابع لبضعة شهور، وتزوير وصية بان الملك الراحل اوصى بان يكون سوسيبيوس وأجاثوكليس أوصياء على ابيفانيس، ودبروا لاغتيال امه ارسينوي الثالثة، حتى لا تكون وصية عليه، وحمل لقب "ابيفانيس" اي "الاله المتجلي"، وبسبب عدم اقتناع الحاضرين في القصر بالوصية المزورة قامت ضدهم ثورة ادت الى مقتلهما، وتم تعيين اتليبوليموس وصيًا لكنه سرعن ما عزل من منصبه وتم تعيين ارستومنيس وصيًا على الملك الصغير(٢).

الاحوال الداخلية:

استمرت الثورات الداخلية في مصر، مما اضعف من السلطة المركزية، ودفعها الى التقرب الى المصريين لكسب ودهم. حيث اعلن تتويج الملك حسب التقاليد الفرعونية في منف وليس الاسكندرية، والغيت بعض الضرائب وحفضت اخرى، وتنازلت الدولة عن الديون المتأخرة على الافراد، واصدر عفو عن الجنود المصريين الذين انضموا للثوار، وتولى المصريين مناصب عليا في الجيش والادارة، ومنح الكهنة العديد من الامتيازات التي ورد ذكرها في حجر رشيد او قرار الكهنة في ممفيس ١٩٦ق.م، وفي ١٩٧ق.م عين "ارستومنيس" مستشارًا للملك بدلًا من وصي. وانتصر الملك في ١٩٧ق.م على الثورا بسبب ارتفاع الفيضان الذي حاصر الثوار، الا ان المعاملة الوحشية التي عامل بها الملك الثوار، ادت الى اشتداد مقاومتهم، وعدم الاستسلام الا في سنة ١٨٥ق.م في طيبة وفي سنة ١٨٣ق.م. وادت الثورات

([1]) حسام احمد المسيري، تاريخ مصر اليونانية الرومانية، ص ٢٩.

([2]) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٤٥.

في طيبة الى تغير الوضع الاداري لنوموس او اقليم لطيبة فتم تعيين نائب للملك في طيبة او ابستراتيجوس له مطلق السلطات في اقليمه، بينما كان يحكم النومات الاخرى حاكم الاقليم او الاستراتيجوس(١).

الحرب السورية الخامسة ٢٠١ق.م

انتهز انطيوخس الثالث ملك الدولة السليوقية وفيليب الخامس فترة الضعف التي تمر بها دولة البطالمة التي يتربع على عرشها ملك صغير ضعيف، وتوصوا الى عقد اتفاق فيما بينهم لاقتسام الممتلكات الخارجية لمصر، على ان يأخذ كل منهم الاملاك القريبة من حدود دولته، فياخذ فيليب ممتلكات مصر تراقيا والدردنيل وجزر الكيكلاديس، وانطيوخس ياخذ اقليم جوف سوريا وساحل فينيقيا وممتلكات مصر في اسيا الصغرى. بدأت الحرب السورية الخامسة ٢٠١ق.م باستيلاء انطيوخس على الساحل الفينيقي وجوف سوريا وغزة، وهزم البطالمة في موقعة بانيون ٢٠٠ق.م بالقرب من نهر الاردن، واستعاد ممتلكاته فياسيا الصغرى من البطالمة. اما فيليب فاستولى على ممتلكات مصر عند مضيق البسفور وفي جزر الكيكلاديس وتراقيا، وبذلك لم يتبقى من الممتلكات الخارجية لمصر سوى قوريني وقبرص(٢).

العلاقات مع بلاد النوبة:

خلال عهود البطالمة الثلاثة الاوائل كانت هناك علاقات وثيقة بين مصر ومملكة "مروي" في النوبة، للحصول على الافيال المستأنسة من النوبة. ولكن منذ عهد بطلميوس الخامس فترت وساءت العلاقات وتحولت الى علاقات عدائية، حيث قام ابيفانس بتشوية اسم الملك المروي "أركاماني" على معابد الحدود بين مصر والنوبة التي كانت تعرف في هذا الوقت ببلاد الاثيوبيين. ويرجع السبب في سوء العلاقات بين الجانبين الى فقدان البطالمة لطرق القوافل البرية عبر الشام بعد الحرب السورية الخامسه، واعتمادهم على طريق التجارة في البحر الاحمر، وتحويلهم مراكز

(١) حسام احمد المسيري، تاريخ مصر اليونانية الرومانية، ٣١-٣٢.

(٢) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٤٥-٤٦.

صيد الافيال القديمة الى قلاع عسكرية دائمة، مما دفع المرويين الى تحريض الثوار المصريين وكهنة آمون في طيبة ضد البطالمة. فقد كان ملوك النوبة يهدفون الى التوسع شمالاً وطرد البطالمة من مصر أو على الاقل ايقاف التوسع البطلمي ناحية الجنوب(١).

زواج بيفانيس: ١٩٢ق.م

تزوج ابيفانيس من بنت انطيوخس الثالث، كليوباترا، تم الاحتفال بالزواج في رفح، يعتقد البعض ان جوف سوريا ذهبت كمهر من العروسة الى ابيفانيس، ولكن الارجح ان دخل الاقليم فقط ذهب لابيفانيس، جاء هذا الزواج بسبب ضعف الملك، ولتحسين العلاقات مع السليوقيين، واتقاءً لخطورة انطيوخس الثالث على مصر(٢).

حجر رشيد: ١٩٦ق.م

نظرًا للمنح والهبات التي اغدقها ابيفانيس على الكهنة، فانهم اجتمعوا في منف سنة ١٩٦ق.م، واصدروا قرارًا للتعبير عن امتنانهم وشكرهم له، كتب القرار باللغة المصرية القديمة بخطيها الهيروغليفي والديموطيقي ثم باليونانية. ودون على حجر من البازلت الاسود، عثر عليه احد الجنود الفرنسيين ١٧٩٩م، بالقرب من مدينة رشيد، تمكن شامبليون الفرنسي من فك رموز الكتابة الهيروغليفية من خلال هذا القرار(٣).

بطلميوس السادس فيلوميتور: ١٨٠-١٤٥ق.م

توفي ابيفانيس مسمومًا في ١٨٠ق.م، تاركًا ثلاثة ابناء صغار اكبرهم سيكون بطلميوس السادس والاصغر بطلميوس الثامن وبنت هي كليوباترا الثانية. عرف بطلميوس السادس بلقب "فيلوميتور" اي "المحب لامه" "كليوباترا الاولى" بنت

---

(١) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٩٠-٩١.

(٢) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٦٧.

(٣) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٦٨.

"انطيوخس الثالث"، ١٧٦ ماتت امه وانفرد بالحكم، وتولى الوصاية عليه اثنان من العتقاء يولايوس و لينايوس. اتجهت سياستهم الى محاباة الرومان ومعادة السليوقيين، مما ادي الى اندلاع الحرب السورية السادسة، تزوج سنة ١٧٥ق.م من اخته كليوباترا الثانية، وتوج ملكاً في سنة ١٧٢ق.م(١).

الحرب السورية السادسة: ١٧٠ق.م

دبر يولايوس و لينايوس المؤامرات لاستعادة جوف سوريا، واستغلوا انشغال النطيوخس الرابع بالقضاء على الفتن في مملكة يهوذا، لذلك بادر انطيوخس الرابع بشن حملة عسكرية لغزو مصر سنة ١٧٠ق.م، واستطاع هزيمة القوات البطلمية عند بيلزيوم، ووصل الى منف وتوج بها فرعونًا مثل الاسكندر. وهرب الى ساموتراقيا، ولكن استدعاه خالة انطيوخس الى منف، وتم عقد اتفاق بينهما ان يعترف بطلميوس بحماية انطيوخس ، مما اغضب السكندريين، ونادوا باخية الاصغر بطلميوس الثامن ملكاًا على لمصر. مما دفع انطيوخس الى الزحف من منف الى الاسكندرية بحجة اعادة الملك الشرعي فيلوميتور الى الحكم. وحاصر الاسكندرية، لكن انسحب انطيوخس بسبب ثورة اليهود في بيت المقدس. وقد اتفق الاخوان على حكم مصر معًا مع اختهما كليوباترا الثانية، فيلوميتور في منف، والاخر يحكم في الاسكندرية، لكي يفوتوا الفرصة على انطيوخس لغزو مصر(٢).

عصا بوبيليوس لايناس:١٦٨ق.م

عاد انطيوخس مرة اخرى لغزو مصر ١٦٨ق.م، وطلب منه فيلوميتور الانسحاب وانه تصافى مع اخية، لكنه رفض وطلب الحصول على قبرص وبيلوزيوم والمنطقة المجاورة لها للانسحاب، لكن فيلوميتور رفض، ولذلك تقدم انطيوخس نحو منف، ومنها تقدم لمحاصرة الاسكندرية وسط مقاومة شديدة، استنجد الملكان بروما، التي ارسلت احد سفرائها، الذي يحمل قرار من السناتو يطالب انطيوخس

(١) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان،٩٣.

(٢) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٥٠.

بالانسحاب الفورى من مصر اذا رغب ان يكون صديقا للرومان، واذا رفض فانه سيصبح عدوا في نظر السناتو يجب محاربته، وعند ضواحي الاسكندرية، سلم السفير القرار لانطيوخس، وطالبه بالقبول او الرفض، وعندما حاول انطيوخس المماطلة وتسويف الامر، رسم السفير بوبليوس لايناس بعصاة الرسمية دائرة حول انطيوخس طالبا منه رد يرجع به للسناتو قبل ان يخطو خطوة خارج الدائرة. وعندئذ مد الملك يده لمصافحة السفير، واعلن انسحابه من مصر وقبرص، وهذه الحادثة كانت البداية لفرض الحماية الرومانية على مصر([1]).

ثورة ديونيسيوس بيتوسيرابيس:

نظرا لتدخل الرومان في مصر، فإن السكندريين ثاروا بزعامة أحد الاغريق "بيتوسيرابيس"، وطالبوا بطرد فيلوماتيور وتعيين أخيه الاصغر ملكاً على مصر، لكن الاخوان تعاونا من أجل القضاء على الثورة التي امتدت للصعيد، وذهب فيلوميتور لاخمادها ١٦٤ق.م، واستغل "يورجيتيس الثاني" الفرصة واستولى على الحكم، وهرب فيلوميتور إلى روما، لتعيده روما للحكم، وقد اقترح وفد السناتو ان يتولى الاخ الاصغر برقة، وان يحكم الاخ الاكبر مصر وقبرص، طمع الاخ الاصغر في حكم قبرص أيضاً، ولكي يقنع الرومان–بطلميوس الثامن– بأن يعطوه قبرص الى جانب برقه ليحكمها، كتب وصية بان تؤل برقة للرومان اذا مات دون وريث. وانفرد فيلوميتور بحكم مصر وقبرص، واستطاعت الحماية الرومانية على مصر في هذا الوقت اختيار الملك الذي يرتقي عرش مصر.ولانفراده للمرة الثانية بحكم مصر اصدر فيلوميتور قرار في سنة ١٦٣ق.م بالعفو عن جميع الجرائم، وقام ببناء المعابد والتقرب للكهنة([2]).

([1]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٩٤–٩٥.

([2]) حسام احمد المسيري، تاريخ مصر اليونانية الرومانية، ٣٥.

الحرب السورية السابعة:

استغل بطلميوس السادس النزاع الاسري الذي شب حول العرش السليوقي بعد مقتل انطيوخس الرابع ١٦٣ق.م، لاستعادة جوف سوريا، وذلك من خلال مساندته لاحد المدعين بالعرش السليوقي، وهو ديمتريوس الثاني سنة ١٤٥ق.م، وزوجه من بنته كليوباترا، وبالفعل استرد بطلميوس جوف سوريا كمقابل لوضع ديمتريوس الثاني على عرش سوريا([1]).

بطلميوس الثامن يورجيتيس الثاني ١٤٤-١١٦ق.م:

عندما توفي بطلميوس السادس في سنة ١٤٥ق.م تولى ابنه بطلميوس السابع –نيوس بيوس فيلوباتور اي فيلوباتور الجديد– الحكم تحت وصاية أمة كليوباتر الثانية، وكانت هذه الملكة تعتمد على تأييد اليهود، لذا نادى السكندريين ببطلميوس الثامن حاكم برقة ان يكون ملكا على مصر نكاية في اليهود، اقر الرومان عودته من برقة وتولى حكم مصر على أن يتزوج من أرملة أخية، وفي ١٤٤ تخلص بطلميوس الثامن من بطلميوس السابع وأعلن نفسه ملكاً، وتزوج من كليوباترا الثالثة بنت اخية وبنت كليوباترا الثانية، ١٣٢ق.م، قادت كليوباترا ثورة ضده في كل مصر عرفت بالهوجة أو ***Amixia*** امتدت إلى طيبة، وفر بطلميوس الثامن ولم يتمكن من العودة الا بمساعدة حلفائه الرومان، وتمكن من القضاء عليها في ١٢٧ق.م، وفرت كليوباترا الثانية إلى انطاكية عاصمة السليوقيين مستنجدة بالسلوقيين لاعادتها إلى العرش([2]).

وثيقة العفو العام ١١٨ق.م:

بعد التصالح بين بطلميوس الثامن وكليوباترا الثانية، ولتهدئه احوال البلاد بسبب الثورات ونشر الامن والسلام، اصدر يورجيتيس الثاني–بطلميوس الثامن– وكليوباترا الثانية وكليوباترا الثالثة وثيقة "العفو العام" ***Philanthropa*** لارضاء

([1]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٩٧-٩٨.

([2]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ٩٨-١٠٠.

الثوار المصريين ونصت علىهذه الوثيقة على اعفاء الثوار من بعض الخدمات الاجبارية، وثبت ملكيتهم للحيازات العسكرية، واعادة الامن والنظام، وفرض عقوبات صارمة على المخالفين للقانون والمنحرفين واللصوص، والعفو التام عن كل الجرائم التي ارتكبت من قبل ماعدا لصوص المعابد والمتهمين بالقتل، والتنازل عن معظم الضرائب والمتأخرات، ومنع موظفي الضرائب من استخداد العنف مع الفلاحين، وتشجيع زراعة الاراضي البور([1]).

بطلميوس التاسع سوتير الثاني: ١١٦-١٠٧.م/ ٨٨- ٨٠ق.م

بعد وفاة بطلميوس الثامن ١١٦ق.م، كان له اربع ابناء هم "بطلميوس ابيون" من إحدى محظياته الذي أصبح حاكمًا لبرقة، وإبنه الاكبر "بطلميوس التاسع"، و"كليوباترا الرابعة"، و"كليوباترا الخامسة"، في سنة ١١٦ق.م تولى بطلميوس التاسع حكم مصر بالاشتراك مع امه كليوباتر الثالثة، وتزوج من اخته كليوباترا الرابعة، طلقها بعد فترة وتزوج من اخته الاخرى كليوباترا الخامسه او كليوباترا القمر او سيليني، ولم يكن سوتير الثاني على وفاق مع امه واخته كليوباترا الرابعة، لذلك ذهبت اخته كليوباتر الرابعة الى سوريا لكي تجمع جيش لمحاربته، لكنها ماتت هناك([2]).

بطلميوس العاشر الاسكندر الاول ١٠٧ق.م-٨٨ق.م

نظرًا لعدم وجود وفاق بين بطلميوس التاسع وامه كليوباترا الثالثة، فانها حرضت في سنة ١٠٧ق.م شعب الاسكندرية ضده، وولت بدلًا منه ابنها الاصغر بطلميوس العاشر الذي لقب بلقب "الاسكندر الاول" واشتركت معه في الحكم من سنة ١٠٧ الى وفاتها سنة ١٠١ق.م. بينما هرب "سوتير الثاني" الى قبرص، وحكم "الاسكندر الاول" منفردًا دون شريك من سنة ١٠١ق.م الى سنة ٨٨ق.م، ففي هذه السنة ثار الشعب ضد بطلميوس العاشر لاتهامة بمقتل والدته، واستيلائع على

([1]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ١٠٠.

([2]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ١٠١.

التابوت الذهبي للاسكندر الاكبر لدفع رواتب الجنود، لذلك هرب الى سوريا ومنها الى قبرص ومات هناك، وتم استدعاء بطلميوس التاسع سنة ٨٨ق.م من منفاه في قبرص لتولى الحكم، وظل يحكم مصر حتى سنة ٨٠ق.م(١).

٩٦ق.م تنازل بطلميوس ابيون عن مملكة قوريني للرومان:

تنازل بطلميوس ابيون –ابن بطلميوس الثامن– حاكم مملكة قوريني عنها للرومان، بموجب وصية أوصي فيها أن تؤول برقة للرومان إذا مات دون وريث، وعند موت بطلميوس أبيون في ٩٦ق.م، أعلن السناتو قبول الوصية وضم برقة إلى أملاك الشعب الروماني، وفي ذلك الامر سار ابيون على خطى والدة بطلميوس الثامن الذي اوصى من قبل بان تؤل قوريني الى روما خلال حكمه لها قبل توليه حكم مصر، ولكن الساناتو وضع يده فقط على ممتلكات ابيون الخاصة والاراضي الملكية وتحصيل الضرائب السنوية، بينما منح الاستقلال للمدن الخمسة التي تالفت منها قوريني، وفي سنة ٧٤ق.م قام السناتو بتنظيمها في شكل ***Provincia*** ولاية رومانية، وبذلك كانت قوريني اول ممتلكات البطالمة التي سقطت في يد الرومان(٢).

بطلميوس الحادي عشر الاسكندر الثاني: ٨٠ق.م

بعد وفاة بطلميوس التاسع سنة ٨٠ق.م، ترك بنت تسمى "برينيكي الثالثة" التي تولت العرش بمفردها بعد وفاة والدها، واصبح من الضروري البحث لها عن زوج من السلالة البطلمية، وتزوجت من ابن بطلميوس العاشر من إحدى عشيقاته، كان يعيش في جزيرة "كوس" ثم انتقل إلى روما، وتربي في كنف "سوللا" الذي بعثه لحكم مصر، ليكون ملكًا عميلًا للرومان، وعرف بـ "بطلميوس الحادي عشر"، الذي تزوج "برينيكي الثالثة" بنت عمه، لكنه قتلها بعد ٢٠يوم من الزواج، وكانت تتمتع بحب السكندريين، مما اغضب السكندريين الذين ثاروا ضده وقتلوه(٣).

---

(١) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ٥٦.

(٢) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٥٥–٥٦.

(٣) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٧٥.

وفي هذا الوقت ادعت روما بان بطلميوس الحادي عشر اوصي بان تؤول مصر الى روما بعد وفاته، الا ان هذه الوصية مشكوك في صحتها، وعلى الارجح انها مزورة من الحزب الشعبي الروماني الطامع في الاستيلاء على مصر وخيراتها([1]).

بطلميوس الثاني عشر نيوس ديونيسوس او ديونيسوس الجديد ٨٠-٥١ق.م:

بحثا عن وريث للعرش البطلمي عثر الرومان على ابنين غير شرعيين لبطلميوس التاسع، اصغرهما عين حاكم لقبرص، أما أكبرهما تولى عرش مصر ولقب بـ "ديونيسوس الجديد" واضاف الى اسمه لقب "فيلادلفوس الثاني"، واضاف لنفسه لقب فيلادلفوس الثاني بعد زواجة من اخته كليوباترا السادسة، ولقبه السكندريين بلقب "الزمار" أو "اوليتيس" لعشقه العزف على مزماره، أما الاخ الثاني عين حاكمًا لقبرص. لكن الرومان احتجوا على هذا الامر، ورأوا في تعيين بطلميوس الثاني عشر مخالفة لوصية "بطلميوس الحادي عشر" بان تؤول مصر إلى الرومان. لذلك احذ الزمار يدفع الرشاوى والهدايا لزعماء الحزب الجمهوري حتي ينال الاعتراف به حاكمًا لمصر. وقد اتت هذه الرشاوى اكلها، فعندما تقدم نقيب العامة كراسوس في سنة ٦٥ق.م بمشروع لاحتلال مصر وفرض ضرائب عليها، اعترض السناتو بايحاء من بومبي، ودافع شيشرون عن "الزمار"([2]).

تنازل الزمار عن قبرص ٥٩ق.م

مقابل الاعتراف به ملكا على مصر تنازل الزمار عن جزيرة قبرص لصالح الشعب الروماني، وحصل على اعتراف رسمي بانه ملك شرعي على مصر واصبح حليفًا للرومان، وقامت روما في سنة ٥٨ق.م بتحويلها الى ولاية رومانية، واعتراضا

([1]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ١٠٤.

([2]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ١٠٦-١٠٧.

على هذا الامر انتحر ملك قبرض شقيق الزمار، وقامت ثورة في الاسكندرية وهرب الزمار الى روما([1]).

الزمار يشتري شرعيته بالرشاوي:

واخذ هناك يدفع الرشاوي لقادة الحزبين المتنافسين على إعادته للعرش، واصبح يستدين من المرابين الرومان خاصة "رابيريوس" لدفع الرشاوى، وفي سنة ٥٥ق.م أعاده والى سوريا "جابينيوس" للعرش بإيعاز من "بومبي" أو من خلال إغراء "الزمار" له بمكافأة ضخمة، وتظرًا لعدم مقدرته على سداد ديونه التي اقترضها من رابيريوس، فإنه عرض على رابيريوس تعيينه أميناُ للخزانه، مما أثار عليه السكندريين، وهرب رابيريوس إلى روما سرًا. ومات "الزمار" في سنة ٥١ق.م، وترك وصية بان يتولى العرش أكبر بناته–كليوباترا السابعة– وأن تتزوج أخيها بطلميوس الثالث عشر، وان تشرف روما على تنفيذ وصيته([2]).

كليوباترا السابعة: ٥١– ٣٠ق.م

عندما تولت كليوباترا السابعة العرش كانت تبلغ سبعة عشرة، وقد تمتعت بذكاء وطموح كبير، دخلت في صراع مع رجال البلاط، الذين اتهموها بمحاولة الاستيلاء على الحكم دون اخيها، هربت إلى الصحراء الشرقية لتكوين جيش من البدو، وفي هذا الوقت في روما كانت الحرب الأهلية مشتعلة، وانتصر "يوليوس قيصر" على "بومبي" في معركة "فارسالوس"، وهرب "بومبي" الى مصر، ليساعده الزمار، لكنه فوجيء بان الزمار مات، وعندما نزل من القارب قتله احد جنود "بطلميوس الثالث عشر"، حتى لا يتحجج "قيصر" بوجود "بومبي" فيها ويغزو مصر. لقد حزن "قيصر" على مقتل "بومبي". وطلب بناء معبد لربة الرحمة في الاسكندرية لتدفن فيه رأس بومبي، ونظرًا للخلاف الذي نشب بين كليوباترا واخيها حول العرش، فان قيصر قام بالتحكيم بين كليوباترا وبطلميوس الثالث عشر، واقترح "اخيلاس" قائد

([1]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ١٠٧.

([2]) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٧٧.

الجيش البطلمي بالتمركز بالقرب من الاجتماع، واعطاء الاشارة بالهجوم على قيصر اذا انحاز الى جانب كليوباترا([1]).

حرب الاسكندرية٤٨ق.م:

انتهت جلسة التحكيم التي عقدها قيصر بين كليوباترا وبطلميوس الثالث عشر، بقرار قيصر بمشاركة كليوباترا لبطلميوس الثالث عشر في الحكم، الا ان بطلميوس رفض ذلك، واعطى الاشارة لقائدة "اخيلاس بالتدخل"، واستغل بطلميوس ضعف موقف قيصر وقلة عدد جنوده، واعلن الحرب باسم الدولة ضد التدخل الاجنبي، وعرفت هذه الحرب بحرب الاسكندرية، تم فيها احراج قيصر وكاد ان يفقد حياته، وحرص قيصر خلال هذه المعركة على السيطرة على منطقة القصر الملكي والميناء حتى يتمكن من التواصل مع القوات الرومانية خارج مصر، وحاول السيطرة على الجسر بين جزيرة فاروس والمدينة الا انه فشل، وفقد قيصر خلال هذه الحرب ٤٠٠ من جنوده، وكاد ان يقتل لولا ان القى بنفسه الى الماء وسبح الى سفينته. وبفضل الامدادت والقوات التي وصلت اليه من سوريا تم حصار الاسكندرية واستطاع هزيمة خصومة ودخول المدينة، وانتهت المعركة بموت بطلميوس غرقاً، وتم اعلان كليوباترا ملكة بالاشتراك مع اخيها "بطلميوس الرابع عشر" الذي زوجها منه([2]).

علاقة كليوباترا بيوليوس قيصر:

دخل قيصر الاسكندرية منتصرًا في سنة ٤٧ ق.م، وقضى الشتاء مع كليواباترا في رحلة نيلية الى الصعيد، وتنازل لها في هذا الوقت عن قبرص، ثم غادر الى روما. و انجبت كليوباترا السابعة من قيصر ابنا واسمته قيصر ، الا ان السكندريين تهكموا عليه وسموه "قيصرون"، وفي ٤٦ق.م قامت كليوباترا بزيارة الى قيصر في روما باعتبارها عشيقته، واعترف قيصر ببنوة ابنة من كليوباترا، واقام لها

([1]) سيد احمد على الناصري، مصر تحت حكم الاغريق والرومان، ١٠٨-١٠٩.

([2]) حسام احمد المسيري، تاريخ مصر اليونانية الرومانية، ٤١-٤٢.

تمثال من الذهب في معبده الجديد المخصص للربة فينوس، مما ادى الى انتشار شائعة بانه ينوي تحويل روما الى مملكة يكون هو وكليلوباترا ملوكها. مما دفع رجال السناتو من الحزب الجمهوري الى اغتياله في سنة ٤٤ق.م داخل السناتو، وعادت كليوباترا الى مصر، وبعد عودتها بفترة وجيزة مات اخوها بطلميوس الرابع عشر في ظروف غامضة، واعلنت ابنها قيصرون شريكا لها في الحكم واطلق عليه بطلميوس الخامس عشر قيصر(١).

علاقة كليوباترا بماركوس انطونيوس:

انتهت الحروب الاهلية سنة ٤٢ق.م في روما بهزيمة قتلة قيصر في معركة "فيليبي"، وتم توزيع ادارة الولايات الرومانية بين انطونيوس واوكتافيوس، فتولى انطونيوس ادارة الولايات الشرقية، بينما الولايات الغربية كانت من نصيب اوكتافيوس. اما ايطاليا فكانت مشاعا بينهما، وخلال وجوده في الشرق ارسل الى بعض الملوك والقادة الشرقيين لتوضيح موقفهم خلال الصراع مع قتلة قيصر، وكانت كليوباترا واحده من هؤلاء الملوك، ومن اللحظة الاولى استولت كليوباترا على فؤاد انطونيوس ووقع في حبها، وعلى الرغم من موقفها المتخاذل في هذا الصراع مع قتلة قيصر، الا انها نجحت في اقناعه بمبرراتها، وغادرت افيسوس للاسكندرية، ووجهت له دعوة لزيارتها، وذهب انطونيوس لمصر، وقضى فيها شتاء ٤١-٤٠ق.م، وقد ساءت العلاقات بين اوكتافيوس وانطونيوس، بسبب كشف اوكتافيوس لتدبير زوجة انطونيوس وشقيقة مؤامرة لاغتياله، واعتقد اوكتافيوس بضلوع انطونيوس فيها، مما ادى الى تدهور العلاقات. لكن بعد وفاة زوجة انطونيوس تم عقد صلح برنديزي سنة ٤٠ق.م بينهما، وتم تدعيم الصلح بزواج انطونيوس من اكتافيا شقيقة اوكتافيانوس، لكن العلاقات بينهما ساءت مرة اخرى، لاستئناف انطونيوس علاقة مع كليوباترا وزواجه منها ٣٧ق.م، واعترافه بالتوأم الذي انجبه منها كابناء شرعيين، واعلانه لقيصرون ابنًا شرعيًا ليوليوس قيصر، واقامة احتفال النصر الذي حققه على ارمينيا

(١) حسام احمد المسيري، تاريخ مصر اليونانية الرومانية، ٤٢.

في سنة ٣٤ق.م في الاسكندرية، وتوزيعه الولايات التي فتحها على كليوباترا وابنائها، ووصفها بالملكة ام الملوك، وطلاقة لاوكتافيا شقيقة اوكتافيوس سنة ٣٥ق.م([1]).

معركة اكتيوم البحرية ٣١ق.م

شن اوكتافيوس حملة دعائية شعواء لتشوية صورة انطونيوس، والتنديد بعلاقتة بالملكة الشرقية، واستطاع اثارة الرأي العام ضد انطونيوس وكليوباترا، بان انطونيوسحول الولايات الشرقية الى مملكة له ولكليوباترا، وحث اعضاء السناتو على يمين الولاء له لانقاذ املاك الشعب الروماني، واصدر قرار بالغاء سلطة انطونيوس العليا. واعلن الحرب ضد كليوباترا وليس انطونيوس؟، ووقعت المعركة في خريف ٣١ق.م عند اكتيوم على الساحل الغربي لبلاد اليونان، وكان لوجود كليوباترا في المعركة تأثير سلبي على جنود انطونيوس واضعاف روحهم المعنوية، فقد شعروا بانهم يحاربون من اجل ملكة اجنبية وليس من اجل زعيمهم الروماني، لذلك انسحب البعض وانضم الى جانب اوكتافيوس. لحق الهزيمة بانطونيوس وكليوباترا وانسحبوا باسطولهم الى مصر، واستسلمت قوات انطونيوس البرية على ساحل بلاد اليونان لاوكتافيوس. ودخلت كليوباترا الاسكندرية معلنة انتصارها بتزيين مقدمة سفينتها بشارات النصر، وذلك لكي توهم الشعب حتى لا يثورا عليها في حالة هزيمتها. وغزا اوكتافيوس مصر بجيشين احدهما تولى قيادت ودخلها من ناحية الشرق بعد ان استولى على بيلوزيوم والاخر بقيادة كورنيليوس جالوس من الغرب بعد ان استولى على برايتونيوم. واشاعت كليوباترا في هذا الوقت انتحارها، فانتحر انطونيوس، وحاولت التفاوض مع اوكتافيوس لكنه رفض، وانتحرت بثعبان الكوبرا، رمز الخلود عند المصريين، وفي اغسطس دخل اوكتافيوس الاسكندرية وقتل قيصرون وأسر باقي ابناء كليوباترا([2]).

([1]) ابو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٨٢-٨٣.

([2]) حسن احمد، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ٧٣-٧٦.

الفصل السادس:

الحياة الاقتصادية في عصر البطالمة

مقدمة:

اولى البطالمة اهتمامًا كبيرًا باقتصاد مصر، فقد كانوا يعملون بكل جد ونشاط في النهوض به باستخدام افضل الوسائل التي توفر لهم اكبر دخل باقل تكاليف، وذلك من اجل توظيف هذه القوة الاقتصادية في مشروعاتهم التوسعية لتكوين امبراطورية خاصة بهم على حوض البحر المتوسط. وحاجتهم للمال لتكوين جيش قوي يحتاج الى موارد اقتصادية كبيرة، للتكفل بدفع رواتب الجنود وتزويدهم بالامدادات والمؤن والاسلحة. فضلًا عن ذلك فان السياسة الدبلوماسية التي اتبعها البطالمة مع القوى الخاجية كانت تتطلب موارد اقتصادية، لاعتماد هذه الدبلوماسية على المال لشراء رضاء الدول وذوي النفوذ. ولا شك أن موارد مصر قد تعرضت للتدهور نتيجة للاضطرابات التي شهدتها البلاد خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد خلال فترة الحكم الفارسي لمصر وثورات المصريين لطردهم من البلاد[١].

أولًا: الزراعة:

اذا كان هيردوت يقول "ان مصر هبة النيل"، فإن البطالمة فطنوا منذ وصولهم الى مصر الى عدم صحة هذه المقولة واطلاقها على عناتها، فلا احد يستطيع ان ينكر اهمية النيل في تكوين الحضارة المصرية وامداد مصر بشريان الحياة، الا ان النيل وحده لا يكفي، والا لماذا لم تقم حضارات مثيلة اخرى كحضارة مصر على وادي النيل، السبب ان الحضارة هي نتاج مقومات طبيعية وبشرية، والمقوم الطبيعي نهر النيل، والمقوم البشري، النشاط الذي قام به الانسان المصري القديم من اجل ترويض نهر النيل واستغلاله لصالحه على افضل وجه ممكن.

---

(١) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ١.

لذلك اعتنى البطالمة بشق القنوات والترع واقامة الجسور وصيانتها، واهتموا بتوصويل المياة الى الاراضي المرتفعة التي لا يصل اليها ماء الفيضان، فضلا عن ذلك اخترع الاغريق وسائل جديدة لنقل المياة الى الاماكن المرتفعة وهما الساقية والطنبور–لولب ارخميديس–. هذا الى جانب الشادوف المصري. وللمحافظة على خصوبة التربة وعدم انهاكها وضعوا نظاما للدورة الزراعية ، بحيث لا يتم زراعة الارض زراعة ثقيلة لمدة ثلاث سنوات متتالية([1]).

واهتم البطالمة باستصلاح الاراضي خاصة في الفيوم، فقد حولوا مناطق واسعة من المستنقعات والصحاري الى ارض صالحة للزراعة وللسكن، وجعلها اماكن خاصة بالجنود، وكان يقوم بالاستصلاح عمال احرار تحت اشراف متعهدين ومهندسين اغريق، ياخذون اجرهم من الحكومة، وادى الاستصلاح الى انشاء عدد كبير من القرى في الفيوم، وصل عددها الى ١١٤ قرية ومعظم سكانها من الجنود المستوطنين، منها ٦٦ اسم اغريقي و٤٨ اسم مصرى ويبدو ان غالبية سكانها من المصريين. عمليات الاستصلاح لم تكن مقصورة على الفيوم فقط، بل كانت ايضا في الدلتا في مناطق المستنقعات([2]).

قام البطالمة بزراعة الحبوب والكروم والفاكهة وانواع متعددة من الاشجار، وعملوا على تحسين اصناف المزروعات ، وادخلوا انواع جديدة الى مصر، مثل القمح السوري والفارسي والحمص البيزنطي، والتين الخيوسي والليدي، والرومان، والمشمش الذي ينتج مرتين في العام ، وثوم ليكيا، وكرنب رودس، وعدد كبير من الزهور([3]).

([1]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، ١٧٨ .

([2]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ٤–١٠.

([3]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، ١٧٨–١٧٩.

الثروة الحيوانية والداجنة:

وبالاضافة الى الاهتمام بالزراعة فان البطالمة اهتموا بالثروة الحيوانية والداجنة، لما لها من اهمية في العمل في مجال الزراعة، ولتلبية مطالب الديانة، والاحتياج اليومي لها كمصدر للبروتين الحيواني، خاصة انه كانت هناك الكثير من المراعي التي تتميز بالعشب الوفير. ولتحسين الاصواف المصرية عمل بطلميوس الثاني على جلب اغنام من الخارج ذات اصواف كبيرة وقيمة. واهتموا ايضا والدواجن، خاصة الحمام والاوز. فضلا عن اهتمامهم بتربية النحل، نظرا لان عسله كان يستخدم مثلما نستخدم السكر في عصرنا الحالي([1]).

وعنوا بتربية الخنازير، التي كانت تربى للحومها واستخدامها في الزراعة لدرس الحبوب، ولغرس الحبوب فب التربة، وتقديمها كقرابين في اعياد ارسينوي وديمتر، واهتموا بدواب الحمل لنقل المحاصيل من الاراضي الى المخازن المحلية ومنها الي النيل، خاصة الجمال والحمير، واهتموا بتربية الخيول التي استخدمت في النقل والصيد والحروب وجلبها من الخارج من قورينائية وسوريا، فضلا عن اهتمامهم بتربية الاغنام والماعز([2]).

وكان للحمام اهمية خاصة في اقتصاد مصر ابان عصر البطالمة، فهو ارخص انواع الترف في غذاء الاهالي الكادحين المغلوبين على امرهم، كما انه مصدر تخصيب ثري للارض من خلال روثة الغني، ولذلك انتشرت ابراج الحمام في القرى، بعضها للاهالى والبعض الاخر كان مملوكًا للدولة([3]).

([1]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، ١٧٩.

([2]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ١٦-٢٢.

([3]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ٢٢.

وقد اتت السياسة الزراعية للبطالمة اكلها، فازدادت مساحة االاراضي المنزرعة، وتحسنت انتاجية المحاصيل، وتم سد حاجة السوق المحلية، وتصدير الفائض للخارج، ولكن منذ عهد بطلميوس الثالث تقلصت مساحة الاراضي الزراعية، بسبب جفاف بعضها وتحول بعضها الاخر الى مستنقعات غير صالحة للزراعة. وادى ذلك الى نقص عدد قطعان الماشية والى قلة عدد السكان في القرى. ويرجع تدهور الزراعة الى النظام المالي والاقتصادي الذي ادخله بطلميوس الثاني، الذي ارهق كاهل الاهالي بالضرائب مما دفعهم الى الفرار وهجر اراضيهم. مما دفعهم الى الثورة على حكامهم البطالمة، وتخريب وسائل الري والصرف([1]).

ثانيًا: الصناعة:

تمتعت مصر بتروات معدنية هائلة منذ القدم، وعرف المصريون القدماء العديد من المعادن مثل الذهب والزمرد والنحاس، كما انها اشتهرت بصناعة ورق البدي والمنسوجات الكتانية والزجاج والخزف اللامع والعطور والعاج والابنوس وتصدير هذه الصنعات الى العالم القديم([2]).

كان البطالمة يهدفون من جراء النشاط الصناعي، سد احتياجات السوق المحلي، وتصدير الفائض من الانتاج للدول الهلنستية التي تزايدت طلباتها على الصناعات المصرية، وكسب اسواق خارجية، لذلك احتكر البطالمة بعض الصناعات، وقاموا بمراقبة انتاج وبيع بعضها الاخر، واستطاعت مصر تحقيق هذه الاهداف خلال القرن الثالث قبل الميلاد. ويرجع ذلك الى المصريين والاجانب المهرة، وتوافر النقود، والحركة العلمية في معهد الاسكندرية، ورواج التجارة. مما ادى الى هجرة الكثير من الاشخاص من الريف للمدن، وكان ارباب كل حرفة يشكلون

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ٢٣-٢٥.

([2]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ٢٥-٢٦.

نقابة خاصة بهم، واشترك العبيد في مجال الصناعة في مصر، واشهر الصناعات صناعة النسيج، خاصة المنسوجات الكتانية والصوفية والقطنية والحريرية واهم مراكزها طيبة ومنف وتانيس([1]).

وومن اهم الصناعت التي كانت موجود خلل العصر البطلمي صناعة الزيت، الذي احتكرت الدولة صناعته، وصناعة الاخشاب مثل اخشاب النخيل والسنط والجميز، وصناعة النبيذ، وكانت الجعة المشروب القومي للاهالي. وصناعة الانية الفخارية لتعبئة وحفظ الزيت والنبيذ. وصناعة الزجاج، وصناعة العاج والاحجار الكريمة والجلود، وصناعة ورق البردي، ونشط استغلال المناجم والمحاجر، الذي احتكرت استغلاله الدولة لنفسها. وكانت اجور العمال العاملين في الصناعة تتراوح ما بين ٢٠ و ٨٠ دراخمة برونزية في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وخلال القرن الاخير من عصر البطالمة تراوحت ما بين ٥٠ و١٢٠دراخمة برونزية([2]).

ثالثًا: التجارة:

وجه البطالمة عنايتهم بانشاط التجاري كجزء مكمل لسياستهم الاقتصادية التي ركزت على زيادة لانتاج الزراعي والصناعي، فقد كان لزامًا عليهم ان يولوا التجارة اهتماما واسعا، لتصدير الفائض من الانتاج الزراعي والصناعي للخارج، ولكسب اسواق خارجية، واستيراد السلع التي تفتقر اليها مصر مثل الذهب والفضة اللازمين لسك العملة البطلمية، والحديد والصفيح لسد حاجة الجيش والزراعة والصناعة، والعطور والبخور، والبهار والاقمشة النادرة والاخشاب الثمينة، وجني ارباح طائلة من عملية التصدير. ولتأمين تجارة مصر الخارجية عملوا على السيطرة على الطرق

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ٢٨-٣٢.

([2]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الثالث، ٣٢-٤٢.

البحرية المؤدية لمصر، والوجهات التجارية لمصر كانت في ثلاث نواحي هي بحر ايجة والبجر الاسود، و الغرب والشمال الغربي، والجنوب والشرق. واصبحت الاسكندرية من ابرز المدن التجارية في العالم، واهم صادرات مصر الى بحر ايجة كانت الحبوب والمنسوجات الكتانية وورق البردي، بينما كانت تستورد مصر من بلاد الاغريق واسيا الصغرى القطران والاخشاب والحديد والاسماك المجففة، وفرض البطالمة مكوس واقية على الواردات مما جعل الميزان التجاري في صالح مصر، وقد كانت مصر تاخذ مقابل هذه الصادرات الفضة النقية من مناطق بحر ايجة([1]).

واقام البطالمة علاقات تجارية مع الاسواق الغربية فصدروا المنتوجات المصرية واستوردوا من قرطاجة وصقلية الخيول، والفسفور من ايطاليا، والفضة من اسبانيا، ومع الجنوب والشرق صدروا المنسوجات والزيوت والانية الزجاجية، واستوردوا العاج وجلود التماسيح وريش النعام والعبيد، ومن بلاد العرب الجنوبية والهند والصومال حصلوا على العطور والبهار والبخور والقرفة والعاج والارز والاصداف واللآليء، وعند نهاية القرن الثالث تراجعت تجارة مصر مع بحر ايجة بسبب ضياع سيادتها البحرية، وتدهور الاقتصاد بسبب الاضطرابات الدااخلية، وبسبب التقدم التجاري لبرجام وبيثينيا وبونتوس والقرم([2]).

رابعًا: النقود:

تم سك اول عملة في مصر في عهد الاسكندر الاكبر، وخلال العصر البطلمي سكت عملات ذهبية وفضية وبرونزية، والعملات الذهبية والفضية نوعان، احداها سك في عهد الملك حملت صورته وعلى الوجه الاخر حملت صورة بطلميوس الاول، والنوع الاخر تذكاري تخليدًا لذكرى الملوك السابقين. اما النقود البونزية فكانت

([1]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، ١٨٣-١٨٥.

([2]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة، ١٨٥-١٨٨.

تحمل صور ماخوذة من الاساطير، او صورة زيوس أمون او الاسكندر او احد الملوك البطالمة. وكانت العملة الفضية هي الاكثر تداولًا خلال البطالمة الثلاثة الاوائل وبعد ذلك حلت محلها العملة البرونزية في الانتشار، وبسبب تدهور الاحوال الاقتصادية للبلاد اتجه البطالمة الى زيادة القيمة الاسمية للعملة البرونزية ثلاث مرات منذ حوالى ١٨٢ق.م حتى سقوط دولتهم على يد الرومان([1]).

([1]) فادية محمد ابو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عصر البطالمة،١٨٨-١٩١.

الفصل السادس:

السياسة الدينية للبطالمة

- ❖احترام الديانة المصرية
- ❖موقفهم من الكهنة المصريين
- ❖عبادة الملوك
- ❖اتخاذ صفات وألقاب الفراعنة
- ❖عبادة أسرة البطالمة
- ❖عبادة سيرابيس

السياسة الدينية للبطالمة

سيطر الدين على وجدان وجوارح الانسان المصري القديم، وقد ظهر ذلك بشكلٍ واضح في طريقة الحكم السائدة في هذا الوقت، فقد حكم الفراعنة رعيتهم من المصريين باعتبارهم ألهه، وبذلك استند حكمهم الى نظرية الحكم الالهي، وعندما جاء الفرس إلى مصر لم يعوا هذه الحقيقة دنسوا معتقدات المصريين الدينية واحتقروا الالهه المصرية، فقد قام قمبيز بضرب ابيس بخنجرة، مما جعل المصريين يكنون الغضب والكراهية للفرس والثورة ضدهم من فترة إلى أخرى.

وعندما وصل الاسكندر الاكبر الى مصر سنة ٣٣٢ق.م، قابله المصريين بالود والترحاب ليس محبةً في الاسكندر فهم لم يعرفوه بعد، بل كراهية في الفرس الذين انتهكوا حرمة الالهة المصرية القديمة، ولقد فطن الاسكندر الاكبر الى هذه الحقيقة بشكلٍ جيد، فمنذ أن وطأت قدماه أرض مصر، اظهر احترام وتقدير للديانة المصرية ولالهتها، بتقديمه القرابين في معبد بتاح للالهة المصرية، مما جعل الكهنة يبادلونه الود بود من جانبهم، فقاموا بتتويجه في منف على طريقة الفراعنة الوطنيين، ومنحوه ثلاثًا من القاب الفراعنة، هي لقب حورس ولقب نسوت بيتي–ملك مصر العليا والسفلى– ولقب سارع–ابن رع([1]).

وبعد مغادرة الاسكندر لمصر لاستكمال حملته ضد الملك الفارسي شرقًا، عهد بالشؤون المالية والخزانة العامة في مصر الى كليومينيس، الذي كان يعد الحاكم الفعلي للبلاد بعد الاسكندر، اتبع كليومينيس سياسة الاستغلال تجاه الكهنة تقوم هذه السياسة على أساس إخضاعهم لسيطرته اقتصاديًا وسياسيًا، وذلك بتحجيم

([1]) ابو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ٨٧.

مكانتهم ومركزهم، وسلبهم من مواردهم الاقتصادية الكثيرة التي تمتعوا بها، فكان يأخذ منهم أموالًا بين الحين والاخر، والا سيضيق الخنق عليهم.

احترام الديانة المصرية

كانت سياسة البطالمة تجاه الديانة المصرية سياسة عملية تقوم على أساس التسامح الديني مع المصريين، ولذلك نجد أن بطلميوس الاول وخلفائه قد سار على نهج الاسكندر الاكبر في التعامل مع الديانة المصرية وآلهتها، فقد اعترفوا بالديانة المصرية دينًا رسميًا، فقد احترم الديانة المصرية، وقدم القرابين لالهتها، وسمحوا للمصريين بحرية ممارسة ديانتهم القديمة، وكسبوا ود الكهنة المصريين بارجاع تماثيل الالهة المصرية والكنوز والكتب المقدسة اليهم التي اخذها الفرس الي بابل، كما إنه قام بالاستماع الى الشكاوي التي تقدموا بها ضد "كليومينيس"، وقام بمحاكمته واعدامه([1]).

ويمكننا القول بأن البطالمة اتخذوا من الديانة المصرية مطية لتدعيم حكمهم في مصر، وذلك من خلال السير على طريقة الفراعنة في جعل انفسهم الهة هم وأسرهم، واتخاذهم الألقاب الفرعونية الرسمية والتتويج مثل الفراعنة، وإقامتهم المعابد وتقديم القرابين لآلهتها، وقد ظهر تسامح البطالمة في محاولة التقريب والتوفيق بين الديانتين المصرية والإغريقية، وذلك من خلال إنشاء ديانة جديدة تجمع بين العنصرين المصري والإغريقي، عُرِّفت بديانة "سيرابيس" (*Serapis*).

وسار خلفائه من بعده على نفس السياسة، فقد اهتموا بالديانة المصرية، وقاموا ببناء المعابد المصرية مثل معبد حورس بادفو، ومعبد حورس وسوبك في كوم امبو، ومعبد ايزيس في فيلة، فضلًا عن ذلك منحو المعابد المصرية الكثير من

([1]) ابراهيم نصحي، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، ٣٨٥.

الهبات والاراضي، والتشبه بالملوك الفراعنة، خاصةً فيما يتعلق بزواجهم من شقيقاتهم، ووتتويجهم منذ "بطلميوس الرابع" في منف على طريقة الفراعنة، لكسب ود الكهنة المصريين([1]).

موقفهم من الكهنة المصريين

بالنسبة لموقف البطالمة من الكهنة فإنهم اتبعوا ضدهم سياسة تختلف جذريًا عن سياسة التسامح التي اتبعوها مع الديانة المصرية، لما لا وقد رأى البطالمة في الكهنة المصريين عنصر تهديد لمصالحهم ونظام حكمهم في مصر، لذا عمل البطالمة على إضعاف القوة الاقتصادية للكهنة، والحد من نفوذهم القوى الذي تمتعوا به في عصورهم السابقة.

وعمل البطالمة على تقييد الكهنة المصريين بأغلال من القوانين لإخضاعهم لسلطانهم وكسر شوكتهم، وذلك من خلال إسناد إدارة أراضي المعابد المصرية إلى الدولة، والاستيلاء على دخل ضريبة "الابوموريرا" التي كانت تجبيها المعابد من مزارعي الكروم والفاكهة والبقول. وإلغاء احتكار المعابد لصناعة الزيت والمنسوجات. ويرجح بان هذه السياسة تجاه الكهنة أدت إلى اندلاع الثورات في عهد البطالمة الأواخر، مما دفع البطالمة إلى محاولة استرضائهم وكسب ودهم لوأد الثورات ضدهم([2]).

بالإضافة إلى ذلك، عمل البطالمة على تكبيل الكهنة بقيود سلبتهم امتيازاتهم العريقة التي كانوا يتمتعون بها في السابق، وأصبح الكهنة عرضة للقيام بالإعمال الإلزامية أو الإجبارية رغم إعفائهم قانونيًا منها، إلا أن هذا الامتياز لم يُحْتَرم دائماً

([1]) ابو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ص٨٧–٨٨.

([2]) ابراهيم نصحي، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، ٣٨٦.

من قبل الإدارة البطلمية[١]. إضافة إلى ذلك عمل البطالمة على تجريد الكهنة من قوتهم الاقتصادية الممثلة في أراضى المعابد، وذلك بعد أن استولى الملك البطلمي على الأراضي التابعة للمعابد بوصفه إلهاً مصرياً، ولتضييق الخناق على الكهنة، لم يخصص البطالمة إلا جزءًا صغيراً من المحصول للإنفاق على المعابد، بينما كان الجزء الأكبر يذهب لحساب الملك البطلمي[٢].

وأجبر الكهنة جميعاً على الحضور بأنفسهم إلى الإسكندرية للاحتفال بمولد الملك البطلمي، وحُرموا من احتكاراتهم في صناعتي الزيت والكتان، تلك الاحتكارات التي كانت تدر عليهم ربحاً وفيراً، بينما سمح لهم فقط بتصنيع ما يكفيهم من هاتين الصناعتين للاستخدام في الأغراض الخاصة بالمعابد، وكانوا مسؤولون عن إمداد الإدارة بالموظفين لشغل الوظائف الإدارية الصغيرة الإجبارية[٣].

ولإضعاف سلطة كهنة آمون قام البطالمة بإنشاء مدينة إغريقية جديدة في عهد "بطلميوس الأول" عرفت بمدينة "بطلمية" أو "بطوليمايس" (*Ptolemais*)– مدينة المنشاة بمحافظة سوهاج حاليًا–، وذلك لإضعاف نفوذ كهنة آمون في مدينة طيبة التي كانت معقلًا للكهنة ومستودعًا للقومية المصرية في الجنوب، ولكن هذه المدينة الجديدة لم تستطع إضعاف نفوذ كهنة آمون أو مناهضة مدينة طيبة، حيث فقدت أهميتها بعد وقتٍ قصير وأصبحت تابعة لحاكم الإقليم الطيبي من الناحية الإدارية[٤].

ونتيجة للسياسة القمعية التي اتبعتها الإدارة البطلمية ضد الكهنة المصريين، فإن الكهنة أصبحوا خصمًا قويًا ورأس حربة موجهة ضد نظام حكم البطالمة، حيث

---

(١) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 322;

وانظر أيضًا: د. كروفورد، كيرك أوزيريس قرية مصرية في العصر البطلمي، ١٩٥.

(٢) دوروثى كروفورد، كيرك أوزيريس قرية مصرية في العصر البطلمي، ١٩٥.

(٣) و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ٢١٣.

(٤) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان ، ٩٧.

اشترك الكهنة في بعض ثورات المصريين ضد البطالمة، بل وتزعموا قيادة هذه الثورات، وكان لهم دور بارز ومؤثر في هذه الثورات، لما لهم من تأثير على وجدان ومشاعر المصريين، بوصفهم الزعماء الروحيين ومرشديهم إلى الطريق السليم، مما جعل الملوك البطالمة يحرصون كسب ودهم بالمنح والامتيازات، وذلك لشق صف الثورات المصرية والقضاء عليها(١).

ولم يسترد الكهنة المصريين أغلب امتيازاتهم التي سُلَبت منهم، إلا خلال الشطر الثاني من عصر البطالمة، وذلك تحت وطأة الثورات المصرية التي زلزلت أركان نظام الحكم البطلمي، ففي هذه الفترة أعاد الملك "يورجيتيس الثاني" للكهنة كثير من امتيازاتهم وأملاكهم السابقة، وذلك بموجب قرار العفو الذي أصدره في عام ١١٨ ق.م، والذي سمح لهم بعدم مصادرة أراضي المعابد وجعل إدارتها في يد الكهنة، واحتفاظ المعابد بالأشياء المخصصة للآلهة وإعفائها من الضرائب، وعدم الاقتراب من إيرادات المعابد(٢).

وبذلك فقد حرص البطالمة على وضع الكهنة تحت رقابة شديدة، خوفًا من نفوذهم في المجتمع، لذا عينوا لهم موظفين لمراقبة نشاطهم الاقتصادي في المعابد، ومن ناحية أخرى حرص الكهنة على إظهار ولائهم للملوك البطالمة، ففي اجتماعهم السنوي، كانوا يصدرون قرارًا أو مرسوماً يعبرون فيه عن ولائهم للملك، أشهر هذه القرارات قرار كانوب ٢٣٧ق.م في عهد بطلميوس الثالث، الذي شكروا فيه الملك إحسانه وعطفه على الشعب خلال ازمة المجاعة، وقرار رشيد ١٩٧ق.م في عهد بطلميوس الخامس، الذي شكروا فيه الملك لقضائه على الثورة وعبروا فيه عن تأييده. ولكن بعد ٢١٧ق.م انقسم الكهنة إلى فريقين، كهنة الشمال وكانوا مؤيدين للملك، وكهنة الجنوب، وكانوا يؤيدون الثوار ويحرضونهم ضد الحكام البطالمة(٣).

---

(١) و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ص ٢١٣-٢١٧.

(٢) *P.Tebt.*I. 5(118BC Tebtynis).

(٣) ابو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ٨٨.

عبادة الملوك:

انشأ بطلميوس الأول عبادة جديدة ذات طابع رسمي هي عبادة الملوك، وقد بدأت هذه العبادة بتقديس الاسكندر الأكبر رسمياً، وعين لهذه العبادة كاهن خاص تؤرخ باسمه الوثائق الرسمية. اختلفت عن التقليد المصري في تأليه الملوك في حياتهم، فالعبادة الجديدة نشأة عن تقليد يوناني يقوم على أساس إضفاء نوع من القداسة على أرواح العظماء بعد مماتهم، وقد استمرت هذه العبادة بتأليه بطلميوس وسلالته فيما بعد. فبعد وفاة بطلميوس الأول أعلن ابنه بطلميوس الثاني عن تأليه والديه تحت لقب "الإلهين المنقذين" وأصبحا يعبدان مع الاسكندر، وهكذا نشأت عبادة ملوك الأسرة البطلمية بصورة رسمية([1]).

اتخاذ صفات ألقاب الفراعنة

حرص البطالمة كل الحرص على التشبه بالملوك الفراعنة، الذين كانوا في أعين رعيتهم واهبي الحياة ومالكي الأرض، ولذلك كان من صالحهم أن يستغلوا ذلك، وان يتخذوا صفات وألقاب الفراعنة، لكي يتمتعوا بالمكانة المرموقة التي تمتع بها الفراعنة، خاصة ان الاسكندر توج نفسه فرعونًا في منف وحمل ثلاثة ألقاب من ألقاب الفراعنة الخمسة، وعلى الرغم من أن البطالمة الثلاثة الأوائل لم يتوجوا فراعنة منف، إلا إنهم حملوا الألقاب الفرعونية، فبطلميوس الأول حمل لقبين من ألقاب الفراعنة، بينما حمل بطلميوس الثاني والثالث الألقاب الخمسة جميعًا([2]).

([1]) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ص ٥٢-٥٣.

([2]) ابراهيم نصحي، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، ص ص ٣٨٤-٣٨٥.

عبادة أسرة البطالمة:

يرجع الفضل في إنشاء عبادة أسرة البطالمة إلى بطلميوس الثاني سنة ٢٧١-٢٧٠ق.م، الذي قرر أن ينشأ عبادة لوالديه، وأن يرفعهما إلى مقام الآلهة، وأن يربط عبادتهما بعبادة الاسكندر الأكبر، وبذلك فقد أصبح كل خلفاء بطلميوس الأول ألهه بعد وفاتهم، ويحملون ألقاب إلهية، ويتمتعون بهذه المكانة التي تمتع بها بطلميوس الأول وزوجته([1]).

عبادة سيرابيس:

خشية حدوث انقسام ديني بين المواطنين، نظراً لتعدد الآلهة، قام بطلميوس باتخاذ إله رسمي للبلاد، لكي يتجنب هذا الانقسام الديني. والحاجة إلى الوحدة الدينية وربط الشعبين معاً والتعايش السلمي بينهم وتدعيم حكمه في مصر وربط الديانة الجديدة بالعرش وتدعيم الوحدة السياسية للبلاد.

لم يتخذ بطلميوس من أحد الآلهة الكبري مثل بتاح أو آمون رع إلهاً لانشاء ديانة جديدة للبلاد، لان كهنة هؤلاء الالهة تمتعوا بثراء كبير ومنزلة اجتماعية كبيرة بين المصريين، فخشي ان يزداد شانهم مما يصعب إخضاعهم لارادته. لذلك فكر في اختيار إله مصري قليل الانتشار يمكن إرضاء كهنته بسهولة([2]).

اختار بطلميوس الإله اوزير-أبيس، وهو إله محلى في ممفيس ذو شهرة وشعبية بين المصريين والإغريق. وهو العجل أو الإله أبيس الذي كانوا يعبدونه متحداً بالإله أوزيريس إله العالم السفلي، وترجع شهرة هذا الإله إلى معجزاته في شفاء المرضى.

([1]) ابو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ٨٩.

([2]) مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص ٥١.

ولكي يتقبله الاغريق كمعبود كان لابد من اجراء تعديلات جوهرية على هذا الاله أو اغرقته، لان الاغريق لم يألفوا عادات المصريين في تمثيل الهتهم في صور حيوانية.

التعديل الأول: تمثل التعديل الاول في أن يصبح اسم الاله الجديد سيرابيس بدلاً من أوزير – آبيس، وذلك لكي يكون سهلًا في النطق على الإغريق.

التعديل الثاني: تمثيله في صورة انسانية بدلًا من صورة حيوانية او صورة العجل، حيث أعطي شكل إنساني بجانب الشكل الحيواني أو شكل العجل، وبذلك أصبح الإله الجديد مقبولاً لدى الإغريق في الإسكندرية – في معبده أو السرابيوم– في صورة بشرية، ومقبولاً للمصريين في ممفيس في صورة حيوانية. وأصبح يصور في صورة رجل في عنفوان قوته ورجولته، له صورة الإله زيوس، ذو لحية كثيفة، ويحمل الصولجان رمز القوة. يعلو رأسة القدح او السلة المقدسة، ممسكا بيده الصولجان، واحيانا قرب الاخصاب، وعند قدميه يجلس الكلب الاسطوري "كيربيروس" ذو الثلاثة رؤوس كرمز لسيادة سيرابيس ونفوذه على العالم السفلي. وتم بناء معبد لسيرابيس في الاسكندرية، كان المعبد الرئيسي والسمي لعبادة سيرابيس.

الفصل السابع:

الحياة الاجتماعية في مصر البطلمية

مقدمة:

تكون المجتمع في مصر في عصر البطالمة من طبقتين متمايزتين عن بعضهما البعض في الحقوق والمسؤوليات، هما: طبقة الإغريق ومن على شاكلتهم وطبقة المصريين(١)، وقد انعدمت المساواة بين هاتين الطبقتين في مختلف النواحي الحياتية(٢).

طبقة الإغريق

وبالنسبة لطبقة الإغريق ومن على شاكلتهم، فإنها تكونت من المقدونيين واليونانيين والطيبين والكريتيين والتراقيين والإيونيين والإليريين والأسيويين والكاريين والميسينيين واليهود(٣)، وتزايد عدد هذه الطبقة مع مجيء أعداد كبيرة من المهاجرين إلى مصر خلال القرن الثالث قٌ.م، حيث فتح لهم البطالمة أبواب مصر على مصراعيها(٤)، وشكلت هذه الطبقة بحد أقصى ٥% من مجموع سكان مصر في هذه الفترة(٥).

ولإبعاد المصريين عن الامتيازات التي تتمتع بها طبقة الإغريق، قام البطالمة بإنشاء نظام البوليتيوما (*Politeuma*)- جالية-، الذي تكون من جنود ينتمون إلى نفس الأصل في مكان واحد، وكانت البوليتيوما بمثابة وحدة تنظيمية نظم أعضائها أنفسهم في اجتماعاتها على غرار مجالس المدن اليونانية، وكان لهم الحق في انتخاب الموظفين، وإصدار القرارات، والتمتع بالحكم الذاتي من الناحية الاجتماعية، ومنذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد لم تعد "البوليتيوما" تقتصر على جنود من

---

(١) نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٥٨.

(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة، مركز التعاون الجامعي، (الإسكندرية، ١٩٦٧، ص ص ١٤٧، ١٧٢.

(٣) E.R. Bevan, *The House of Ptolemy: A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty*, (Chicago, 1968), 109.

(٤) نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ص ٤١ .

(٥) C.Fisher-Bovet, *Army and Society in Ptolemaic Egypt*, Ph.D, (Stanford university, 2008). 52; 57.

أصل واحد، فعندما لا توجد "بوليتيوما" من نفس أصل الجنود المغتربين، كانت السلطات تضمهم إلى إحدى "البوليتيومات" الموجودة[١].

كان الإغريق شركاء الملك ومساعديه، ويشاركونه في حكمه على المصريين، وكانوا يشكلون طبقة مميزة في البلاد[٢]، ويرى "روستوفتزف" (*Rostovtzeff*) أن الإدارة البطلمية كانت تفضل الأجانب وأحفادهم على حساب المصريين، حيث كان هؤلاء الأجانب معفين من الخدمات الإلزامية[٣]، وأيضًا كانت بعض فئات الأجانب معفاة من بعض الضرائب[٤].

وأُتيحت الفرص للإغريق والأجانب لتكوين الثروات الطائلة من خلال عملهم في التجارة والاستثمار[٥]، وحيازتهم للأراضي الزراعية، والصناعة، وكان منهم الملتزمين عن تحصيل الضرائب، والمشرفين، والضامنين، والمقرضين خاصة القروض البحرية، ومنهم أصحاب السفن البحرية، ومعظم المصارف الملكية والخاصة كان يتولى إدارتها الأجانب[٦]. بالإضافة إلى أن الملك كان يهب بعضهم

---

(١) نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٦٠.؛ عاصم أحمد حسين، العناصر الأجنبية وتدهور دولة البطالمة، مجلة مركز الدراسات البردية، المجلد السابع، جامعة عين شمس،(القاهرة، ١٩٩١)، ص ص ١٧٥-١٧٦.

هناك العديد من الدراسات والأبحاث التي تطرقت إلى البوليتيوما في العصر البطلمي منها على سبيل المثال: Fischer-Bovet, *Army and Society in Ptolemaic Egypt*, 290; S. Honigman, 'Politeumata and Ethnicity in Ptolemaic Egypt', *AncSoc* 33 (2005): 61-102.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ص ٢٢٣.

(٣) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 323, 325-326.

(٤) W. S. LeRoy. 'Census and Poll-Tax in Ptolemaic Egypt', *AJPh* 59.4 (1938): 435.

(٥) نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ص ٤٢.

(٦) *SB*. XIV, 11866(8. Jan. 147 v.Chr. Ptolemais Hormou)= Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 326, 330.

الأراضي الواسعة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك الضيعة التي وهبها الملك بطلميوس الثاني في الفيوم لوزير ماليته "أبوللونيوس"[١].

وكان البطالمة يمنحون الأراضي للمستوطنين الإغريق سواء في صورة إقطاعيات صغيرة أو إقطاعيات كبيرة المساحة[٢]، بينما كانوا يعملون على القضاء على الفئة الأرستقراطية الدنيوية المصرية ومصادرة أراضيها وإعطائها للإغريق، مما اضعف من الدور الاجتماعي لهذه الفئة الارستقراطية، والقضاء عليها بشكل شبه نهائي[٣].

وعجّ الجهاز الإداري الحكومي الجديد الذي أنشأه البطالمة بالعنصر الإغريقي والأجانب، فقد وضع البطالمة الأوائل ثقتهم في مقدرة الإغريق في القيام بهذه المهام الإدارية دون المصريين خاصة في الوظائف الحكومية بدرجاتها العليا والوسطى، فقبل منتصف القرن الثالث قبل الميلاد لم يُسمح للمصريين إلا بتولي الوظائف الدنيا التي كان تُتْرَك المصريين الذين يستطيعون التحدث باليونانية[٤]، مثل وظيفة عمدة القرية أو "كومارخوس" (*komarchos*) وكاتب القرية أو "كوموجرامَّاتيوس" (*komogrammateus*)، وحتى هذه الوظائف كانت تنطوي على مشقة وتعقيد وخطورة، والمسئولية المترتبة عليها أكثر من المنفعة المرجوة من ورائها[٥].

وقد سار البطالمة بخطوات ثابتة نحو أغرقه الجهاز الإداري للبلاد، حيث كان من النادر أن يتولى أحد المصريين منصب حاكم الإقليم أو "الاستراتيجوس" (*Strategos*) بعد أن ألغى البطالمة تعيين المصريين في هذا المنصب، وعينوا بدلًا منهم أفراد ينتمون إلى العنصر الإغريقي، وكذلك الشأن في الممتلكات الخارجية

---

(١) و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ص ٢٠٠.

(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ص ١٦٥،١٦٦.

(٣) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ٩٩.

(٤) نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ص ٤٢، ٥٨.

(٥) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 320, 325.

للبطالمة[١]، لم يُسمح للمصريين بتولي الوظائف العليا في الجهاز الإداري إلا في عهد بطلميوس الرابع وإن كان ذلك في أضيق الحدود[٢].

وترجع ندرة عدد المصريين في الوظائف العليا في إدارة البلاد إلى عدم إجادة معظمهم للغة اليونانية، وأن هذه الوظائف كانت تعد إحدى وسائل الترقي الاجتماعي للأفراد من طبقة إلى أخرى، وذلك يتعارض مع السياسة العامة للبطالمة التي تقوم على قصر الامتيازات على طبقة الإغريق. ولذا كان من النادر حتى أواخر عصر البطالمة أن يتولى أحد من المصريين منصباً رفيعًا سواء داخل البلاد أو في أحد الأقاليم التابعة لها[٣].

واعتاد الإغريق والأجانب على حمل خطابات توصية وتزكية إلى المسؤولين في الجهاز الإداري لتسهيل مهمتهم في العمل، وفيما يخص هذا الأمر تشير الوثائق البردية إلى أن بعض الإغريق الذين وفدوا إلى ضيعة "أبوللونيوس"- وزير مالية بطلميوس الثاني أو الديويكيتيس" (*dioiketes*) كانوا يتقدمون إلى "زينون"-مدير ضيعة أبوللونيوس في الفيوم- بخطابات توصية، لكي يحسن استقبالهم ويوفر لهم فرص عمل مناسبة[٤].

وتمتع العنصر الإغريقي بصفته الطبقة العليا والحاكمة في البلاد، بوضع اجتماعي مميز عن العنصر المصري، فلم يدخر البطالمة جهدًا من أجل تهيئة مصر لكي تكون ملائمة لإقامتهم فيها، وذلك سواء باستكمال بناء الإسكندرية وتزيينها ومنحها مظاهر الحياة اللائقة بالمدن الإغريقية، أو بإنشاء مدينة "بطلمية"

---

(١) يذكر "تارن" أن المصري الوحيد الذي تولى منصب حاكم إقليم، كان صهرًا للملك "يورجيتيس الثاني"، ويدعى "باؤس"، وقد عينه الملك حاكمًا للإقليم الطيبي. راجع:
و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ١٩٣، ٢١٧.

(٢) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ص ٩٨-٩٩.

(٣) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ص١٧٢.

(٤) *P. Mich*. I.6(257BC Philadelphia); *P.Zen. Pestm*. 42(257BC Philadelphia)=*P.Col*. III. 7.4= *PSI* VI 663.

التي وفروا لها كل سبل الحياة على الأسلوب الإغريقي، بالإضافة إلى مدينة "نقراطيس" التي كانت موجودة منذ العصر الصاوي[١].

وعاش العنصر الإغريقيّ على نفس الأسلوب الذي كانوا يعيشونه في مدنهم الأم في بلاد اليونان، فقد خططوا مدنهم ومستوطناتهم على النمط الهللينستى، ونقلوا مؤسساتهم الهللينية مثل المعابد –بنظام الأعمدة– والجيمنازيوم إلى مستوطناتهم، واستمروا في تأدية طقوس عبادتهم على الأسلوب اليوناني التقليدي، تلك المؤسسات كانت بطريقة أو بأخرى تقوى من الطبقة المميزة التي اعتمد على البطالمة تأييدها لهم في حكمهم لمصر[٢].

وظل العنصر الإغريقي يتحفظ على الاختلاط بالعنصر المصري لمدة قرن كامل، وعندما حدث الاختلاط بينهما كان بشكل رئيس بين الفئات الشعبية من العنصرين، فظاهرة الزواج المختلط بين المصريين والإغريق كانت أكثر انتشاراً في المناطق الريفية والنائية عنها في المناطق الحضرية، وبالأخص بين أفقر الفئات من هذين العنصرين. وفي الغالب الأعم كان الزوج من أصل يوناني أو مقدوني، بينما كانت الزوجة من أصل مصري، بينما كان العكس نادر الحدوث، لأن القاعدة القانونية كانت تقضي بأن أبناء الزواج المختلط، يتبعون الوضع القانوني للأب سواء كان الأب مصريًا أم يونانيًا[٣].

طبقة المصريين:

تكونت من الأهالي الوطنيين الذين شكلوا السواد الأعظم من سكان مصر، وغالبيتهم كانوا يشتغلون بالزراعة، ويعيشون في أحوال معيشية متدنية؛ لا تختلف كثيرًا عن وضع العبيد، حيث أن ضآلة أجورهم كانت سببًا في تناقص أعداد العبيد

---

(١) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ٩٧ .

(٢) نفتالي لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ص ٥٤–٥٦، ٦١.

(٣) *P.Cair.Zen*. II. 59292 (250BC Philadelphia)= *P.Lond*.I. 7;

وانظر أيضًا نفتالي لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٥٦.

ويحدد "تارن" بداية الاختلاط بين الإغريق والمصريين بعد عام ٢٠٠ق.م. راجع:

و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ٢١٣، ٢١٨.

في مصر، وعلى الرغم من حُرِمَان معظمهم من التعليم، بسبب الفقر المدقع الذي كانوا يعيشون فيه[١]. إلا أن بعضهم استطاع أن يتحصل على قدرٍ وافر من الثقافة الإغريقية وأن يعيش حياته على أسلوب الحياة الإغريقية ، مما ساعدهم في الحصول على عضوية طبقة الإغريق والتمتع بالامتيازات التي كان يتمتع بها الإغريق[٢].

وضع البطالمة ضوابط وقيود صارمة على عملية الحراك الاجتماعي؛ فقد كان انتقالُ الأفراد من طبقة المصريين إلى طبقة الإغريق لا يتم إلا بإذن خاص من الملك البطلمي[٣]، قد وفرضت الإدارة البطلمية عقوبة الإعدام على المسؤولين الذين يتلاعبون ويقومون بإجراءات غير قانونية لانتقال فرد من طبقة إلى أخرى دون إذن ملكي[٤].

وقضى البطالمة على طبقة المحاربين المصريين، بسبب اعتمادهم على الأجانب والإغريق في تكوين قواتهم العسكرية[٥]، وعدم اعتمادهم على المحاربين المصريين إلا في القوات المساعدة، أو في الأسطول أو في مطاردة الأفيال في ميادين المعارك[٦]، لذلك شعر المحاربون المصريون بالمهانة والذل، بسبب حرمانهم من الخدمة في جيشهم، مما جعلهم درعًا قويًا لثورات المصريين ضد البطالمة[٧].

ومنذ معركة رفح ٢١٧ق.م، سَمّحَ البطالمة للمصرين بالخدمة في قلب الجيش البطلمي، وذلك بسبب الصراع الدائر بين "بطلميوس الرابع" و"أنطيوخس الثالث"، وتناقص عدد الإغريق في مصر[٨]، وقلة موارد الدولة، وعدم قدرتها على توفير رواتب للجنود الأجانب، لذا رأت الإدارة البطلمية، تجنيد العنصر المصري الذي

---

(١) W.W. Tarn, 'Ptolemy II', *JEA* 14 (1928): 259.

(٢) نفتالي لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٢٦.

(٣) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol I*, 323.
وانظر أيضاً: عاصم أحمد حسين، العناصر الأجنبية وتدهور دولة البطالمة، ص ١٧٥.

(٤) *BGU*. VI. 1250.11–15(II v.Chr. Arsinoite?).

(٥) محمد عواد حسين وآخرون، كفاحنا ضد الغزاة، عصر البطالمة، ص ٨٧.

(٦) *Diod*. XIX. 8.4; Tarn, *JEA* 14, 259.

(٧) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ١٥٤.

(٨) لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ص ١٤٣–١٤٤.

يمكن إعطاؤه رواتب أقل من التي كان يتقاضاها الجنود الأجانب[١]، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلًا، فقد تخلى البطالمة عن استخدام المصريين في قلب الجيش البطلمي، على أثر كثرة الثورات المصرية ضد البطالمة[٢].

وكانت الرتب القيادية في الجيش البطلمي تسند للإغريق دون المصريين، فقيادة الفرق المصرية في الجيش البطلمي كانت قاصرة على الإغريقي والأجانب، ولم يسمح للمصريين الالتحاق بمدارس قيادة الجيش البطلمي- ومع ذلك فإن عددًا قليلًا من أفراد الارستقراطية الدنيوية المصرية استطاعوا الالتحاق بهذه المدارس، مثل "ديونيسيوس بيتوسارابيس" (*Dionysius Petosarapis*)-، وذلك للمحافظة على شعور الإغريق واعتزازهم بأنفسهم، ولنفس السبب أيضًا كانت الخدمة في سلاح الفرسان حكرًا على الإغريق، بينما خدم المصريون في سلاح المشاة، الذي كانت تعد الخدمة فيه أدني تشريفًا لصاحبها من الخدمة في سلاح الفرسان[٣].

ورغم سماح الإدارة البطلمية لبعض المصريين الحاصلين على حصص أرض، بالدخول إلى فئة "الكاتويكوي" أو أصحاب الإقطاعيات-بعد أن كانت هذه الفئة قاصرة فقط على أبناء المهجر الإغريق[٤]، إلا أن المستوطنين المصريين لم

---

(١) تكونت الطبقة العسكرية في العصر البطلمي بشكل أساسي من الجنود المرتزقة والكليروخوى، وكان الجنود المرتزقة يخدمون في الجيش البطلمي بشكل مؤقت في مقابل رواتب نقدية يحصلون عليها وأماكن إيواء تخصص لهم للإقامة فيها، أما الكليروخوى فقد كانوا يحصلون على حصص من الأرض بدلاً من الرواتب النقدية، وكانوا يقيمون بشكل دائم في مستوطنات أقامتها الدولة لهم. راجع:
نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ص ٤٧ ، ٥٢، ٥٩.

(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة ١٤٤،١٤٦.

(٣) نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٥٩؛ إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ١٧٣؛ محمد عواد حسين وآخرون، كفاحنا ضد الغزاة، عصر البطالمة، ص ٨٧.

(٤) نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٦٠.
نظام الإقطاع العسكري أو "الكليروس"، يقوم على توزيع حصص من الأرض على الجنود المرتزقة، واتبعت الإدارة البطلمية هذا النظام من أجل جذب أكبر عدد ممكن من الجنود المرتزقة، للخدمة بين صفوف الجيش البطلمي، وفي هذا النظام كان يتم منح الجندي قطعة أرض، للإقامة فيها، وزراعتها في مقابل الخدمة العسكرية التي يؤديها للدولة. انظر:
لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ١٣٠.

يتمتعوا بالمساواة مع المستوطنين الإغريق، وعن ذلك تقول "كروفورد" نقلًا عن "زيلين" أن:

"المستوطنون الإغريق، سواء بمساعدة أو بدون مساعدة دويلة المدينة(*Polis*) والموظفون، استغلوا الوطنيين المصريين ووطأوهم بالأقدام"(١).

وفيما يخص قطعة الأرض أو"الكليروس" التي كانت تمنح للجنود المقطعين أو "الكليروخوى"(٢)، فإن "كليروس" المصريين كانت أقل مساحة من "كليروس" الأجانب، وفي حاجة إلى إصلاح قبل استغلالها، فضلًا عن ذلك، فإن الكليروخوى كانوا يتمتعون بالإعفاء من الأعباء الإلزامية غير العادة، بينما لم يعفَّ جميع "الكليروخوى" المصريين من هذه الأعباء(٣). وفي الوقت الذي كان يدفع فيه "كليروخوي" الأجانب عشر دخلهم بمثابة ضريبة "الأبوميرا" عن المحاصيل التي يزرعونها، فإن "كليروخوي" المصريين كانوا يَدْفَعوُنَ هذه الضريبة بنسبة سدس المحصول(٤).

---

(١) د. كروفورد، كيرك أوزيريس قرية مصرية في العصر البطلمي، ص ١٣٤نقلًا عن "زيلين":

K. Zelin, Les Clérouques Comme Détenteurs de Terres à Kerkéosiris à la Lumière des Papyrus de Tebtunis, Vestnik Drevnej Islorii 3 (1948).

(٢) *P.Tebt.* I 62(22. Sept. 119 – 28. Apr. 118 v.Chr.); *P.Tebt.* I 63(21. Sept. 116 – 16. Febr. 115 v.Chr). ; *P.Tebt.* I 64 a (März – Apr. 115 v.Chr).

تُعرف قطعة الأرض المخصصة للجنود المرتزقة باسم "الكليروس"، وصاحب هذه الأرض باسم "كليروخوس"، وجمعها "كليروخوى"، وترجع أصول هذا النظام إلي الأسرة السادسة، عندما كان يتم منح الجنود قطعة أرض كمكافأة لهم. انظر:

*Hdt.*II. 168,; *Diod.* I. 73, 7–9;

وانظر أيضًا نفتالي لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٥٢.

(٣) *UPZ* I . 110(164BC Memphis)= *P.Paris.*63;

وانظر أيضاً: نفتالي لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٦٧–٦٨.

(٤) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ١٥٤.

ضريبة "الأبوميرا" أو ضريبة النصيب المقتطع هي ضريبة يعادل مقدارها سدس المحصول، وكانت تأخذ من محاصيل الكروم بشكل عيني، ومن البساتين والحدائق بشكل نقدي، وفي البداية كانت هذه الضريبة خاصة بالمعابد، ومنذ سنة ٢٦٦–٢٦٥ خصصها "بطلميوس الثاني" لعبادة "أرسينوى فيلادلفوس" المؤلهة. انظر: و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ص ٢٠٤–٢٠٥.

وتشيرُ الوثائقَ البردية إلى ان توزيع الأراضي الخصبة كان "للكليروخوى" الأجانب وليس لـ"كليروخوى" المصري [١]، وكان يتم تخصيص حصص أراضي أكبر مساحة للكليروخوى الأجانب، فقد كان "كليروخوى" الأجانب يحصلون على حصص مساحتها من خمس وعشرين إلى مائة أروره وفقًا للسلاح الذي يخدمون فيه، بينما كان الكليروخوى المصري يحصلون على حصص تتراوح مساحتها بين خمس أرورات وبين ثلاثين أروره، وكان ذلك للحفاظ على شعور الأجانب بتفوقهم وعدم مساواتهم بالمصريين[٢].

وعلى الرغم من احتكار الدولة لزراعة الكروم، إلا أن الدولة سمحت لأصحاب الإقطاعيات الأجانب بزراعة الكروم وشجر الزيتون والفاكهة[٣]، وأعطت لهم استقلالية اقتصادية كبيرة، أتاحت لهم تكوين ثروات طائلة، وقد كانت الضرائب التي يدفعونها للدولة منخفضة مقارنة بالضرائب التي دفعها المزارعون الملكيون أو الجنود المصريون، حيث كان أصحاب الإقطاعيات الأجانب يدفعون عُشر إنتاجهم من النبيذ فقط[٤].

---

(١) *P. Lond*. VII. 2027(IIIsac Philadelphia); *P.Freib*. I 7= *Sel. Pap*. II 412; *SB*. I 5942(28. Jan. 251 v.Chr.).

بعد قيام "بطلميوس الثاني" بتجفيف بحيرة "موريس" لتكوين إقليم الفيوم، واستعادته لقدر كبير من الأراضي الزراعية الخصبة، فأنه جعلها مركزًا لاستيطان الإغريق، وقد يكون إعطاء الأرض الخصبة للأجانب، يرجع إلى عدم خبرتهم بالزراعة، خاصة أنهم جاءوا من بيئة اليونان الجبلية، ويؤكد على هذا الافتراض أن عدداً من الفلاحين المصريين اشتكوا من عدم دراية المقطعين العسكريين الإغريق بالزراعة. راجع:

P.Lond. VII 1955 (257BC Philadelphia)=*SB*. V.7986;

وانظر أيضًا: و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ١٩٤.

(٢) Bevan, *The House of Ptolemy*, 133.

وانظر أيضًا: نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ص٥٢-٥٣، ٥٩، ٦١ .

(٣) و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص٢٠٥.

(٤) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 326.

وأيضاً: نفتالى لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص٥٣.

رأى البطالمة أن مصر ملكًا خاصًا بهم، وذلك استناداً إلى سيطرتهم عليها بحد السيف[١]، ورأوا في أنفسهم السادة وفي المصريين العبيد الذين لزاماً عليهم زراعة ضيعة أسيادهم، لجني أكبر قدر من الأرباح بأقل تكلفة، وكان النظام الاقتصادي البطلمي يهدف إلى جعل الملك غنياً وقوياً، فكل جهود السكان كانت موجهة لخدمة هذا الهدف[٢]. ولتحقيق هذا الهدف، لم يتوانَ الملوك البطالمة ووزراء ماليتهم في إصدار القرارات والأوامر الإدارية إلى مرؤوسيهم لتحقيق أكبر قدر من الفائدة الاقتصادية للملك، دون النظر إلى أحوال المصريين المغلوبين على أمرهم. وفي عام ١٦٤ق.م صدر مرسوم عن وزير المالية ينص على إجبار الأهالي على استئجار أراضى الملك، ومن المؤكد أن هذا القرار لم يكن الأول من نوعه[٣].

ولم تتح للمصريين فرص اقتصادية سانحة لتكوين الثروات، إلا لعدد محدود جداً منهم مثل الموظفين الحكوميين وعدد قليل من مالكي الأراضي، وربما الكهنة وبعض الحرفيين، أما الأغلبية العظمى من المصريين فقد ألقيت على كواهلهم أعباء اقتصادية ثقيلة، فقد كان معظم المصريين في ظل النظام الاقتصادي البطلمي عمالًا أو فلاحينَ عند الملك، أو دافعي ضرائب، أو عمالًا في المصانع أو التجارة، أو حراسًا لقطعان الأغنام والماشية، أو صيادين، أو عمالًا في المناجم والمحاجر[٤]. والجدير بالذكر أن أجور العمال المصريين كانت متدنية جداً قياساً على المستوى اليوناني[٥].

---

(١) Bevan, The House of Ptolemy, 133.

وأيضا: و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ص ٢١٩،١٩٩.

(٢) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 316.

(٣) *UPZ*. I. 110(21. Sept. 164 v.Chr.);

عاصم أحمد حسين، إجراءات وقرارات بطلمية، مجلة مركز الدراسات البردية، المجلد الثالث، جامعة عين شمس، القاهرة، ص ص ٣١-٣٢.

(٤) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 317, 323.

(٥) و.و.تارن، الحضارة الهللينستية، ص ص ٢١٠.

وبالإضافة إلى ذلك، ألقي على كاهل المصريين عبءُ العديد من الخدمات الإلزامية، مثل أعمال السخرة في الجسور، وحفر القنوات والترع وصيانتها، وإقامة السدود(١)، والعمل في صيد الأسماك، والقنص، وغرس الأشجار والنقل(٢).

وفرضت الإدارةَ البطلمية على المصريين ضرائب متعددة وبشكل منتظم، مثل الضرائب التي فرضت على الفلاحين، وعلى الحرفيين، وضريبة الرأس، بالإضافة إلى عدد أخر متنوع من الضرائب، وقد كان الأشخاص الذين لا يستطيعون سداد هذه الضرائب عرضة لعقوبة السجن(٣).

وكان المصريون عرضة للعديد من أشكال الإكراه ، فقد كانوا يُطردون من أراضيهم في أي وقت دون سبب، وكان يتم تسخير حيواناتهم ومواشيهم والاستيلاء عليها ومصادرتها لصالح الحكومة، والإجبار على زراعة الأراضي المهجورة، وكانوا مُلزمين بتقديم الرجال والحيوانات للخدمات البريدية، وتقديم الإمدادات للملك ولحاشيته، إذا مروا من خلال بلادهم(٤).

وعانى المصريون من عبء إيواء الجنود في منازلهم–سواء بشكل دائم أو مؤقت لحين بناء ثكنات عسكرية لهم–، هؤلاء الجنود الذين كانوا يلحقون الضرر بالمصريين، فقد كانوا يقتحمون المنازل عنوة ويطردون أصحابها منها، وكانوا يتعالون

---

(١) Tarn, *JEA* 14, 259.

وانظر أيضاً: عاصم أحمد حسين، العناصر الأجنبية وتدهور دولة البطالمة، ١٩١.

(٢) Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World, Vol. 1,* 320.

(٣) *P. Tebt.* I, 189(Isac Tebtynis); S. Von Reden, *Money in Ptolemaic Egypt: from the Macedonian Conquest to the end of the third century BC*. (Cambridge, 2007), 60;

وانظر أيضاً، مصطفى كمال عبد العليم، الأرض والفلاح في مصر في عهد البطالمة، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ندوة بعنوان: الأرض والفلاح في مصر على مر العصور، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٠٨.

(٤) Tarn, *JEA* 14, 259.

على المصريين، ولذلك فإن المراسيم الملكية التي كانت تصدر بين حين لآخر، استنكرت هذا التصرفات المشينة من قبل جنود الإيواء(١).

ومن خلال الوثائق البردية التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، نجد أن الأهالي لجئُوا إلى العديد من الوسائل لمواجهة عبء الإيواء، منها إزالة أسقف المنازل، أو إغلاق أبوابها، أو إقامة مذابح للآلهة في مقدمة المنزل، وذلك لكي لا تخصص منازلهم للإيواء، مما جعل الموظفين المسؤولين عن الإيواء يناشدون رؤساءهم بأن يجبروا الأهالي على إزالة المذابح من أمام منازلهم(٢). وكان الأهالي أيضاً يقومون ببناء حائط يقسم المنزل إلى قسمين، للمحافظة على الحياة الخاصة لأسرهم بعيداً عن جنود الإيواء(٣).

ونظرًا لأن تقديم الشكاوى والالتماسات أحد الطرق السلمية لمواجهة الظلم والعدوان، فإن المصريين تقدموا بالشكاوي والالتماسات بحثًا عن العدالة ومواجهةً للظلم، بسبب تعالي بعض أفراد العنصر الإغريقي على المصريين وإساءة معاملتهم، لذا تقدم بعض المصريين بالشكاوى والالتماسات إلى المسؤولين آملين في رفع الظلم الواقع عليهم. وبالرغم من قلة عدد شكاوى المصريين الخاصة بالتمييز العنصري في العصر البطلمي(٤)، إلا أن ذلك لا يدلُ بصورة أو بأخرى على قلة عدد حالات التذمر أو الاستياء التي أصابت المصريين من جراء التمييز العنصري، فقد يرجعَ إلى يأس المصريّين من تحقيق العدالة والبت في مظالمهم، خاصة أنهم كانوا في

---

(١) نفتالي لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٤٩-٥١.

وعن المراسيم الملكية التي تستنكر أفعال الجنود في الإيواء راجع:

P. Petr. II. 12.1 (c241BC Arsinoite)= *Sel.Pap* .II. 413.

وعن العنف الذي مارسه جنود الإيواء ضد الأهالي انظر:

UPZ. II 151(259BC Thebaid?)=*P. Lond*.I 106; *P. Hal*. 1, LL 166-167= *Sel.Pap*. II 207.

(٢) *P. Enteux.* 11 (221BC Magdola).

وأيضًا: نفتالي لويس، اليونانيون في مصر البطلمية، ص ٥١ .

(٣) *P. Enteux*. 13(222BC Magdola)=*P.Lille* II 2= *W.Chr*. 101.

(٤) *P.Col*. IV. 66(c256/255BC Philadelphia).

مواجهة خصم قوي–العنصر الإغريقي–، وشريكًا ومساعداً للملك في حكم البلاد، أو قد يرجع ذلك إلى مجرد ظروف التوثيق، وعدم الاهتمام بتوثيق شكاوي المصريين، وتلف الوثائق المتعلقة بهذه بالشكاوى –مثلها مثل العديد من الوثائق– التي تلفت بسبب التربة والتغيرات المناخية المختلفة [١].

ومن خلال وثيقة بردية جاءت إلينا من قرية فيلادلفيا (*Philadelphia*) من إقليم أرسينوى، تعود إلى عهد "بطلميوس الثاني" وبالتحديد إلى الفترة ٢٥٦–٢٥٥ق.م[٢]، نجد شخصًا غير إغريقي–على الأرجح مصري– كان يعمل عند "زينون" (*Zenon*) راعي إبل، أرسل إلى زينون خطابًا رسميًا يشتكي فيه من تعرضه لسوء المعاملة والازدراء والاحتقار من اثنين من مساعديه، سواء مساعده المقيم في سوريا ويدعى "كروتوس" (*Krotos*)، أو مساعده المقيم في فيلادلفيا في مصر ويدعى "جاسون" (*Jason*)، بالإضافة إلى ذلك فإنه يشتكي من عدم حصوله على أجره بالكامل، ويوضح هذا الشخص أن السبب في ذلك : "**لأنني بربريّ**"(ὅτι εἰμὶ βάρβαρος)[٣]، وليس إغريقي ولا يستطيع أن يتحدث اللغة اليونانية، أو لأنه لا يتصرف كالإغريق، وفي نهاية هذا الخطاب التمس هذا الشخص من زينون أن يأمر مساعديه بأن يعطوه الأجر الذي يستحقه، وأن يدفعوا له أجره فيما بعد بالكامل وبشكل منتظم حتى لا يهلك من الجوع[٤].

ويقودنا تحليل هذا الخطاب إلى معرفة مدى المعاناة التي كان يعاني منها أفراد العنصر المصري في حياتِهم اليومية بسبب التمييز العنصري، وأنواع المعاناة سواء كانت معاناة معنوية، نتيجة للألم النفسي الذي لحق بهذا الشخص لتعرضه لسوء المعاملة من أحد أفراد العنصر الإغريقي، أو معاناة مادية ويبدو أنها الأشدَّ بالنسبة للشاكي، لأنه رَكَز عليها أكثر من خلال استرساله في ذكر عواقب عدم حصوله على أجره من مساعدي صاحب العمل.

---

(١) عاصم أحمد حسين، العناصر الأجنبية وتدهور دولة البطالمة، ص ١٩١–١٩٣ .

(٢) *P.Col.* IV.66(c256/255BC Philadelphia).

(٣) *P.Col.* IV. 66(c256/255BC Philadelphia). Lin. 18–19 .

(٤) *P.Col.* IV. 66(c256/255BC Philadelphia). Lin. 20–21.

ولم تسلم أيَّ فئة من فئات طبقة المصريين من التعالي والازدراء والاحتقار[١]، فمن خلال وثيقة بردية أخرى تعود إلى عهد بطلميوس الثالث عبارة عن اِلتماس، يعود للفترة مابين ٢٤٦-٢٢١ق.م، نجد كاهنًا مصريًا من كهنة آمون، من قرية "ثيادلفيا" التابعة لإقليم "أرسينوي"، يتقدم بِالتماس إلى الملك "بطلميوس الثالث" يشكو فيه من جندي إيواء يشاركه الإقامة في منزله، حيث قام هذا الجندي بِانتِهاك حقوق الإيواء، وعامل الكاهن باحتقار لأن الكاهن مصري الأصل، وجاء على لسان الكاهن في هذه البردية قوله: "**يحتقرني لأنني مصري**" (**καταφρονήσας μοῦ ὅτι Αἰγύπτιός εἰμι.**)[٢].

ومن خلال وثيقة بردية من قرية "كروكوديلوبوليس" تعود إلى عهد الملك "بطلميوس الرابع" وبالتحديد إلى سنة ٢١٨ق.م، نجد أن أحد الإغريق يتقدم بشكوى إلى الملك، يشكو فيها من الاِعتداء عليه بالعنف وأهانته من قبل سيدة مصرية، ومن بين ثنايا هذه الشكوى يظهر بوضوح تعالي العنصر الإغريقي واحتقاره للعنصر المصري، وذلك من خلال قول الرجل الإغريقي عن المرأة المصرية، "**بأنه لا يجب أن يتعامل المصريون أمثالها مع الإغريق بهذه الطريقة**"[٣].

وقد تغيرت نظرة المصريين إلى الإغريق خلال العصر البطلمي؛ فبعد أن نظر المصريون إلى الإغريق كشركاء كفاح لهم ضد الفرس، ومحررين لهم عند دخول الإسكندر الأكبر مصر، فإن الممارسات العنصرية التي مارسها البطالمة ضد المصريين، أزالت الغشاوة من على أعينهم وجعلتهم ينظرون إلى الإغريق على أنهم غرباء، جاءوا إلى بلادهم ليغتصبوا خيراتها ويذلوا أهلها، تحت دعاوي التحرير والخلاص من الاحتلال الفارسي، وقد عبر الأدب الشعبي المصري عن هذه النظرة،

---

(١) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ٩٨؛ نفتالي لويس:اليونانيون في مصر البطلمية، ص ١٠٨.

(٢) *P.Yale*. I.46(246-221BC ?) L .13.

(٣) *P. Enteux*.7(218BC Magdola)= *P.Lille* II 24.

وذلك من خلال نبوءات انتشرت بين المصريين، تبشرهم بقرب اليوم الذي سيطرد فيه الأجنبي البغيض من البلاد[١].

وبعد أن طفح الكيل بالمصريين، سعوا جاهدين من أجل تحقيق هذه النبوءات وطرد الأجانب، وذلك من خلال الثورة ضد البطالمة، خاصةً بعد أن خارت قوى المصريين في تحمل ما لا يطيقون، وبعد أن نبضت قلوبهم بكراهية الأجانب الذين أذاقوهم الذل والهوان، حيث اغتصبوا حقوقهم، وأضعفوا من دورهم في إدارة بلادهم، مما أدى إلى تنامي الروح القومية عند المصريين[٢]، خاصةً بعد معركة رفح٢١٧ق.م التي أعادت للمصريين ثقتهم في أنفسهم، وجعلتهم يتحفزون للثورة ضد النظام البطلمي[٣].

(١) هـ. بل، مصر من الإسكندر الأكبر إلي الفتح العربي، ص ص ٤٩-٥٠.

(٢) عاصم أحمد حسين، العناصر الأجنبية وتدهور دولة البطالمة، ص ص ١٩٤.

(٣) لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر في عصر البطالمة، ص ص ١٤٤.

الفصل الثامن:

الثورات المصرية في عصر البطالمة

مقدمة:

لم تدم فترة الود الآلفة بين المصريين وسادتهم من الإغريق طويلًا، فسرعان ما انتهت هذه الفترة بعد زوال الخطر الفارسي المشترك الذي كان يهددهما معًا، وبدأت فترة جديدة من الشقاق والكراهية بينهما، مما أدي إلي قيامهم بثورات ضد الحكم البطلمي.

أسباب الثورات المصرية ضد البطالمة:

ويمكن أن نحصر أسباب هذه الثورات في الأسباب الآتية:

١- أسباب اجتماعية: تمثلت في التمييز بين عناصر السكان، تم معاملة الإغريق على أنهم السادة، ومعاملة المصريين على أنهم مغلوبين على أمرهم.
٢- أسباب اقتصادية: تمثلت في تضييق الخناق على المصريين من خلال النظام الاقتصادي والمالي الذي قام به فيلادلفوس.
٣- أسباب قومية، اعتزاز المصريين بماضيهم المجيد، خاصة في منطقة طيبة، مركز القومية المصرية، وظهرت هذه الروح القومية في الأدب الشعبي أو النبوءات–نبوءة سفر الأخبار الديموطيقي ونبوءة صانع الفخار– التي كانت تبين رغبة المصريين في طرد الأجانب من البلاد وتدمير الإسكندرية ونقل الحكم إلى منف تحت قيادة حاكم وطني.
٤- والخدمات الإجبارية المختلفة التي أرهقت كاهل المصريين.
٥- عبء الإيواء الأجانب في منازل المصريين.
٦- شعور المصريين بان خيرات بلادهم تذهب إلى ملك أجنبي ومن يحيط به من أجانب، وشعورهم بأنهم مجرد أداة لخدمة الأجانب.
٧- قضاء البطالمة على طبقة الارستقراطية المصرية وسلبهم امتيازاتهم وثرواتهم.

٨- أسباب دينية تمثلت في قيام البطالمة بكسر شوكة الارستقراطية الدينية، فقد كبل البطالمة لرجال الدين بالقيود والحد من امتيازاتهم لكسر شوكتهم.

٩- سوء معاملة موظفي الإدارة للمصريين.

وقد أدت هذه الأسباب إلى وقوع اضطرابات بين مختلف فئات المصريين سواء المزارعين أو التجار أو المشتغلين بالصناعة، بداية من عهد فيلادلفوس إلى أخر عصر الحكم البطلمي، واشتدت قوة هذه الثورات بعد موقعة رفح ٢١٧ق.م، بعد أن شعر المصريين بأهميتهم في المجتمع، فتاقوا إلى الخلاص من الأجانب من بلادهم، واتخذت هذه الاضطرابات أشكال مختلفة هي:

١- القيام بالإضراب عن العمل.

٢- اللجوء إلى المعابد التي لها حق اللجوء للاحتماء بالإلهة من بطش الحكومة.

٣- تهريب السلع وبيعها دون تصريح رسمي.

٤- هروب البحارة والمحاربين من الخدمة

ولم تقف الحكومة البطلمية في مصر مكتوفة الأيدي تجاه هذه الاضطرابات التي تضر بمصالحهم الاقتصادية في البلاد ، لذا واجه الملوك البطالمة هذه الاضطرابات بعقوبات قاسية ضد الثوار المصريين([1]).

الثورة الأولى: الثورة في عهد يورجيتيس

وقعت الثورة الأولى للمصريين ضد الحكم البطلمي في عهد بطلميوس الثالث، أثناء الحرب السورية الثالثة ٢٤٦ق.م، مما اجبره إلى الرجوع إلى مصر، لمواجهة الثورة، التي لولاها لاحتل كل المملكة السليوقية، كان السبب في هذه الثورة ضغط الحكومة على الاهالى ومطالبتهم بإيجارات باهظة لتغطية

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ١٨١.

الاستعدادات للحرب مع السليوقيين، وغياب الجيش في الحرب، والمجاعة التي تسبب فيها نقص فيضان النيل، وواجه بطلميوس الثورة بان قام باستيراد القمح من سوريا وفينيقيا وقبرص ووزعه على المصريين.

وقد رد الكهنة على الموقف النبيل من الملك بطلميوس الثالث من المجاعة بان أصدروا "**قرار كانوب**" **في مارس ٢٣٧ق.م**، شكروه على ما قام به من التنازل عن حق الدولة من الضريبية العينية من المحاصيل من الفلاحين، وقيامة باستيراد كميات كبيرة من القمح لإطعام الشعب، وتقديرا له ولزوجته منحة الكهنة لقب "يورجتيس" بمعني "الإلهين الخيرين".

وفي هذا الوقت ظهرت نبوءة ديموطيقية "سفر الأخبار الديموطيقي" تشير إلى سوء أحوال المصريين، وكرههم العميق للإسكندرية والأجانب، وتتنبأ بتحرير مصر من الأجانب على يد شخص من هيراكليوبوليس، الذي سيصبح حاكمًا للبلاد بعد طرد الأجانب([1]).

الثورة الثانية: الثورة في عهد فيلوباتور

بدأت هذه الثورة في مصر الوسطى والدلتا ثم امتدت إلى مصر العليا، حدثت في عهد بطلميوس الرابع فيلوباتور، ترجع أسبابها إلى اقتصادية بسبب التعديلات المالية والإدارية التي ادخلها فيلوباتور وكبير وزرائه "سوسيبيوس"، وزيادة الضرائب بسبب الهبات التي منحها فيلوباتور للجنود والمعابد، والتشدد في جمع الضرائب، ومصادرة عقارات للموظفين والملتزمين وضامنيهم، وأسباب قومية بسبب إشراك الجنود المصريين لأول مرة في الوحدات الأساسية للجيش بعد إن كانوا يشتركون فقط في الفرق الإضافية، وبقاء التقاليد المصرية الفرعونية في الجنوب بعيدا عن

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ١٨٣.

المؤثرات الإغريقية، وإهمال الملك للشؤون العامة، ووقوعه تحت تأثير بطانة السوء، وازدياد الأعباء المفروضة على المصريين، وعدائهم لكهنة طيبة([1]).

خلال الثورة اعتدى الثوار على بيوت بعض المصريين المعارضين للثورة وبعض المعابد المصرية التي كان كهنتها ضد الثورة في الوجه البحري بسبب المنح التي أغدقها عليهم بطلميوس الرابع كما هو واضح من "**قرار كهنة منف**" **٢١٧ق.م** و"**نصب بيثوم**" اللذان يشيران إلى المنح التي أعطاها الملك لكهنة ومعابد الوجه البحري، أما كهنة أمون في الوجه القبلي كانوا مؤيدين للثورة. وتزعم الثورة في طيبة أرماخيس ثم انخماخيس، أدت الثورة إلى استقلال منطقة طيبة عن الحكم البطلمي لمدة عشرين عاما من ٢٠٥ إلى ١٨٦ق.م، وأدت الثورة إلى نقص في أيدي العاملة وتدهور الزراعة والصناعة. وأثرت على العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة والصومال. مما دفع بطلميوس الرابع إلى رفع القيمة الاسمية للعملة واتخاذ البرونز قاعدة أساسية للنقد البطلمي([2]).

الثورة الثالثة: الثورة في عهد إبيفانيس

قامت في عهد إبيفانيس الثورة الثالثة للمصريين، وبدأت في الإسكندرية، وقتل فيها الوصي على أجاثوكليس على ابيفانيس، ثم امتدت إلى الصعيد، وهجر المزارعون الأراضي خلال الثورة، وبعد القضاء على الثورة انزل ابيفانيس عقاب قاسي بالثوار، وأجزل العطاء للمصريين للقضاء على الثورة، واصدر المجمع الكهنوتي في منف ١٩٦ق.م قرار عرف بقرار حجر رشيد لشكر ابيفانيس لقضائه على الثورة، إلا أن الثورة في الجنوب كانت مستمرة، فقد كان انخماخيس يسيطر

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ١٨٤-١٨٨.

([2]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ص ١٨٨-١٩١.

على طيبة إلي سنة ١٨٦ق.م عندما استطاع احد قادة ابيفانيس من اسر انخماخيس في أغسطس ١٨٦ق.م([1]).

الثورة الرابعة: الثورة في عهد فيلوميتور

سبب قيام هذه الثورة هو فساد الأوصياء على فيلوميتور، والنزاع بين الأخوين على العرش "فيلوميتور" "يورجتيس الثاني"، قادها احد كبار رجال القصر "ديونوسيوس بيتوسرابيس" ومعه ٤٠٠٠ من الجنود المصريين، اندلعت في الإسكندرية ووصلت إلى الصعيد، وانفصلت منطقة طيبة مرة أخرى عن مصر، استطاع فيلوميتور إخمادها بسهولة، ما عدا مدينة "بانوبوليس"–اخميم– التي قاومته بضراوة بسبب ارتفاعها وتحصن الثوار بها، بعد حصارها استولى عليها وعاقب الثوار وعاد للإسكندرية. وقد أدت هذه الثورة إلى هلاك كثير من المصريين سواء في المعارك أو بالإعدام بعد انتهاء الثورة، وهروب الكثير إلى الصحاري والمستنقعات، ونقص الأيدي العاملة، واثر ذلك على الزراعة والصناعة والتجارة، وادي إلى إصدار "هيروديس" وزير مالية فيلوميتور بإرغام جميع القادرين على المساهمة في زراعة الأراضي المهجورة. إلا أن موظفي الإدارة أساءوا فهم قرار "هيروديس"، وكلفوا الجميع بهذا العبء، الذي تهرب منه الأثرياء بدفع الرشاوى، فوقع العبء على الفقراء من مزارعي الملك والجنود المصريين. واصدر فيلوميتور **قرار عفو عام** عن المختبئين والمتهمين بالمشاركة في الثورة في سنة ١٦٣ق.م للقضاء على الثورة والاضطرابات التي أعقبتها([2]).

([1]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ص ١٩١–١٩٧.

([2]) ابراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ص ١٩٧–٢٠٣.

الثورة الخامسة: الثورة في عهد بطلميوس الثامن

قامت هذه الثورة بسبب النزاع الأسري بين بطلميوس الثامن وكليوباترا الثانية، التي كان يؤيدها الإغريق والمتأغرقين وكل خصوم كهنة آمون، أما غالبية المصريين ضد كليوباترا لحقدهم على الإغريق ومن هادنهم من المصريين، استطاعت كليوباترا سنة ١٣١ق.م طرد بطلميوس الثامن من المدينة، ولجأ إلى قبرص، وانتهز المصريين هذا النزاع وقاموا بثورة قومية للتعبير عما يعانونه من ظلم وإجحاف. اتخذت هذه الثورة في الوجه البحري شكل الإضراب عن العمل، أما في الوجه القبلي فقد تقاتلت المدن والقرى بين بعضها البعض بسبب أن بعضها مؤيد لبطميوس الثامن مثل "باثوريس"–الجبلين– وطيبة، والأخر مؤيد لكليوباترا الثانية مثل "هرمونثيس"–أرمنت–. وبالرغم من عودة بطلميوس للإسكندرية ١٢٧ق.م، لم تنتهي الثورة والاضطرابات، للقضاء على هذه الثورة اصدر قرارات عفو سنة ١١٨ق.م التي استثنى منها بانوبوليس–اخميم، وفيه عمل الملك على إرضاء المصريين، فعفي عن كل الرعية من الجرائم التي ارتكبوها، والدعوة إلي العودة إلي منازلهم، وتنازل الحكومة عن المتأخر من الضرائب، وحق المعابد في إدارة أراضيها، وإعفائها من بعض الضرائب ومن الالتزامات الإضافية، والتمتع بحق حماية اللاجئين إليها([1]).

([1]) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الرابع، ص ص ٢٠٣–٢١٥.

الجزء الثاني:

تاريخ مصر في العصر الروماني

الفصل الأول:

العلاقات بين مصر و روما قبل أكتيوم البحرية

- مقدمة:
- عهد بطلميوس الثاني
- عهد بطلميوس الثالث
- عهد بطلميوس الرابع
- عهد بطلميوس الخامس
- دائرة بوبيليوس ١٦٨ق.م
- التدخل في الصراع على العرش بين بطلميوس السادس والثامن
- زيارة سكيبيو إيميليانوس لمصر ١٤٠-١٣٩ق.م
- التدخل في تعيين بطلميوس الحادي عشر ملكاً لمصر
- بطلميوس الزمار وظهور المسالة الرومانية في روما
- محاولة كراسوس لضم مصر ٦٥ق.م
- قيصر وتدخله في الصراع بين كليوباترا السابعة وبطلميوس الثالث عشر:
- ارتباط كليوباترا السابعة بانطونيوس

مقدمة:

قد يظن البعض للوهلة الأولى أن العلاقات بين مصر وروما وليدةً لمعركة أكتيوم البحرية وما نتج عنها من انتصار أوكتافيانوس على أنطونيوس وكليوباترا، وتحول مصر إلى ولاية من ولايات الإمبراطورية الرومانية، هذا الظن في مجملة وأساسه خاطيء تمامًا و لا يشي بشيء عن الحقيقة.

فالعلاقات بين مصر وروما قديمةً وضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، وسبقت هذه المعركة بعدة قرون، وطرأت علي هذه العلاقات تطورات وتحولات هامة، انعكاسًا للاوضاع الداخلية لمملكة البطالمة في مصر وعلاقاتها الخارجية مع القوى الدولية في هذا الوقت خاصة السليوقيين في سوريا أو فيليب الخامس ملك مقدونيا من ناحية، ولاوضاع روما وتحولها من مجرد قوة إقليمية في شبة جزيرة إيطاليا إلى قوة دولية هيمنت على حوض البحر المتوسط من ناحية أخرى.

عهد بطلميوس الثاني:

أرسل بطلميوس الثاني "فبلادلفوس" في سنة ٢٧٣ق.م، سفارة دبلوماسية الى روما، وردت روما على "فيلادلفوس" بسفارة مماثلة في نفس العام، وقد اختلفت اراء الباحثين حول الهدف من هذه السفارات المتبادلة بين مصر وروما، بعض الباحثين يرى ان الهدف من هذه السفارات المتبادلة بين الجانبين هو تدعيم العلاقات بين مصر وروما، خاصة ان كلاً منهما كان في أوج قوته في هذا الوقت، ففي مصر كان البطالمة قد رسخوا اقدامهم في حكم مصر داخليًا وخارجيًا، وروما كانت قد سيطرت على شبة جزيرة ايطاليا باكملها، واصبحت سيدة البحر المتوسط بلا منازع. بينما راي اخرون ان الهدف من هذه السفارات هو عقد تحالف سياسي بين البلدين،

بينما راى فريق ثالث ان الهدف هو تنمية العلاقات التجارية القائمة بين مصر وروما.

وترجح الشواهد الاثرية التي تم العثور عليها، ان هدف هذه السفارة كان هدفا اقتصاديا لتنمية العلاقات التجارية بين مصر وروما، فاقدم عملة فضية رومانية تم سكها في ٢٦٩ق.م ، تتشابه الى حد كبير مع العملة البطلمية التى سكها البطالمة في سنة ٢٧٠ق.م، وبذلك يرجح ان الهدف من سفارة بطلميوس الى روما كان هدف اقتصادي، ويبدو ان احد قناصل هذه السنة كان عضوا في السفارة الثلاثية الى جاءت الى مصر في عهد بطلميوس الثاني.

وعلى ذلك ، يمكن القول ان الاعتبارات الاقتصادية والسياسية في هذا الوقت قد دفعت الجانبين دفعًا الى ضرورة التواصل فيما بينهم من اجل تحقيق مصالحهم المشتركة سواء على الصعيد الاقتصادي او الصعيد السياسي.

عهد بطلميوس الثالث:

شهدت العلاقات بين روما ومصر تطورًا هامًأ في عهد الملك بطلميوس الثالث "يورجتيس الأول"، فقد تحولت هذه العلاقات من طور العلاقات الاقتصادية الى طور العلاقات السياسية، في عهد بطلميوس الثالث عرضت روما ان تساعده في حروبه ضد سوريا– بسبب مشكلة النزاع على منطقة جوف سوريا بين البطالمة في مصر والسليوقيين في سوريا– ورفض بطلميوس هذه المساعدة العسكرية، لان الحرب كانت قد وضعت اوزارها وانتهت بالفعل في اثناء عرض روما لمساعدتها لمصر ضد سوريا. وذكر "عبد اللطيف احمد على" في كتابه "مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية"، نص هذه المساعدة نقلًا عن "يوتروبيوس"، على النحو التالي:

" فعند انتهاء الحرب البونية الاولى – التي استغرقت اثنتين وعشرين سنة– ارسل الرومان ، وقد بلغوا ذروة المجد، سفراء الى بطلميوس (يورجتيس الاول)، ملك مصر، وبذلوا له الوعود بالمساعدة ضد انطيوخس، ملك سوريا الذي شن عليه الحرب، ولم يقبل بطلميوس العرض شاكرًا لان القتال كان قد انتهى".

وعلى الرغم أن الكثير من الباحثين يشككون في حقيقة هذه المساعدة، ويرون انه من المستحيل أن تقوم روما بعرض مساعدتها على مصر وارسال قوات عسكرية إليها، خاصةً بعد خروج روما منهكة من الحرب البونية الاولى، الا ان هذه الرواية تشير بشكل واضح الى استمرار علاقات الود والتعاون بين مصر وروما.

عهد بطلميوس الرابع:

اعتمد هانيبال خلال الحرب البونية الثانية على استراتيجة حرق حقول القمح الايطالية وتجويع روما من اجل اخضاعها لسيطرته، مما هدد روما بحدوث مجاعة، كان الممكن ان تجبرها على الاستسلام لـ هانيبال في هذه الحرب، الا ان الرومان تغلبوا على استراتيجية هانيبال بطلب مساعدات من القمح من بطلميوس الرابع" فيلوباتور". وقد امدهم "فيلوباتور" بما احتاجوا اليه من القمح، مما كان له اثر بالغ في انتصار الرومان في نهاية هذه الحرب على قرطاجة.

عهد بطلميوس الخامس:

بعد انتهاء الحرب البونية الثانية مباشرةً وانتصار الرومان على هانيبال في معركة زاما ٢٠٢ق.م، وبالتحديد في سنة ٢٠٠ق.م، ارسلت سفارة الى مصر تطلب من الملك بطلميوس الخامس" ابيفانيس" ان يقف على الحياد في حالة نشوب حرب بين روما و فيليب الخامس ملك مقدونيا. وجاء نص هذا الططلب عند عبد اللطيف احمد على نقلا عن "ليفيوس"، كالتالي:

"أرسل الرومان الى ملك مصر (بطلميوس ابيفانيس) سفارة من ثلاثة اعضاء هم نيرون ولبيدوس وتوديتانوس، ليعلنوا له نبأ هزيمة هانيبال، وليشكروه على ولائه الذي لم يتزعزع في الوقت العصيب الذي تخلى فيه عن الرومان اوثق خلفائهم، راجين منه ان يظل على ولائه القديم للشعب الروماني اذا ما حدث ان اعلن الرومان الحرب عبى (فيليب الخامس ملك مقدونيا) مدفوعين بالاساءات التي لحقتهم على يديه".

يتبين لنا مما اورده ليفيوس ان السفارة الثلاثية التي ارسلتها روما الى مصر في اعقاب الحرب البونية الثانية، ان بطلميوس الخامس واسلافه لم يألوا جهدًا في تعضيد ومساعدة روما اثناء حربها مع هانيبال، وان هذا الجهد كان اقتصاديا بشكل اساسي تمثل في مساعدات عينية او نقدية اقتصادية كان يدفع بها البطالمة للرومان اثناء حربهم مع قرطاجة، مما دفع روما الى شكر حلفائها الاوفياء على ما قدموه من حسن صنيع لها، وانهم افضل من بعض حلفائهم الايطاليين الذين تمردوا ضد روما خلال حرب هانيبال على ايطاليا، طالبين منهم الثبات على موقفهم الداعم لروما في المستقبل، خاصة اذا نشبت الحرب بينهم وبين مقدونيا، ومبررين لهم الحرب التي سيشنها الرومان على فيليب ، بانها حرب من اجل الدفاع عن انفسهم وليس من اجل التوسع والاعتداء علي فيليب.

ويبدو أن ابيفانيس قد انتشى سعادةً وطار فرحًا من وقع السفارة الثلاثية التي ارسلها الرومان اليه، واراد ان يبادل الرومان بالود والمحبة لما بادروا به من شكره والاعتراف بالخدمات الجليلة التي اسداها اليهم، فارسل اليهم سفارة يقول فيها على لسان "ليفيوس":

" أن الأثينيين قد سألوه المعونة ضد فيليب، ولكنه لن يرسل إلى بلاد الاغريق – على الرغم من ان أثينا حليف مشترك– أسطوله أو جيشه سواء للدفاع أو الهجوم

دون موافقة الشعب الروماني. فاذا شاء الرومان الدفاع عن حلفائهم، فسيبقى في مملكته ساكنًا، أما اذا آثروا ألا يتخذوا أية خطوة، فان بطلميوس على استعداد لأن يرسل قوات في وسعها أن تحمي أثينا من عدوان فيليب. وقد شكر السناتو الملك وأبلغ السفراء أن الشعب الروماني قد اعتزم حماية حلفائه، فإذا احتاجوا للمعونة في تلك الحرب، فسوف يخبرون بطلميوس لثقتهم بأنه في وسعهم دائما الاعتماد علي موارد مملكته لسد حاجات الجمهورية".

يتضح مما ذكره "ليفيوس" أن العلاقات بين الجانبين قد شهدت تحولًا هامًا في هذه الفترة، فلم تعد هذه العلاقات ندًا لند، بل أصبحت علاقات بين طرف قوي وبين طرف أخر تابع للطرف الأول، يظهر هذا جلياً من عرض "ابيفانيس" خدماته للرومان دون أن يطلبوا منه ذلك، وأن القوات العسكرية البطلمية رهن إشارة الشعب الروماني، وأن هذه القوات لا تستطيع التحرك قيد أنملة دون إذن من الرومان، مما يشعر القاريء لرواية "ليفيوس" عن هذه السفارة بوضع الانبطاح الذي كان يتخذه ابيفانيس في علاقته مع روما، تملقًا للرومان وخطبًا لودهم، خاصةً أنهم أصبحوا في هذا الوقت أكبر قوة في عالم البحر المتوسط، بينما كان البطالمة يعانون أشد المعاناة من المشاكل الداخلية–النزاع على العرش البطلمي– والمشاكل الخارجية– مشكلة جوف سوريا و خطر فيليب الخامس– التى أحاطت بهم، مما جعلهم مجرد تابعين لروما بعد ان كانوا حلفاء لها فيما مضى. ويتضح لنا ايضا طمع الرومان في موارد مصر، وان علاقة الرومان بالبطالمة ، كانت قائمة على أساس استغلال موارد مصر وتسخيرها من اجل خدمة المصالح الرومانية.

دائرة بوبيليوس ١٦٨ق.م:

دخلت دولة البطالمة بعد بطلميوس الرابع "فيلوباتور" في مرحلة الضعف والانهيار، مما اغرى انطيوخس الرابع بالسيطرة عليها، فقام في سنة ١٧٠ق.م بغزوها، لكنه انسحب منها سريعًا، وغزاها مرة أخرى في سنة ١٦٨ق.م، متذرعا بمساعدة بطلميوس السادس "فيلوماتور" ابن "كليوباترا الاولى" شقيقة انطيوخس في صراعة مع اخية الاصغر "بطلميوس الثامن" على العرش، ودخل انطيوخس منف ونصب نفسه فرعونًا، وحاصر الاسكندرية. وتدخل الرومان واجبروا أنطيوخس على الانسحاب من مصر بطريقة مهينة، حيث رسم المندوب الروماني- بوبيليوس لايناس-**Popilius Laenas** دائرة بعصاه حول انطيوخس وامره بالرد عليه قبل أن يغادر الدائرة مما اجبره على الانسحاب دون اخذ رأي مستشاريه، ويعرف هذا الأسلوب دبلوماسيًا باسلوب الدبلوماسية الفجة.

التدخل في الصراع على العرش بين بطلميوس السادس والثامن

تدخلت روما خلال هذه المرحلة في المشاكل الداخلية لمصر، أو بمعنى أدق المنازعات التي نشبت بين اسرة البطالمة حول وراثة العرش، بعد وفاة بطلميوس الخامس شب النزاع بين ابنائه "بطلميوس السادس" "فيلوماتور" وشقيقة الأصغر "بطلميوس الثامن" "يورجتيس الثاني"، بعد أن كانوا شركاء في الحكم معًا، انفرد الشقيق الأصغر بالحكم، مما دفع الأخ الأكبر للجوء إلى روما طلباً لمساعدته في العودة الى الحكم، وقد حكمت روما بان يحكم فيلوماتور قبرص، ويحكم الاخ الاصغر مصر وقورينائية، إلا أن ثورة شعبية قامت ضد الأخ لأاصغر، وطرد من الحكم وتم استدعاء فيلوماتور لحكم مصر وقبرص، بينما ترك للاخ الاصغر حكم قورينائية (برقة). وقد اوصى الاخ الاصغر بان تؤل مملكته- برقة- الى حكم

الرومان اذا مات دون وريث، حتى لا تؤل الى اخية الاكبر، إلا ان القدر يشاء أن يموت الاخ الاكبر ويتولي الاصغر حكم مصر، وبذلك لم تنفذ وصية بطلميوس الثامن، وعهد بحكم برقة الى ابنه غير الشرعي "بطلميوس أبيون" ، الذي أوصى بان تؤل برقة الى حكم الرومان بعد وفاته٩٦ق.م، وفي ٧٤ق.ن تم تحويل برقة الى ولاية رومانية.

زيارة سكيبيو إيميليانوس لمصر ١٤٠-١٣٩ق.م

كُلف سكيبيو إيميليانوس بمهمة من قبل السناتو للوقوف على احوال الممالك الهلنستية، وعاد الى روما بتقرير عن خيرات ومدى ثراء مصر وعن اوضاعها الداخلية، وكان لذلك التقرير اثر كبير في رسم سياسة السناتو تجاه مصر.

التدخل في تعيين بطلميوس الحادي عشر ملكاً لمصر

عند وفاة بطلميوس التاسع ٨١ق.م، لم يترك وريثاً للعرش، إلا ابنته برنيكي التي نصبها السكندريين ملكةً على البلاد، فرض سوللا في هذا الوقت ابن "بطلميوس العاشر" "الاسكندر الاول"، الذي كان يعيش في روما، وبعث به إلى مصر ليتزوج من "برنيكي" ويتولى الحكم تحت اسم "بطلميوس الحادي عشر" أو "الاسكندر الثاني"، إلا أن هذا الشخص قتل برنيكي، ولذلك غضب السكندريين وثاروا ضده، وقتلوه بعد ايام قليلة من توليه الحكم.

بطلميوس الزمار وظهور المسالة الرومانية في روما:

زعم الرومان أن بطلميوس الحادي عشر قد ترك وصية بأن تول مصر إلى املاك الشعب الروماني، وبالتالي لم يعترفوا ببطلميوس الزمار ملكاً على مصر، وإزاء ذلك حاول الزمار كسب اعتراف الرومان به ملكاً على البلاد عن طريق الرشوة

والهدايا التي كان يقدما لاعضاء السناتو، ولكن البعض يشكك في هذه الوصية، ويرى إنها غير حقيقية.

والرواية الاخرى تحكي أن هناك ثورة قامت ضد الزمار في الاسكندرية، وخلعته من العرش، ومن ثم طلب من الرومان إعادته إلى عرشه، وقد تضاربت اراء الاحزاب في روما ازاء هذه المسالة، مما دفع السناتو الى ارجاء هذه المساللة، الا ان "جابينوس" القائد الروماني على سوريا اعاد الزمار الى عرشة مقابل رشوة دفعها اليه الزمار.

محاولة كراسوس لضم مصر ٦٥ق.م

كان للوصية المزعزمة سابقة الذكر تبعات على مستقبل مصر ومصيرها، فقد دفعت هذه الوصية الرقيب كراسوس بتقديم مشروع فرض جزية سنوية على مصر، لان الزمار خالف وصية بطلميوس الحادي عشر ، التي كانت تقضي بان تؤل مصر لاملاك الشعب الروماني. ولحسن حظ الزمار ان هذا المشروع اجهض على يد شيشرون صديق بومبي، الذي كان يرى نجاح مشروع كراسوس وتمريره سوف يكون هزيمة لصديقة بومبي وانتصارا للحزب الديمقراطي. وفي السنة التالية طلب كراسوس من احد نقباء العامة بتقديم مشروع لضم مصر الى املاك الشعب الروماني. واستطاع شيشرون مرة اخرى اجهاض هذا المشروع.

قيصر وتدخله في الصراع بين كليوباترا السابعة وبطلميوس الثالث عشر:

نشب صراع بين "كليوباترا السابعة" وأخيها "بطلميوس الثالث عشر" على العرش، ونظراً لتحيز قيصر لجانب كليوباترا نشبت "حرب الاسكندرية" ضده، وانتهت بهزيمة بطلميوس وموته غرقاً وتنصيب كليوباترا على العرش بالاشتراك مع اخيها بطلميوس الرابع عشر.

وقضى قيصر الشتاء مع كليوباترا نزهة نيلية، وعند عودته لروما وضعت طفلا، وذهبت كليوباترا الى روما، واعترف بابنه منها، وفي ذلك الوقت كثرة الاشاعات حول قيصر بانه يريد تحويل الجمهورية الى ملكية من اجل كليوباترا.وبعد اغتيال قيصر على يد الحزب الجمهوري، عادت كليوباترا الى مصر، وتخلصت من اخيها بطلميوس الرابع عشر، واشركت ابنها في الحكم قيصرون بطلميوس الخامس عشر.

بعد انتقامهم من قتلة قيصر اقتسم اوكتافيوس وانطونيوس الولايات بينهم، تولى اوكتافيوس ادارة الولايات الغربية، وانطونيوس الولايات الشرقية. ومصر فى هذا الوقت كانت المملكة الوحيدة في الشرق التي لم تسقط في يد الرومان.

ارتباط كليوباترا السابعة بانطونيوس

بعد اعتيال قيصر اخذت كليوباترا تبحث عن قائد روماني أخر تستند اليه في حماية مملكتها من الضياع، وقد وجدت ضالتها المنشودة في انطونيوس، الذي افتتن بها، وهام بها حبًأ وعشقًا، واثمرت علاقتهما عن ميلاد توأم.

في هذا الوقت كان الشقاق والخلاف يزداد يومًا بعد يوم بين اوكتافيوس وانطونيوس، نظرًأ لطموح كلاً منهم في الاستئثار بالسلطة وتحقيق مجد شخصي لنفسه، الى ان تم في سنة٤٠ق.م عقد صلح بين القائدين وتقريب لوجهات النظر بينهم، وتوطيدًا لهذا الوفاق والصلح تزوج انطونيوس من اوكتافيا اخت اوكتافيوس.

وعندما ارتبط القائد الروماني "ماركوس انطونيوس"(***Marcus Antonius***) بعلاقة عاطفية بكليوباترا السابعة"(***Cleopatra VII***) ملكة مصر، فإنها كانت تخطط لحماية عرشها من الأطماع الرومانية، وتطمح إلى حكم الجزء الشرقي من

الإمبراطورية الرومانية بمساعدة "أنطونيوس" على أقل تقدير، أو أنها كانت تطمح إلى حكم الإمبراطورية الرومانية بأسرها، ولذلك فإن الرومان كرهوها وغضبوا منها، وعبر "كاسيوس ديو" (***Cassius Dio***) عن ذلك قائلًا:

"الأمل قد راودها في أن تحكم الرومان، وكان أقصى أمنية لديها، والتي أقسمت أن تحققها ذات يوم، هي أن تُصرَف العدالة فوق صخرة الكابيتول".

وعلى ذلك، فإن كليوباترا أثارت الفزع في قلوب الرومان وجعلت قلوبهم ترتجف من بين ضلوعهم، وذكرتهم بحروب "هانيبال" وخسائرها الفادحة، وقد أذكت الحرب الدعائية التي دارت بين "أوكتافيانوس" من ناحية وبين "انطونيوس" و"كليوباترا" من ناحية أخرى من هذا الشعور، حيث أخذت الدعاية الموالية لجانب "أوكتافيانوس" في بث سمومها في قلوب وأذهان الشعب الروماني إلى أن أصبحت "كليوباترا" العدو اللدود فـي مخيلة الشعب الرومانـي.

وفي هذا الوقت كان الوسط الثقافي هو بوق الدعاية الرئيس ضد "كليوباترا السابعة"، وتبارى الأدباء والخطباء الرومان في الدلو بدلوهم في هذه الدعاية، ومنها على سبيل المثال رسالة "شيشرون" (*Cicero*) إلى صديقه "أتيكوس"(*Atticus*)، التي صرح فيها بوضوح عن كراهيته العميقة "لكليوباترا"، ويبدو لنا من خلال هذه الرسالة أن "شيشرون" استغل كراهية الرومان لكليوباترا للتشهير بـها لعدم وفائها بوعدها له، بإهدائه مجموعة من الكتب القيمة من مكتبة الإسكندرية، وعن "كليوباترا" يقول "شيشرون":

"ولا أستطيع أن أتذكر صلف الملكة نفسها عندما كانت في الحدائق على الضفة الأخرى من التيبر– دون أن أشعر بألم شديد".

أما التشهير اللاذع لكليوباترا، فقد جاء على لسان الشاعر "بروبرتيوس"(*Propertius*)، الذي تناول سيرتها بكل سوء في إحدى قصائده قائلًا:

"إنها سيدة مبتذلة بين خدمها فقد طالبت

زوجها الفاسق بأسوار روما وإخضاع السناتو

لسلطانها كثمن لزواجها منه.

وفي موضع آخر يصف "بروبرتيوس" الملكة "كليوباترا" بأنها عاهرة فاجرة، قائلًا:

"نعم! قد اجترأت الملكة العاهرة، ملكة كانوب

الدنسة، والوصمة الوحيدة التي دمغتها

سلالة فيليب على أن تواجه إلهنا جوبيتر بأنوبيس.

الا ان عددًا من الخطوات التي اقدم عليها انطونيوس جعلت علاقته تسوء مرة أخرى مع انطونيوس، ففي ٣٧ق.م بعد ان فشلت حملة انطونيوس ضد البارثيين في الشرق، اعلن انطونيوس زواجه من كليوباترا.

وثاني هذه الخطوات انه في سنة ٣٤ق.م بعد انتصار حملة انطونيوس على ارمينيا، احتفل انطونيوس بانتصارة العسكري في الاسكندرية وليس روما، واعلن كليوباترا في هذا الاحتفال ملكةً على مصر وقبرص وليبيا وجوف سوريا بمشاركة قيصرون، وابنائه منها ملوك ابناء ملوك، وقسم بينهم الولايات الشرقية.

وثالث هذه الخطوات طلاقه من أكتافيا، مما دفع أوكتافيوس إلى شن حملة دعائية شعواء ضد انطونيوس وكليوباترا، ووقد آتت هذه الحملة اكلها وتم اعلان

الحرب ضد كليوباترا، واصرت كليوباترا على التواجد في ميدان المعركة، مما كان له اثر سلبي ادي في النهاية الى هزيمتها وانطونيوس في أكتيوم ٣١ق،م، ويبدو أن أنطونيوس كان يأمل في الاستعداد لمعركة برية فاصلة مع أوكتافيوس، إلا أن أوكتافيوس وصل مصر قبل أنطونيوس، ودخلها من الناحية الشرقية واستولى على بيلوزيوم ثم الإسكندرية، ونظرًا لفشل أنطونيوس في مواجهته، انتحر، ثم انتحرت من بعده كليوباترا ٣٠ق.م، لإنها كانت تخشى ما تخشاه أن تأخذ أسيرة إلى روما، وتهان في موكب انتصار عسكري في شوارع روما.

وعلى الرغم من هزيمة "كليوباترا" و"انطونيوس" في مواجهة أوكتافيانوس" في معركة أكتيوم البحرية في ربيع سنة ٣١ ق.م، فإنها يكفيها فخرًا قدرتها على إثارة الحقد والرعب في قلوب الرومان، حتى أصبحت رمزًا للكفاح ضد روما وطغيانها على الشرق الهللينستي، الذي كان يتمنى الخلاص من نير عبوديتها.

الفصل الثاني:

أوكتافيوس في مصر

مظاهر سعادة الرومان بالاستيلاء على مصر:

اذا اردنا ان نعرف مدى اهمية مصر بالنسبة لروما، فلنا ان نحلل الاحداث التي حدثت بعد استيلاء الرومان على مصر في اول اغسطس–الشهر السادس ***Sextilis*** في تقويم يوليوس قيصر ٣٠ق.م بعد معركة اكتيوم البحرية ٣١ق.م، فقد اقدم السناتوس على خطوة في غاية الاهمية بقيامه باعتبار اليوم الذي دخل فيه اوكتافيوس مصر عيدًا قوميًا للرومان، وتقديراً لاهمية هذا الانجاز الذي تحقق تحت قيادة اوكتافيوس فان السناتو قرر منحه حق الاحتفال بنصره على المصريين، ودعا السناتو الى اعتبار هذا اليوم بداية للتقويم المحلي في مصر، فضلا عن العطايا والهبات والالقاب التي اسرف الستاتوس في وهبها لاوكتافيوس. فمنحة التربيونية. ومن جانبه استغل اوكتافيوس هذا الحدث الجلل–فتح مصر– في الدعاية السياسية لنفسه بان سك عملة تذكارية من فئة الدينار الفضي على احد وجهيها التمساح–سوخوس–وكتب تحتها سقطت مصر ***aegypto capta***([1]).

موقف اوكتافيوس من السكندريين:

وعندما دخل اوكتافيوس الاسكندرية لم تتملكة رغبة الانتقام والكراهية على اثر ما قامت به كليوباترا، اذ انه اصدر تعليماته الى جنوده بعدم نهب المدينة او تخريبها، والقي خطابا لايونانية عفى فيه عما سلف. وقام بتبجيل جثمان الاكبر ووضع عليه تاجا الذهب ووضع فوقه الزهور، الا انه اعرض ونأي بجانبه عن زيارة قبور الملوك البطالمة، وقال ان جاء ليشاهد ملكا لا ان يشاهد امواتاً. ووضع في نيقوبوليس الفرقة الرومانية الثانية والعشرين بالاضافة الى ثلاث كتائب، لاحكام قبضته على الاسكندرية واهلها، ورض مطلب السكندريين بمجلس شورى خاص بهم([2]).

([1]) رجب سلامة، المرجع السابق، ص ٥٧. عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق، ص ٤١.

([2]) عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق، ص ٤٢-٤٤.

صدى اهمية مصر الاقتصادية في المصادر الكلاسيكية

ظهر صدى أهمية مصر بالنسبة للرومان ومدى ذعرهم خوفًا من فقدانها في المصادر الكلاسيكية بشكلٍ واضح، فقد قال تاكيتوس "وضع اغسطسس مصر على حدة خشية أن يحتلها أي شخص فيصيب ايطاليا مجاعة. وفي موضع اخر يقول تاكيتوس "حياة الشعب الروماني قد ارتهنت بالسفن وما قد يصيبها من حوادث. بينما يقول ديو كاسيوس "نظرًا لوفرة قمحها وثروتها". ويقول عنها المؤرخ اليهودي يوسيفيوس: "مصر أقيم جزء في الامبراطورية بسبب القمح الذي تمون به روما". وفي موضع اخر يذكر يوسيفيوس: "وفضلًا عن الاموال فإن مصر تمد روما بقمح يكفيها أربعة أشهر. اما بلينيوس الاصغر فقد قال عنها: ط ان مدينتنا(روما) لا تستطيع ان تطعم نفسها او تقيم أودها بدون ثروة مصر". وفي مكان اخر ذكر بلينيوس "لنعرف مصر اذن ونؤمن عن تجربة بانها لا تمدنا بالطعام بل تؤدي لنا الجزية، ولنعلم انها لا تمت للشعب الروماني بصلة ومع هذا فهي مسخرة في خدمته"([1]).

تحكم مصر في عرش الامبراطورية الرومانية

لم تقتصر اهمية مصر على الناحية الاقتصادية بشكل مباشر او غير مباشر فقط، ولا موقعها الاستراتيجي كحدود جنوبية للامبراطورية، بل تعدت ذلك الى ان اصبحت القوة الدافعة لارتقاء الاشخص الى عرش الامبرطورية، فخلال ازمة عام الاباطرة الاربعة ٦٨-٦٩م، نجح فاسباسيان بفضل مصر في ارتقاء العرش، فبعد ان تغلب على جيوش فيتليوس زحف الى الاسكندرية، اشارة الى قدرته على اذلال روما من الاسكندرية بقطع امدادات القمح([2]).

---

(١) رجب سلامة، المرجع السابق، ص ٥٩-٦٠

(٢) رجب سلامة، المرجع السابق، ص ٦١.

اعمال اوكتافيوس في مصر:

ويعتقد البعض انه بعد ذلك اتجه اوكتافيوس الى منف، وعندها وضع فرقة رومانية، ووضع فرقة عند طيبة(فرقة قورينة الثالثة) مركز امون والحركات القومية، ووضع ثلاث كتائب عند اسوان، وثلاث كتائب اخري وزعها في باقي البلاد تمركزت عند ارسينوي وهرموبوليس وقفط. وقام بمعالجة التدهور الذي اصاب البنية الاساسية للاقتصاد في العصر المتأخر للبطالمة، بادخال بعض الاصلاحات الاقتصادية ، ووضع الخطوط العريضة للنظام الاداري ووضع الاسس والقواعد التي سيسير عليها الحكم الروماني في مصر لفترة طويلة، ثم عاد الى روما([1]).

(١) عبد اللطيف احمد علي، المرجع السابق، ص ٤٤-٤٨.

الفصل الثالث:

وضع مصر في الامبراطورية الرومانية

الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لمصر:

استحوذت مصر على أهمية كبيرة في الامبراطورية الرومانية منذ اللحظة الاولى لدخول اوكتافيوس الي مصر، لما لا وهي غنية بمواردها الطبيعية المختلفة، خاصة القمح، فهي كانت سلة الغلال بالنسبة للعالم القديم، وكانت تمد إيطاليا بمعظم احتياجاتها من القمح، مما جعل القمح المصري يلعب دورًا اساسيأ في استقرار الامبراطورية الرومانية وفي احتفاظ الاباطرة الرومان بعرشهم. فضلًا عن أهمية موقع مصر الاستراتيجي لوقوعها على خطوط الطرق التجارية الكبرى بين دول الشرق والغرب في ذلك الوقت.

الاختلاف حول وضع مصر في الامبراطورية الرومانية:

وثار جدال كبير بين المؤرخين المحدثين حول الوضع القانوني لمصر في الامبراطورية الرومانية. وازاء ذلك انقسموا إلي فريقين، كلاً منهما ساق حجج وأدلة لتدعيم رأية.

الفريق الأول:

يرى اصحاب الرأي الأول أن الوضع القانوني لمصر يجعلها جزء من ممتلكات اوكتافيوس الخاصة، وليس لاحد سلطة فيها او اتخاذ اي قرار بشأنها وقد دلل اصحاب هذا الرأي على صحة ما يعتقدونه بعدة أدلة.

اولها: ان اوكتافيوس في سجل اعماله المعروف بـ"اثر انقره"- تم العثور على هذا النقش في سنة ١٥٥٥ في انقرة بتركيا، مكتوب باللغة اللاتينية، وهو عبارة عن ملخص للاعمال العسكرية والمالية التي قام بها اغسطس- لم يذكر فيه ان مصر ولاية رومانية. فقد اكتفى عند الحديث عن مصر بانه قال "لقد اضفت

مصر الى سلطان الشعب الروماني"، ولم يستخدم مصطلح ولاية للاشارة الى وضعها القانوني، في حين انه تحدث عن احتمال تحويل ارمينيا الى ولاية، بذلك فهي ليست ولاية، لانها لو كانت ولاية لتم النص صراحةً في النقش على وضعها القانوني كولاية.

ثانيها انه تم ذكر اكثر من منطقة في نقش انقرة بانه تم تحويلها الى ولاية تتبع الامبراطورية الرومانية.

ثالثها: إن السجلات الرسمية الرومانية المعاصرة لدخول الرومان الى مصر، و التي كانت تحتفظ بتدوين الاحداث الهامة ، لم ينص فيها على ان مصر ولاية رومانية.

رابعًا: النظم التي وضعت لمصر منذ استيلاء الرومان عليها تختلف تمامًا عن النظم التى وضعت لباقي الولايات في الامبراطورية الرومانية([1]).

الفريق الثاني:

بينما ذهب اصحاب الرأي الثاني الى ان مصر كانت ولاية province من ضمن ولاية الامبراطورية الرومانية، فعدم ذكر مصر في نقش انقرة بانها ولاية، لا ينكر حقيقة كونها ولاية، وقد استند انصار هذا الرأي إللى ما جاء في النقش من وصف ضم بانونيا وإلليريا الى الامبراطورية الرومانية، ولم يتم الاشارة اليهما كولاية واستخدم تعبيرًا مماثلًا عند حديثة عن مصر، وبالرغم من ذلك فإن بانونيا وإلليريا كانتا ولايات تتبع الامبراطورية الرومانية. فضلًا عن ذلك فإن المؤرخين

([1]) عبداللطيف احمد على، مصر والامبراطورية الرومانية، ٤٨-٥٠.

المعاصرين لضم مصر الى الامبراطورية، سواء استرابون وتاكيتوس ذكروا في كتاباتهم ان مصر كانت ولاية.

مصر من وجهة نظر القانون الروماني:

وقصارى القول ان مصر من وجهة نظر القانون الروماني كانت ولاية روانية تدور في فلك الامبراطورية الرومانية وليست جءً من ممتلكات الامبراطور الروماني، وان كانت ولاية ذات طبيعة واهمية خاصة، مما تطلب التعامل معها معاملة الولايات الكبرى في الامبراطورية الرومانية.

النتائج السياسية والاقتصادية لدخول الرومان مصر:

كان لسقوط مصر فريسة سهلة بين مخالب الذئبة روما نتائج هامة، فمن الناحية السياسية ادى سقوط مصر الى فقدانها الاستقلال السياسي كدولة، واصبحت ولاية من ولايات الامبراطورية الرومانية، ولم تعد الاسكندرية عاصمة لدولة، بل عاصمة ولاية تتبع الامبراطورية الرومانية. ومن الناحية الاقتصادية، اصبحت موارد مصر باكملها مسخرة من اجل الشعب الروماني، يتم تصديرها الى خارج حدودها الى ايطاليا، بعد ان كانت هذه الموارد والخيرات لا تخرج من مصر في عصورها السابقة لدخول الرومان لمصر، ومنذ دخول الرومان مصر اصبحت مصر ملزمة بدفع جزية سنوية لروما في شكل نقدي وعيني.

مصر وتسوية ٢٧ق.م بين مجلس السناتو وأغسطس:

كان عام ٢٧ق.م، علامة فاصلة في تاريخ أوكتافيوس والامبراطورية الرومانية، فمن هذا الوقت منح اوكتافيوس لقب اغسطس بمعني المهيب او الجليل، اعتراف من مجلس السناتوس بالخدمات الجليلة التي اداها للامبراطورية

الرومانية، وعلى رأسها بالطبع ضم مصر الى سلطان الشعب الروماني، لذا بعد رجوع اوكتافيوس من الشرق منح هذا اللقب وسط اجواء احتفالية كبيرة لتكريمه.

وبالنسبة للامبراطورية الرومانية فانه في سنة ٢٧ق.م عقدت تسوية لتنظيم الادارة والاشراف على ولايات الامبراطورية الرومانية بين أغسطس ومجلس السناتو، بعد ان اصبحت الامبراطورية الرومانية مترامية الاطراف، وخلال هذه التسوية حرص اغسطس كل الحرص على التمسك بمصر لما لها من اهمية استراتيجية واقتصادية بالنسبة للامبراطورية الرومانية، وحرص أن تكون ولايات الحرب والقتال من نصيبة، حتي يتمكن من وضع قيادة القوات العسكرية تحت تصرفه شخصيًا، وانتزاع القيادة العسكرية من ايدي السناتوس، خاصةً اننا نعلم ان اغسطس لم يأمن في يوم من الايام لاعضاء السناتوس، وخشية من استغلال السناتوس للقوات العسكررية في الاطاحة به من سدة حكم الامبراطوررية الرومانية.

وخلصت هذه التسوية الي وضع اربع ولايات تحت تصرف وادارة اغسطس، وهذه الولايات منها ثلاث ولايات حرب، و اوضاعها غير مستقرة وبها قوات رومانية، هي: ولاية الغال التي كان بها قوات رومانية تحارب في بلاد الغال، وكانت تمثل الجبهة الشمالية للامبراطورية، و ولاية اسبانيا التي كانت بها قوات للحرب في اسبانبيا، و مثلت الجبهة القتالية الجنوبية، و ولاية سوريا التي كانت قاعدة للقوات الرومانية المحاربة على الجبهة الشرقة للامبراطورية الرومانية، أما الولاية الرابعة فهي ولاية مصر، التي وضعت تحت ادارة اغسطس بالرغم من استقرار واستتباب الامور فيها، لكنها اسندت الى اغسطس لموقعها الاستراتيجي المميز، لانها كانت تمثل الحدود الشرقية والجنوبية للامبراطورية، فضلًا عن

أهميتها الاقتصادية. وكان لاغسطس سلطات مطلقة على هذه الولايات، يفعل ما يشاء فيها، ويضع ما يتراءى له من تنظيمات لها.

وبذلك استطاع أغسطس أن يمتلك القوة العسكرية والاقتصادية، واصبح الرجل الاقوى في الامبراطورية الرومانية، الذي لا يستطيع احد ان ينافسه في حكم الامبراطورية، بعد ان قضى على غريمه انطونيوس، الذي هدد وجود و كيان الامبراطورية الرومانية من مصر، وبعد ان اتخذ من الاجراءات الكفيلة بعدم تكرار ما قام به انطونيوس من قبل.

تأمين مصر:

ظل الرومان يمنون النفس لمدة تربوا على قرنين من الزمان في السيطرة على مصر وضمها الي أملاكهم، وعندما حدث ما تمنوه تهللوا فرحًا وسعادةً بهذا الحدث، وبعد ان ذاقوا خيرات مصر عرفوا عن تجربة لذة هذه الخيرات، وأدركوا تمامًا مدى أهمية مصر بالنسبة لهم، فقد كانت مصر بالنسبة لهم بمثابة شريان الحياة الذي ياتيهم من الشرق ليمدهم باكسير الحياة، المتمثل في القمح المصري وغيره من الموارد الطبيعة الاخرى التي جادت وافاضت بها لبطون الرومان، بينما ضنت على بخيراتها على ابنائها من المصريين، لذين كانوا يكدحون ويزرعون لاطعام الشعب الروماني لعدة قرون.

لذلك، حرص اغسطس على وضع ترتيبات خاصة لتأمين مصر من الاخطار الداخلية والخارجية التي قد تهدد وجود الرومان فيها، او تاثر على امدادات القمح والجزية النقدية السنوية الى روما.

وأول هذه الاجراءات قيامه باختيار والي مصر من طبقة الفرسان لعدم ثقته في الطبقة السناتورية التى غدرت بقيصر من قبل. وثانيها منع دخول اعضاء

السناتو والفرسان البارزين من دخولها الا باذن شخصي منه. وثالثها: قام أغسطس بوضع ثلاث فرق عسكرية واحدة في الاسكندرية والباقي في سائر انحاء مصر، بالاضافة الى تسع وحدات عسكرية ثلاث في الاسكندرية، وثلاث على الحدود الاثيوبية، والباقي في الريف المصري، بالاضافة الى ثلاث وحدات من الفرسان.

الصورة الذهنية لأغسطس في مخيلة المصريين

لم يمثل دخول الرومان مصر بالنسبة للمصريين أي تغيير جوهري في حياتهم اليومية، ففي السابق أو العصر البطلمي كان يحكمهم ملوك أجانب غرباء عن جنسهم ينتمون إلى أصل يوناني، وبعد دخول الرومان مصر حكمهم حكام أجانب من أصل روماني، بل نستطيع القول أن أحوال المصريين قد تغيرت للأسوء، فالرومان كانوا أكثر حزمًا وحسمًا من الملوك البطالمة خاصة الملوك البطالمة الأواخر الضعفاء، وقد كانت الصورة الذهنية للامبراطور الروماني في مخيلة المصريين بانه ملك وفرعون بلادهم، الذي لهُ قدسية واحترام خاص، ويحظى بتأليه مثل الملوك الفراعنة الوطنيين، وبذلك تم منحه الالقاب الفرعونية المعتادة منذ قديم الازل.

الفصل الرابع:

الوالي

تعيين الوالي:

لم يكن في مقدور اوكتافيوس القيام بمهام حكم مصر بنفسه، لذا قام بتعيين والي لها ، عرف بلقب والي مصر او برايفكتوس ايجيبتي ***praefectus aegypti*** يقوم بالحكم نيابة عنه، وكانت سلطة تعيين الوالى بيد الامبراطور فقط، وعمد اوكتافيوس الى اختيار والي مصر من اعضاء طبقة الفرسان التي كانت تشكل الطبقة المتوسطة في المجتمع الروماني بين طبقة السناتو في قمة الهرم الاجتماعي وطبقة العامة في قاعدة الهرم الاجتماعي، وذلك لعدة اسباب هامة، اولها عدم ثقة اوكتافيوس وتخوفه من اعضاء طبقة السناتوس، ولذلك اراد ان يضعف قوتهم وتقوية طبقة الفرسان، وذلك باستبعادهم من تولي حكم مصر، وبالتالي حرمانهم من مورد اقتصادي كبير لهم، خاصة انهم قاموا باغتيال والده بالتبني يوليوس قيصر.

كما أن اعضاء هذه الطبقة لديهم من القوة المالية والمكانة الاجتماعية التي تمكن اي منهم بالاستقلال عن الامبراطورية الرومانية، خاصةً أن الموقع الجغرافي لمصر جعلها ولاية بعيدة عن مركزية الامبراطورية في روما، وبالتالي من العسير الانتقال اليها، نظرًا لظروف الملاحة البحرية المتعذرة، التي كانت مرتبطة اشد الارتباط بالرياح ومواسمها، وبالتالي اي شخص من طبقة السناتو اذا عين والي لمصر يستطيع من خلال قيادته العسكرية ان ينشق عن الامبراطورية، ويقطع امدادات القمح عن ايطاليا، ويحدث مجاعة وتهديد لامن واستقرار الامبراطورية الرومانية باكملها.

لذا رأي اوكتافيوس ان من الحكمة ان يختار والى مصر من طبقة الفرسان وليس من طبقة السناتوس. خاصة ان انطونيوس احد اعضاء طبقة السناتو

وشريك اوكتافيوس في الجكم قد اساء استغلال ادارة الولايات الشرقية التي كانت موكلة اليه، وجنح عن جادة الصواب، واراد الاستقلال بمصر بل شكل انطونيوس وما اوتي من موارد ضخمة من مصر مصدر تهديد لامن روما، وهذه الخطوة التي استنها اوكتافيوس في اختيار والى مصر، اصبحت قاعدة اساسية سار عليها الاباطرة الرومان من بعده في عملية اختيار والى مصر.

مدة حكم الوالي:

تشير الشواهد التاريخية الى انه لم تكن هناك مدة محددة لبقاء الوالي في منصبة في حكم مصر، وتنظرًا لأن الوالي كان ممثلًا ونائبًا عن الامبراطور في الولاية، فقد كان بقائه مرهونًا حسب الارادة الشخصية للامبراطور، تلك الارادة التي كانت تتحدد بمدى انصياع الوالي لاوامر الامبراطور وتنفيذ ما كلف به من قبل الامبراطور على اكمل وجه، اما اذا اخل الوالي بمهام منصبة الوظيفية فقد كان يعزل من حكم مصر ويقوم الامبراطور بتعيين شخص احر بدلًا منه.

ولم يتهاون اغسطس في عزل أي والي من ولاة مصر إذا اخطأ في ادارة الولاية، أو إذا بدر منه ما ينبأ بنيته في الاستقلال بها، فعندما اعتلت نشوة الانتصار الذي حققه "كورنيليوس جالوس" –أول والي لمصر– على الاثيوبيين على الحدود الجنوبية، وسلك مسلك الملوك وليس الولاة، حيث اصدر كورنيليوس تعليماته بتمجيد وتوثيق انتصاراته على الحدود الجنوبيه بنقشها على المعابد، ونحت تماثيل له، قام اغسطس على الفور بطلب حضورة الى روما، وحاكمه، مما دفع "كورنيليوس" الي الانتحار.

وعندما فشلت الحملة الرومانية على بلاد العرب التي كان يتولى قيادتها الوالي "أيليوس جالوس"–ثاني والي لمصر–، تم عزله من منصبة، وذلك لفشلة في غزو مملكة سبأ.

سلطات الوالي في مصر:

تعددت السلطات الممنوحة للوالي في مصر، وذلك كي يكون قادرًا على ادارة الولاية بسهولة ويسر، فقد كان للوالي سلطات قضائية ومالة وعسكرية. فقد كانت له سلطات واسعة في مصر، الا في بعض المسائل التي لم يكن مخول للوالي بالبت فيها، فاذا عرضت احدي المسائل غير المتعلقة بسلطة الوالي، فانه كان يرفعها الى الامبراطور للبت فيها، مثل سطلة منح المواطنة السكندرية او المواطنة الرومانية، هذه السلطة كانت بيد الامبراطور الروماني فقط.

السلطة العسكرية للوالي:

وتمثلت السلطة العسكرية للوالي في ومنحة سلطة الامبريوم العسكري او سلطة القيادة العسكرية العليا، التي من خلالها استطاع الوالي قيادة الحامية الرومانية في مصر، التي تتكون من فرق رومانية ليجيو وقوات مساعدة اوكسيليا، و جاء منح الوالي سلطة الامبيريوم العسكري بشكل استثنائي لضرورة قانونية بحته، فقد كانت القيادة العسكرية للفرق الرومانية مقتصرة فقط على اعضاء طبقة السناتوس دون غيرهم.

ونظرًا لأن والى مصر من أعضاء طبقة الفرسان، فليس له الحق في قيادة الفرق الرومانية الموجودة فيها، ومن ناحية أخرى كان من المستبعد أن يقوم اوكتافيوس بتعيين أحد اعضاء طبقة السناتو لقيادة الفرق الرومانية في مصر، لما قد يشكله هذا القائد من خطر يهدد استقرار مصر وتبعيتها للامبراطورية، فضلًا

عن ذلك ففي حالة تعيين قائد من طبقة السناتو لقيادة الفرق، سيكون الوالي في وضع حرج، لان اعضاء طبقة السناتوس اعلى مكانة ومنزلة من اعضاء طبقة الفرسان.

لذا وجد أوكتافيوس أن المخرج القانوني لهذه المعضلة في البحث عن وسيلة لتمكين والي مصر من قيادة الفرق الرومانية فيها، وبالفعل وجد اوكتافيوس ضالته المنشودة في منح والي مصر سلطة "الامبريوم العسكري"، التي ستمكنه من قيادة الفرق الرومانية في مصر بشكل قانوني دون الحاجة الى تعيين اعضاء من طبقة السناتوس لقيادة الفرق الرومانية في مصر.

السلطة الادارية للوالي:

بحكم موقعه على رأس الادارة الرومانية في مصر، كان من سلطة والي مصر القيام بتعيين الموظفين في الادارة المحلية لبلاد، وعزلهم اذا لم يمتثلوا لاوامره او تعليماته او اذا ارتكبوا مخالفة قانونية لا تتفق مع القواعد القانونية التي وضعها اغسطس لمصر ومن بعده خفائه من الاباطره الرومان، وبعد العزل كان يتم محاسبتهم سواء بالبراءة او الادانة، لكن سلطة الوالي في مصر لم تكن سلطة مطلقة على جميع الموظفين، حيث أن كبار الموظفين الذين تم تعينهم بواسطة الامبراطور، ليس للوالي سلطة في عزلهم من وظائفهم في الادارة.

وبذلك، كان لوالي مصر نفوذ وسيادة على جميع انحاء مصر بمن فيها، وكل مراسيم وتعليمات الوالي الي مرؤسية كان لها قوة القانون وواجبة النفاذ، وان كان ذلك لا ينكر ان سيادته على مصر كانت مقيدة بما وضعة الامبراطور من قواعد ونظم قانونية عامة للولاية، فاذا تعارضت قراراته مع القواعد التى ارساها الامبراطور ، فانه لا يصبح لها قيمة وليست لها قوة القانون.

فقد كان من سلطات الوالي الادارية في مصر الحق في اصدار قراره بمنح الحرية للعبيد، وهذا لا يعني بشكل او باخر ان للوالي حق في منح المواطنة سواء الرومانية او المواطنة السكندرية لاي شخص من الاشخاص، لان هذا الحق كان حكرًا على الامبراطور فقط.

السلطة القضائية للوالي:

كان الافراد في مصر خلال العصر الروماني، يتسابقون في السعي الى عرض قضاياهم أو التماساتهم أو شكاواهم الى الوالي، لما لا وهو الجهة القضائية الاعلى في مصر، والاحكام التي تصدر عن محكمته كانت احكام نافذة لها قوة القانون، ولا يستطيع ايًا من موظفي الادارة الرومانية عدم تنفيذها او حتى على الاقل التأخر في تنفيذ احكام الوالي، فهي احكام نهائية لا يجوز الاستئناف عليها، وقد مارس الوالي سلطته القضائية سواء في مقر إقامته في الاسكندرية، حيث كان يتوافد اليه الاشخاص من مخلتف ارجاء مصر للبت في قضاياهم، او من خلال دورة قضائية متنقلة كان خلالها يجوب اماكن مختلفة في مصر، ويقيم فيها محكمته. وكان الهدف من الدورة القضائية للوالي، التخفيف من مشقة الانتقال الى الاسكندرية بالنسبة للاشخاص المقيمين خارج الاسكندرية.

السلطة الدينية للوالي:

باعتبار الوالي ممثلًا ونائبًا عن الامبراطور الروماني، فانه حظي باحترام وتقدير المصريين بشكل عام، والكهنة بشكلٍ خاص، لكن لا نستطيع القول بان الوالي في مصر تم معاملته مثل معاملة الملوك، لأن معاملة الوالي كالملوك سواء بامر من الوالي للكهنة، او كتصرف ذاتي من الكهنة انفسهم للوالي، شيء خطير يعرض الوالي للعزل من منصبه ومحاكمته، فقد رأينا كيف كان مصير

"كورنيليوس جالوس" الذي تشبه بالملوك في مصر، ولذا نعتقد انه كان من الحكمة لاي والي من ولاة مصر أن ينهى الكهنة أو المصريين على معاملته كالملوك.

الفصل الخامس:

طبقات المجتمع

مقدمة:

أولًا: طبقة المواطنين الرومان

ثانيًا: طبقة مواطني المدن الإغريقية الأربعة

ثانيًا: طبقة المصريين

مقدمة:

اتخذ المجتمع المصري في عصر الروماني الشكل الهرمي، وفي هذا الفصل سوف نتعرف على نشأته وطبقاته المختلفة، وارتباطه بالمؤسسات القانونية والمالية في المجتمع، وعملية الحراك الاجتماعي للأفراد من طبقة إلى أخرى أعلى منها في الهرم الاجتماعي، ودور كبار المسؤولين عن مصر في الحفاظ على الهرم الاجتماعي دون أدنى تغيير، للتمييز بين طبقات الهرم الاجتماعي سواء في الحقوق أو في الواجبات.

المبحث الأول: طبقات الهرم الاجتماعي:

ترجع نشأة الهرم الاجتماعي في مصر إلى قيام "أغسطس" بإدخال تنظيم اجتماعي على بنية المجتمع المصري، لخدمة المصالح الرومانية في مصر وبشكلٍ خاص المصالح الاقتصادية[١]. وعلى الرغم من عدم إشارة المصادر المعاصرة "لأوكتافيانوس" إلى هذا التنظيم الاجتماعي، إلا أن ذلكَ لا ينكر قيام "أوكتافيانوس" بهذا التنظيم الاجتماعي، خاصةً أن هناك شواهد عديدة تشير إلى ذلك، منها التحديد الواضح للأوضاع القانونية والمالية لطبقات المجتمع في القواعد القانونية لإدارة" الخزانة الخاصة"؛ ووضع قيود صارمة على الحراك الاجتماعي بين الطبقات، وظهور وسائل جديدة لتحديد الوضع القانوني والمالي للأفراد في المجتمع –منذ عصر " أوكتافيانوس"– لم تكن موجودة من قبل مثل عملية الفحص[٢].

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه من الأرجح أن مصر بأهميتها الاقتصادية والإستراتيجية بالنسبة لروما، قد استولت على جزء كبير من تفكير أغسطس

---

(١) E. Polyviou, 'The Civic Status of the Alexandria Jewish Community In Ptolemaic and Early Roman Periods', *Anistoriton Journal* 13 (2012), 6;

وانظر أيضًا: صوفي حسن أبو طالب، تاريخ القانون في مصر، الجزء الأول في العصر البطلمي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ١٥١.

(٢) C.A. Nelson, *Status Declarations in Roman Egypt,* American Philological Association American Classical Studies Series *19 (Amsterdam, 1979),* 66.

وتنظيماته المختلفة التي قام بها في معظم أنحاء الإمبراطورية الرومانية[١]، ولذلك نرجح قيام "أوكتافيانوس" بعمل تنظيم اجتماعي لمصر، خلال الفترة التي مكثها في الإسكندرية[٢]، ويبدو أن ما قام به " أوكتافيانوس" من إعادة تنظيم الأحياء أو الوحدات، وما تم بعد ذلك من إعادة تسمية القبائل المسجل فيها المواطنون السكندريون، كان خصيصًا من أجل هذا التنظيم الاجتماعي الجديد[٣].

وهكذا فإنه يوجد إجماعٍ بين الباحثين[٤] على أن "أغسطس" قام بإعادة تنظيم البناء الاجتماعي لمصر، للتمييز بين المواطنين الرومان ومواطني المدن الإغريقية، ومواطني عواصم الأقاليم، والمصريين الأصليين ومن على شاكلتهم[٥].

وقد تمثلت دوافع " أوكتافيانوس" للقيام بهذا التنظيم الاجتماعي في مصر في الدوافع الآتية:

أولًا: كانت الرغبة في تكييف مصر للحكم الروماني، ومطابقتها للقانون العام الروماني، وموائمتها للنظم الاجتماعية في روما، دافعًا قويًا لقيام " أوكتافيانوس"

---

(١) م. رستوفتزف، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية الرومانية، الجزء الأول، ٦٩.

(٢) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 249.

(٣) Delia, *Alexandrian citizenship during the Roman Principate*, 63-68.

(٤) من هؤلاء الباحثين على سبيل المثال لا الحصر، كل من:

J. Barclay, *Jews in the Mediterranean Diaspora: From Alexander to Trajan (323 BCE-117 CE)*. Vol. 33, (Univ of California Press, 1996), 49; R. S. Bagnall, 'The People of the Roman Fayum', in: R.S. Bagnall(ed.), *Hellenistic and Roman Egypt: Sources and Approaches* XIV, (Hampshire, 2006)2; Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 249-258; A. Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, *The Case of the Acta Alexandrinorum,* (New York, 2008), 212; Gambetti, *The Alexandrian Riots of 38 CE and the Persecution of the Jews: A Historical Assessment*, , Ph.D. (University of California, 2003),57.

(٥) A. Benaissa, 'Greek Language , Education, and Literary Culture', *in:* C. Riggs (ed.), *The Oxford Handbook of Roman Egypt,* 32,(Oxford,2012), *226.*

بالتنظيم الاجتماعي، حتى يحدث انسجام وتوافق بين روما ومصر من الناحية الاجتماعية[١].

ثانيًا: حاجة الرومان إلى خبرة العنصر الإغريقي والمتأغرق في القيام ببعض مسؤوليات الحكم على مستوى الإدارة المحلية، جعلت أوكتافيانوس يعمل على إعادة تنظيم المجتمع لتمييزهم عن غيرهم من السكان في التنظيم الجديد[٢].

واعتمد هذا التنظيم الاجتماعي على المؤسسات القانونية والمالية في المجتمع، حيث تم تحديد الأوضاع القانونية لطبقات الهرم الاجتماعي من خلال القواعد القانونية لإدارة الخزانة الخاصة، بينما تم تحديد الأوضاع المالية للطبقات من خلال ضريبة الرأس أو "اللاؤجرافيا" (*laographia*)؛ وموقف كل طبقة منها؛ فالطبقات التي أعفيت من ضريبة الرأس كانت تتمتع بوضع مالي قوي في الهرم الاجتماعي، أما الطبقات التي خضعت لها فقد كان موقفها المالي ضعيف وكانت تحتل قاعدة الهرم الاجتماعي[٣].

---

(١) Bagnall, in Bagnall(ed.), *Hellenistic and Roman Egypt: Sources and approaches* XIV, 2.

(٢) Benaissa, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 32, *226;*
وانظر أيضًا: فاروق القاضي، العصر الروماني، في: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، ٤٧٩-٤٨٠؛
حسن أحمد، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام ٢١٢م دراسة وثائقية، ٢؛ فاروق القاضي، طبقة رجال الجيمنازيوم في مصر في العصر الروماني في ضوء الوثائق البردية، ١١٢.

(٣) عُرِفت ضريبة الرأس في مصر خلال العصر البطلمي بمصطلح (σύνταξις)، وفي العصر الروماني عرفت بمصطلح (λᾱογρᾰφία)، ومن الناحية اللغوية، فإن هذا المصطلح يعني بيانًا أو قائمة أو سجلًا بأسماء السكان، وقد وفرضت هذه الضريبة منذ السنة السابعة من حكم "أغسطس" على جميع سكان مصر- فيما عدا المواطنين الرومان ومواطني المدن الإغريقية-، وكان يتم جمعها على أساس إقرارات التعداد، التي كان يتم من خلالها عمل قوائم بالمعفين والملزمين بدفع ضريبة الرأس. انظر:
عبد اللطيف أحمد على، ضريبة الرأس في مصر الرومانية، ١٤٥-١٤٦؛
Taubenschlag, *The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the papyri, 332 BC-640 AD*, 119; Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian,116-117.*

وكان الهرم الاجتماعي في مصر في عصر الرومان يتكون من ثلاث طبقات اجتماعية، هي: طبقة المواطنين الرومان، وطبقة مواطني المدن الإغريقية، وطبقة المصريين، وكان لكل طبقة من هذه الطبقات وضع قانوني ومالي محدد يختلف عن الوضع القانوني والمالي الخاص بالطبقات الأخرى(١). وسوف أتناول فيما يأتي كل طبقة من هذه الطبقات على حده من حيث النشأة والفئات المكونة لكل منها.

أولًا: طبقة المواطنين الرومان:

كان أهم تغيير في البنية الاجتماعية لسكان مصر في عصر الرومان، دخول عنصر جديد إلى مصر، تمثل في العنصر الروماني الذي جاء مع الحكام الجدد وشكل النواة الأولى لتكوين طبقة اجتماعية جديدة، عُرِفت بطبقة المواطنين الرومان(٢)، واحتلت هذه الطبقة قمة الهرم الاجتماعي، وتمتع أعضائها بالوضع القانوني والمالي الأعلى من بين الأوضاع القانونية والمالية الخاصة بأعضاء الطبقات الأخرى في الهرم الاجتماعي(٣).

وقد تكونت طبقة المواطنين الرومان في البداية من العرق الروماني من المواطنين الرومان الأصليين الذين حصلوا على المواطنة الرومانية بالوراثة أو المولد، ثم بعد ذلك شملت أفراد ينتمون إلى عرقيات مختلفة من الذين حصلوا على المواطنة الرومانية عن طريق المنح أو الاكتساب(٤).

وفي العصر الروماني حَلت طبقة المواطنين الرومان محل طبقة الإغريق، التي كانت تتصدر قمة البناء الاجتماعي في مصر في عصر البطالمة، وكان

---

(١) S. J. O'Neill, The Emperor as Pharaoh: Provincial Dynamics and Visual Representations of Imperial Authority in Roman Egypt, 30 B.C. – A.D. 69, Ph.D.,(University of Cincinnati, 2011), 28.

(٢) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢٠١-٢٠٧،٢٠٢.

(٣) P. Jouguet, *La domination romaine en Égypte aux deux premiers siècles après Jésus-Christ: conférence donnée à la Société Archéologique d'Alexandrie, le 29 avril 1946*, La Société Archéologique d'Alexandrie, 1947.26-27

(٤) Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*, 247.

حصول طبقة المواطنين الرومان(*Cives Romani*) في مصر على الوضع القانوني والمالي الأعلى من بين طبقات الهرم الاجتماعي شيئًا طبيعيًا، لأن الأعضاء المؤسسين لها كانوا من العرق الروماني ومن بني جلدة الحكام الجدد لمصر، وهؤلاء معظمهم جاء إلى مصر في ركاب الجيش الروماني، وكان لا بد لهم من المشاركة في المغانم التي استولى عليها الرومان(١).

وعلى الرغم من تركز المواطنين الرومان في الإسكندرية بشكل خاص، إلا أن العديد منهم أقام في أماكن مختلفة من الريف، فخلال القرن الأول الميلادي، كان هناك تواجد ملموس للمواطنين الرومان في الريف، خاصةً المواطنين الرومان من فئة قدامى المحاربين، الذين كانوا يفضلون الإقامة في إقليم الفيوم، ويشهد على ذلك أرشيف الجندي المسرّح "لوكيوس بيلينوس جيميللوس" (*L. Bellienus Gemellus*) من قرية "يوهيميريا" (*Euhemeria*)، وكان بعضهم يقيم في قرية "فيلادلفيا" (*Philadelphia*) وفي قرية "كرانيس" (*Caranis*)، التي كان بها عداد كبير من المواطنين الرومان، بالإضافة إلى ذلك، فإن قدامى المحاربين الرومان كانوا من أوائل مستوطني مدينة "أنتينوبوليس"، التي أسسها الإمبراطور "هادريانوس"، واستقروا أيضًا في مدينة "هيراكليوبوليس" منذ العصر السيفيري، وقد كانت الامتيازات الخاصة بالمواطنين الرومان المقيمين في الريف، مظهرًا أساسيًا يشير بوضوح إلى تمتعهم بوضع قانوني ومالي مميز في الهرم الاجتماعي(٢).

وقد تكونت طبقة المواطنين الرومان من عدة فئات، هي: فئة الموظفين الرومان، وفئة قدامى المحاربين الذين حصلوا على المواطنة الرومانية بعد تسريحهم تسريحًا مشرفًا من الخدمة العسكرية، وفئة رجال الأعمال والسائحين، وفئة السكندريين الحاصلين على المواطنة الرومانية بالمنح أو بالاكتساب(٣).

---

(١) فاروق القاضي، العصر الروماني في موسوعة مصر عبر العصور، ٤٩٩.

(٢) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 250–252.

(٣) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٢٩-٣٠.

وبالنسبة لفئة الموظفين الرومان، وكانت هذه الفئة من أهم فئات طبقة المواطنين الرومان فقد كانت مهمتها الرئيسية تنحصر في المشاركة في إدارة البلاد والعمل على تأمينها والولاء للإمبراطورية الرومانية، والمحافظة على معدل إنتاج مستمر مما تنتجه مصر من موارد خاصةً من محصول القمح(١).

وكان والي مصر والإسكندرية يأتي على رأس فئة الموظفين الرومان في مصر، فهو الرمز السامي للإدارة الحكومية في البلاد، وكان يتخذ من الإسكندرية مقراً له، لمباشرة شئون حكم وإدارة البلاد، وكانت تلقى على عاتقه العديد من المهام منها القضاء والفصل في المنازعات، والنظر في الالتماسات المقدمة إليه من الأفراد، ومراجعة الحسابات وأداء الموظفين المحليين، وبقيت الصورة الذهنية عن الوالي والموكب المرافق له صورة ضبابية مبهمة عند معظم سكان مصر(٢).

وكان "قاضي مصر والإسكندرية" *iuridicus Alexandriae et Aegypti*)، يأتي في المركز الثاني بعد الوالي في إدارة مصر، وكان يتم اختياره من بين رجال طبقة الفرسان مثل الوالي، وكانت له اختصاصات قضائية خاصة على المواطنين الرومان ومواطني المدن الإغريقية الأربعة(٣).

أما بالنسبة لفئة رجال الأعمال والسائحين، فقد جاء رجال الأعمال الرومان من روما إلى مصر، لعقد الصفقات التجارية، والاستفادة من الفرص التجارية الكبيرة في الإسكندرية(٤) التي كانت تعد أكبر مركز تجاري في العالم خلال العصرين البطلمي والروماني، مما جعلها قوة تجارية جاذبة لجنسيات مختلفة خاصةً المواطنين الرومان(٥)، وقد جاء أيضًا بعض المواطنين الرومان إلى مصر كسائحين منذ العصر البطلمي سواء للسياحة الثقافية أو الدينية، وخلال العصر الروماني تزايد عدد

---

(١) O'Neill, *The Emperor as Pharaoh: Provincial Dynamics and Visual Representations of imperial Authority in Roman Egypt*, 30 B.C.– A.D. 69, 13.

(٢) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٢٨-٢٩.

(٣) Cockle, JEA 70, 107.

(٤) فاروق القاضي، العصر الروماني، في: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، ٤٨٠.

(٥) *Strabo*. XVII.1.13; Jones, *The Cities of the Eastern Roman Provinces*, 303 .

السائحين الرومان إلى مصر وكانوا يتركون ورائهم نقوش جرافيتي على الأماكن التي قاموا بزيارتها[١].

وأما بالنسبة لفئة السكندريين الذين حصلوا على المواطنة الرومانية، فإن هذه الفئة كان لها دور كبير في تكوين طبقة المواطنين الرومان، لأن السكندريين تميزوا عن غيرهم من سكان مصر بحصولهم المباشر على المواطنة الرومانية، لذا فإن العديد من أثرياء الإسكندرية ممن يتمتعون بالمواطنة السكندرية حصلوا على المواطنة الرومانية مباشرةً، وقد أدى ذلك إلى حدوث طفرة كبيرة في عدد المواطنين الرومان في مصر، ولذلك فإننا نجد عددًا كبيرًا من المواطنين الرومان يحملون اسمًا يتكون شقه الأول من اسم روماني، وشقه الأخير من اسم يوناني، مما يشير إلى أصلهم الإغريقي وبشكلٍ خاص أصلهم السكندري[٢].

أما الفئة الأكبر من فئات طبقة المواطنين الرومان، فقد تكونت من قدامى المحاربين (*Veterani*)[٣]، الذين سُرّحوا تسريحًا مشرفًا (*honesta Missio*) من الخدمة العسكرية، خاصةً أولئك الجنود الذين سرحوا من القوات المساعدة، وكان لهذه الفئة دورُ كبير في زيادة عدد طبقة المواطنين الرومان[٤]، حيث فضل الكثير من الجنود المسرحين الإقامة في مصر بعد تسريحهم ولاسيما في مدينة الإسكندرية[٥]، لارتباطهم بزوجاتٍ منذ فترة الخدمة، ولامتلاكهم أرضًا ونشاطات مالية أخرى، يصعب التخلي عنها والعودة إلى مواطنهم الأصلية[٦].

---

(١) V. A. Foertmeyer, *Tourism in Graeco-Roman Egypt*, Ph.D. (Princeton University,1989),1-2.

(٢) فاروق القاضي، المواطنون الرومان في مصر في القرنين الأول والثاني الميلاديين ملاحظات على الوثائق ومنهج لدراسة أوضاعهم، ٦٧-٨١.

(٣) Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt: A Social History*, 61.

(٤) منال إسماعيل توفيق محمد، موقف المصريين من الأجانب فيما بين القرنين الرابع قبل الميلاد والثالث الميلادي دراسة تاريخية أثرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ١٣٤.

(٥) Potter, *A Companion to the Roman Empire,* 223.

(٦) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢٠٧.

وقد كانت العلاقات الاجتماعية بين الجنود المسرّحين والمصريين علاقات متوترة سادها الصراع العنصري، بسبب النظرة العنصرية التي رمق بها كلٍ منهما الآخر، فمن ناحية نظر المصريون إلى الجنود المسرّحين على أنهم عبء إضافي عليهم، لأن إعفاء الجنود المسرّحين من كثير من الضرائب والخدمات الإلزامية، يعني زيادة في الأعباء الملقاة على عاتقهم، أما الجنود المسرّحون، كانوا يُصروّن على التمتع بامتيازاتهم القانونية والمالية إلى أبعد حدّ ممكن، ومن ناحية أخرى نظر الجنود المسرّحون إلى المصريين الأصليين والمصريين المتأغرقين بنظرة احتقار وازدراء[١].

وتصور إحدى الوثائق البردية التي وصلت إلينا[٢] العلاقات العنصرية المتوترة بين الجنود المسرّحين والمصريين الأصليين ومن على شاكلتهم، فأحد الجنود المسرّحين يدعي "جايوس يوليوس نيجر"(*Gaius Iulius Niger*)، تقدم بالتماس إلى الابستراتيجوس "فيديوس فاوستوس" (*Vedius Faustus*)، يشتكي فيه من تعرضه للإهانة على يد أحد المصريين الذي يعمل كاتبًا في إدارة الأملاك المصادرة في قرية كرانيس[٣]، ويشتكي نيجر قائلًا:

"**إلى صاحب السعادة "فيديوس فاوستوس"**(*Vedius Faustus*)، **الابستراتيجوس**(*epistrategos*)، **من جايوس يوليوس نيجر**(*Gaius Iulius Nige*)، **جندي مسرّح ، من قبيلة "اوسيرانتينوان"** (*Osirantinoan*) **وحي هيرمايان** (*Hermaian*)، **مسرح تسريحًا مشرفًا من الجيش، سيدي، لستُ مثيرًا**

---

(١) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني،٣٣-٣٤.

(٢) *SB*.XII.11114(AD 163 Karanis)= *P.Mich.Mchl*.12; A. Z. Bryen, *Violence in Roman Egypt: A Study in Legal Interpretation*,(University of Pennsylvania Press, 2013), 237-238.

وللمزيد عن "جايوس يوليوس نيجر"، الجندي المسرّح من سلاح الخيالة، كمواطن الروماني، وكمواطن أنتونيني وأسرته، يمكن الرجوع إلى:

P.Mich. VI 422 introduction.= *SB* XII 11103= *SB* XII 11114.

(٣) P. J. Sijpesteijn, 'Complaint to the Epistrategus Vedius Faustus', *ZPE* 110, (1996)183-187.

للمشاكل وأنا قنوع. تعرضتُ للإهانة بطريقة وحشية من رجل مصري يدعى إذيدوروس (*Isidoros*) بن اخيلاس (*Achillas*)...."[١].

واختتم "نيجر" شكواه بالتأكيد على وضعه القانوني والمالي المتميز في الهرم الاجتماعي، في مقابل الوضع القانوني المتدني "لإيذيدوروس" في الهرم الاجتماعي، واندهاشه من تعرضه للإهانة على يد أحد الأشخاص الذين ينتمون إلى الوضع القانوني والمالي الخاص بطبقة المصريين، قائلًا:

"أنا روماني(Ῥωμαῖος)، تعرضتُ لمثل هذه الأشياء على يد مصري(Αἰγυπτίου) ...."[٢].

ويتضح لنا من هذا الالتماس، أن هناك صراعًا عنصريًا كان متفشيًا في المجتمع بين الجنود المسرّحين والمصريين؛ حيث كان الجنود المسرحون يتعالون على المصريين ويحتقرونهم، لتمتعهم بالمواطنة الرومانية وبالوضع القانوني والمالي الأعلى في الهرم الاجتماعي، الذي حصلوا عليه بعد تسريحهم المشرف من الخدمة العسكرية، ولأنهم محدثو نعمة كانوا يتعمدون وضع حواجز نفسية واجتماعية بين وضعهم الجديد وبين أصولهم الوضيعة[٣].

وعلى أية حال فإن عدد المواطنين الرومان – سواء الأصليين أو الممنوحين صفة المواطنة الرومانية– كان قليلًا جدًا بالنسبة لعدد الطبقات الأخرى حتى صدور الدستور "الأنتونينياني" الخاص بالمواطنة الرومانية في سنة ٢١٢م، لأن الرومان لم تكن لديهم سياسة استيطانية في مصر تضاهي السياسة الاستيطانية للبطالمة[٤].

---

(١) *SB*.XII.11114(AD 163 Karanis)LL.1-7= P. J. Sijpesteijn, 'Complaint to the Epistrategus Vedius Faustus', *ZPE* 110, (1996), 183-187

(٢) *SB*.XII.11114(AD 163 Karanis)LL. 28-29

(٣) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٣٤.

(٤) R.S. Bagnall and B. W. Frier, *The Demography of Roman Egypt*, (Cambridge University Press,1994), 48.

ويشير "رستوفتزف" إلى أن المواطنين الرومان، كانوا يذهبون إلى أغني أقاليم الإمبراطورية الرومانية للاستقرار فيها، خاصةً الولايات الرومانية في آسيا الصغرى، حيث تعددت أنظمة الملكية في هذه الولايات. انظر:

ويقدر البعض عدد طبقة المواطنين الرومان بما لا يتجاوز عشرين ألفًا غالبيتهم من الجنود، ويرجع قلة هذا العدد إلى أن الحكومة الرومانية لم تشجع الهجرة ولا نشر الثقافة أو الحضارة الرومانية، بل بالعكس من ذلك كانت تحارب تلك الهجرة، خاصةً هجرة أعضاء مجلس السناتوس والأعضاء البارزين من طبقة الفرسان، وكذلك كانت لا تُحَفِّز وجود جالية رومانية كبيرة في مصر، وربما ذلك يعود إلى انشغال الرومان لمدة مائة عام في القتال والصراع الداخلي على السلطة، مما أعاق تكوين جالية كبيرة للرومان في مصر(١).

ويرى الباحث أن السبب في قلة عدد المواطنين الرومان في مصر يرجع إلي حرص الرومان في عدم التوسع في منح المواطنة الرومانية لعدد كبير من السكان؛ لأن ذلك كان يعني زيادة في عدد الأفراد الحاصلين على الامتيازات والإعفاءات، وبالتالي فإن ذلك سيؤثر بطريقة سلبية على حجم الإيرادات التي تأتي من مصر إلى الخزانة العامة في روما.

ولذلك، فإن الرومان استعاضوا عن عدم وجود طبقة كبيرة تجمعهم، بتكوين منظمات أو روابط دائمة (*Conventus civium Romanorum*)، كانت تحت إدارة مدير الرابطة،(*Curator*)(٢)، وانتشرت هذه الروابط خاصة في الأماكن التي وجد فيها المواطنون الرومان بكثافة كبيرة، ومن خلال هذه الروابط ساهم المواطنون الرومان كمجموعات مستقلة في حياة المدينة أو البلدة التي يقيمون فيها، وقد وجد عدد من هذه الروابط في مدينة "أوكسيرينخوس"(٣).

يتضح فيما سبق، أن طبقة المواطنين الرومان اعتلت قمة الهرم الاجتماعي، نتيجة للامتيازات والحقوق المتعددة التي حصلت عليها دون غيرها من طبقات الهرم الاجتماعي، وكانت في البداية تتكون من العرق الروماني من المواطنين الرومان

م. رستوفتزف، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية الرومانية، الجزء الأول، ٣٣٥، ٣٤٠.

(١) السيد أحمد علي بدوي، المركز القانوني للأجانب، ٣٥١.

Rowlandson, *Women and Society in Greek and Roman Egypt*, 11.

(٢) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Conventus Civium Romanorum.416.

(٣) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلي الفتح العربي، ٢٠٨.

الأصليين، وبعد ذلك شملت أفراد من عرقيات مختلفة من الحاصلين على المواطنة الرومانية بالمنح أو الاكتساب، وقد ظل عدد هذه الطبقة هو الأقل من بين عدد الطبقات الأخرى في مصر حتى صدور الدستور "الأنتونينياني"، لأن السياسة الرومانية العامة كانت تهدف إلى الإبقاء على الامتيازات والإعفاءات في أقل عدد ممكن من السكان، لتوفير أكبر قدر ممكن من الإيرادات للخزانة العامة في روما.

ثانيًا: طبقة مواطني المدن الإغريقية الأربعة:

عندما ضم الرومان مصر إلى الإمبراطورية الرومانية، كان يوجد بها ثلاث مدن إغريقية أو بوليس (*Poleis*)، هي: مدينة "نقراطيس" ومدينة "الإسكندرية" ومدينة "بطلمية"، وعلى غرار دول المدن في بلاد اليونان، قسمت هذه المدن إلى قبائل (*phylai*) ووحدات (*demes*)، وفي سنة ١٣٠م، ازداد عدد هذه المدن إلى أربعة مدن إغريقية، عندما قام الإمبراطور "هادريانوس"، بتأسيس مدينة جديدة عرفت بمدينة "أنتينوبوليس"(*Antinoopolis*)[١].

وكان الوضع القانوني والمالي لمواطني المدن الإغريقية وعلى رأسها الإسكندرية، يأتي في المرتبة الثانية في الهرم الاجتماعي بعد الوضع القانوني والمالي الخاص بالمواطنين الرومان، فقد تم منح مواطني المدن الإغريقية العديد من الامتيازات القانونية والمالية[٢]، وسمح لهم بنوع من الحكم الذاتي – وإن كان ذلك في

---

(١) M. T. Boatwright, *Hadrian and the Cities of the Roman Empire*, (Princeton, 2000), 100, 140, 172.

عمل الإمبراطور هادريانوس على إنشاء هذه المدينة في سنة ١٣٠م، تخليداً لذكرى نديمه "أنتينوس" (*antinoos*)، الذي مات غرقاً في النيل، وموقعها الآن بالقرب من قرية الشيخ عبادة على الشاطئ الأيمن للنيل في مواجهة مدينة "هرموبوليس" عاصمة الإقليم. للمزيد عن ذلك يمكن الرجوع إلى:

S. R. Hübner, *The Family in Roman Egypt: A Comparative Approach to Intergenerational Solidarity and Conflict*, (New York, 2013), 80; H. I. Bell, 'Antinoopolis: A Hadrianic Foundation in Egypt', *JRS* 30, Part 2 (1940), 133-147.

(٢) *P.Lond*. VI 1912(AD41 Philadelphia)=*C.Pap.Jud*. II 153= *Sel. Pap*. II 212; R. Taubenschlag, *The Law of Greco-Roman Egypt in The Light of The Papyri*, 332 BC-640 AD,(Warsaw, 1955), 4 ff..

أضيق الحدود–، وكانت لهم جمعيات شعبية خاصة بهم، وكان لهم الحق في انتخاب موظفيهم[١].

ولعل تمتع مواطني المدن الإغريقية الأربعة بوضع قانوني ومالي مميز يشير إلى اعتراف الرومان بالحضارة الإغريقية وتأثيرها على البلاد[٢]، ونظرتهم إلى هؤلاء المواطنين على أنهم إغريق خالصون، ولذلك لم تعترف الإدارة الرومانية بالزواج الكامل الأهلية بين طبقة مواطني المدن الإغريقية وبين طبقة المصريين– فيماعدا مدينة أنتينوبوليس–، وذلك حتى يحتفظ هؤلاء المواطنون بنقاء سلالتهم وحضارتهم من أية مؤثرات شرقية[٣]. وقد نصّ عدد من قواعد إدارة "الخزانة الخاصة" على عدم الاعتراف بالزواج بين مواطني المدن الإغريقية والمصريين، وهذه القواعد هي: القاعدة القانونية الثامنة والثلاثون، والقاعدة القانونية التاسعة والثلاثون، والقاعدة القانونية التاسعة والأربعون، والقاعدة القانونية الواحدة والخمسون[٤].

وتختلف المعلومات التي وصلت إلينا من أوراق البردي عن كل مدينة من هذه المدن الإغريقية، ففي حين أن معلوماتنا قليلة عن مدينة الإسكندرية، ومدينة "نقراطيس" ومدينة "بطلمية" في العصر الروماني، فإن معلوماتنا عن مدينة "أنتينوبوليس" كثيرة ومتنوعة، وذلك بفضل مناخها، الذي ساعد على حفظ البرديات، مما جعلها أكثر المدن الإغريقية توثيقًا[٥].

---

(١) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 247, 252.

(٢) مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة الحديثة، (القاهرة، ١٩٦٨)، ١٤٠.

(٣) *BGU*. V. 1210.LL.133;

وانظر أيضًا: حسن الإبياري وحسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، ٩٧.

وقد كانت مدينة "أنتينوبوليس" هي المدينة الوحيدة من بين المدن الإغريقية في مصر، التي تمتعت بحق زواج مواطنيها من المصريين. انظر:

آلان.ك.بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٢٢٠.

(٤) *BGU*. V. 1210;

وراجع أيضًا: نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٤٧.

(٥) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 253.

فمدينة "نقراطيس"، كانت المدينة الإغريقية الوحيدة في مصر قبل مجيء الإسكندر الأكبر، تأسست في القرن السابع قبل الميلاد، وكانت مركزًا للهيللينية مثلها مثل المدن الإغريقية الأخرى، وكانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي، وكان لها دستورها الخاص، ذلك الدستور الذي تبنته مدينة "أنتينوبوليس" كدستور خاص بها(١).

أما مدينة "الإسكندرية" فإن مواطنيها كانوا يحتلون الوضع القانوني والمالي الأعلى من بين مواطني المدن الإغريقية الأخرى في مصر(٢)، فمنذ دخول " أوكتافيانوس" الإسكندرية لم يلحق ضررًا بالسكندريين، وتعامل باحترام مع إلههم "سيرابيس" (*Serapis*)، وذلك تقديرًا للإسكندر الأكبر، ولمعلمه "أريوس ديديموس" (*Areius Didymus*)(٣)، تأكيدًا على مكانتها المرموقة ظلت الإسكندرية في العصر العصر الروماني مقرًا للحكومة الرومانية، وأصبحت تعرف "بالإسكندرية بجوار مصر" (*Alexandria ad Aegypto*)، بدلًا من "الإسكندرية في مصر" (*Alexandria in Aegypto*)(٤).

وقد أقر "أغسطس" لمواطني الإسكندرية الامتيازات التي حصلوا عليها في العصر البطلمي، وأعطاهم امتيازات أخرى، ميزتهم عن غيرهم من مواطني المدن الإغريقية الأخرى(٥)، وبعد ذلك أكد الإمبراطور "كلاوديوس" أحقية السكندريين في التمتع بكل الامتيازات والإعفاءات التي منحها إياهم ممن سبقوه من الأباطرة والولاة،

---

(١) جونيفييف هوسون و دومينيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt: A Social History*, 61.

(٣) *Cass. Dio.* LI.16.3-4.

أريوس ديديموس (*Arius Didymus*) هو فيلسوف رواقي من الإسكندرية، كان على معلمًا لأوكتافيانوس وعلى علاقة قوية به في روما، وعاد معه إلى الإسكندرية عندما دخلها الرومان، وكان أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت أوكتافيانوس يعفي عن المدينة ولا يتعرض لها بسوء. انظر:

آلان.ك.بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٣٩٦-٣٩٧.

(٤) Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, 5.

(٥) مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٤٢.

وذلك في خطابه إلى مدينة الإسكندرية في سنة ٤١م[١]، وعلى الرغم من كل الامتيازات والإعفاءات التي أسبغها الأباطرة الرومان على السكندريين، إلا أن الرومان حرموا السكندريين من أن يكون لهم مجلس شورى خاص بهم[٢]، خوفًا من أن يعمل هذا المجلس على إعادة المجد السابق للمدينة وبالتالي تهديد روما مرة أخرى[٣]، وظلت المدينة بدون مجلس الشورى أو بولي إلى أن حصلت عليه بموجب قرار الإمبراطور "سيبتيميوس سيفيروس"(*Septimius Severus*) في سنة ٢٠٠م، الذي نصّ على منح مجلس شورى للإسكندرية وعواصم الأقاليم المصرية[٤]. ويقدر كل من "بومان"(*Bowman*) و "راثبون" (*Rathbone*) عدد المواطنين السكندريين في مصر في عصر الرومان بـ ١٨٠ ألف من المواطنين الذكور[٥].

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، ١٠٦.

(٢) *Cass. Dio*. L,17,2; *PSI*.X.1160; *P.Lond*. VI.1912.

وعلى الرغم من اختلاف الباحثين حول وجود مجلس شورى للإسكندرية من عدمه قبل العصر الروماني، إلا أن البعض يرجح بأن الإسكندرية كان لها مجلس شورى في العصر البطلمي، وأن هذا المجلس تم إلغاءه في عهد أواخر الملوك البطالمة. انظر:

Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 252;

Jones, *The Cities of the Eastern Roman Provinces, 304* ;

وانظر أيضًا: عبد اللطيف أحمد علي ، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، ٨٤.

يرى "بوترايت" أن قيام "أغسطس" بحرمان السكندريين من مجلس شورى خاص بهم، كان بهدف منعهم من اكتساب الخبرة السياسية الضرورية للحراك الاجتماعي والسياسي، والدخول إلى جماعة النخبة في روما. انظر:

Boatwright, *Peoples of the Roman World*, 118.

(٣) مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٤١-١٤٢.

(٤) Jördens, in Riggs (ed), The Oxford Handbook of Roman Egypt 15, 252.

(٥) Bowman and Rathbone, *JRS* 82, 114.

ويرى كل من "بومان" و "راثبون" أن أحياء مدينة الإسكندرية في بداية العصر الروماني، تمت إعادة تنظيمها، وربما زاد عددها عن العدد الذي كان موجودًا في العصر البطلمي، وأن القبائل السكندرية منذ عهد الإمبراطور نيرون أصبح لها أهمية إدارية مستقلة عن الأحياء، ولذلك فإن المواطنين السكندريين حرصوا على ذكر قبائلهم في وثائقهم منذ هذا الوقت. انظر:

وقد فتح الوضع القانوني والمالي المميز للمواطنين السكندريين الباب على مصراعيه لبعض الشخصيات السكندرية لتولي مناصب مرموقة في البلاط الإمبراطوري في روما، وفي إدارة مصر مثل "تيبيريوس كلاوديوس بابيليوس"(*Tiberius Claudius Balbillus*) و"تيبيريوس يوليوس الإسكندر" (*Tiberius Julius Alexander*)، و"أبيانوس" (*Appianus*)[١]، ودفع العديد من الجنود المسرحين إلى التقدم بالتماسات للوالي من أجل حصول أبنائهم غير الشرعيِّين– الذين وُلِدُوا أثناء فترة الخدمة العسكرية –على المواطنة السكندرية[٢].

ويرجع إِنْفَرَادَ المواطنين السكندريين بالوضع القانوني والمالي المميز إلى السياسة التي اعتاد الرومان إتباعها في حكم الولايات، والتي قامت على اصطناع أقلية أرستقراطية في الولاية ومنحها امتيازات خاصة[٣]، وإلى شعور الرومان بأنهم جرحوا كبرياء السكندريين– تحولت مدينتهم من عاصمة مملكة مستقلة يحكمها حكام من بني جلدتهم إلى عاصمة إحدى الولايات الرومانية ومقراً لوالي الإسكندرية ومصر، واتقاءً لغضب السكندريِّين، الذين عَرِفَ الرومان عنهم ميلهم إلى الفوضى وإثارة الشغب منذ عصر البطالمة[٤].

وعلى الرغم من الوضع القانوني والمالي المميز الذي حظيَّ به السكندريون في الهرم الاجتماعي، إلا أنهم كانوا غاضبينَ من الرومانِ، بسبب انتقاصهم من

Bowman and Rathbone, *JRS* 82, 114–115; Venit, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt 7,*(Oxford,2012), *104*.

(١) Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, 5.

(٢) مرفت جابر أحمد ذكي، ظاهرة الأبناء غير الشرعيين في مصر في العصر الروماني من خلال أوراق البردي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس،(القاهرة، ٢٠١١)، ٦٣.

(٣) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢٠٩.

(٤) Venit, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt 7,* 103;

وانظر أيضًا: سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الإغريق والرومان، ١١٩.

ويبدو أن السبب في قيام "أغسطس" بوضع الفرقة الديوطارية(*Deiotariana* , *Legio XXII*)، وثلاث كتائب(*Cohortes*) في "نيكوبوليس" شرق الإسكندرية، يرجع إلى معرفته بميل السكندريين إلى أعمال الفوضى والشغب، لذا وضع هذه القوات تحسبًا لأي أعمال فوضى قد تندلع في المدينة.

سيادة واستقلال مدينتهم، ومحاباة اليهود على حسابهم والتجاوزات التي تعرضت لها مدينتهم على يد المسؤولين الفاسدين، وعدم السماح بمجلس شورى خاص بهم[١].

وعلى الرغم من السياسة التعسفية التي اتبعها اغسطس تجاه مدينة الاسكندرية وماطنيها، الا انه لا احد يستطيع ان ينكر منح اغسطس امتيازات مختلفة للسكندريين بعد دخوله مصر، اول هذه الامتيازات، أن من حق المواطنين السكندريين الحصول المباشر على المواطنة الرومانية دون الحاجة الى الخدمة في الجيش والتسريح بشكل مشرف، وثانيها أعفائه للمواطنين السكندريين من دفع ضريبة الرأس التي فرضها على كل سكان مصر ماعدا الرومان.

أما مدينةَ "بطلمية" التي أنشأها الملك "بطلميوس الأول" فقد تمتع سكانها بنفس الامتيازات التي تمتع بها مواطنو مدينة الإسكندرية، وكان لديها مجلس وجمعية شعبية ومجلس تنفيذي مكون من ستة من كبار القضاة، وكانت المدينة تتمتع بامتيازات خارج نطاق حدودها؛ فقد كان لها الحق في تعيين كهنة معبد "بطلميوس الأول" في فقط أو كوبتوس(*Koptos*)، وحق الاستفادة من عوائد هذا المعبد، وكانت أيضًا تتمتع بقدر من الاستقلال الإداري الذاتي في إدارة شئونها[٢].

ومن ناحية أخرى كان مواطنو "أنتينوبوليس"[٣] يتمتعون بامتيازات كثيرة ومتنوعة داخل المدينة وخارجها، وكانوا يعتبرون أنفسهم مجموعة مستقلة لها خصوصيتها الخاصة من بين السكان وعرفوا أنفسهم "بالهيللينين الجدد"، وكانت

---

(١) Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, 5;

وانظر أيضًا: فاروق القاضي، العصر الروماني، في موسوعة مصر عبر العصور، ٤٤٤.

(٢) جونيفييف هوسون و دومينيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلي الأباطرة الرومان، ٢٤٠-٢٤١.

(٣) تكون سكان مدينة "أنتينوبوليس"من النخب المحلية في الريف ومن سكان مدينة "بطلمية" ومن أعضاء طبقة الـ "٦٤٧٥" كاتويكوي في إقليم أرسينوي، ومن بعض قدامى المحاربين- الذين كانوا في العادة يحصلون على المواطنة "الأنتونية" جنبًا إلى جنب المواطنة الرومانية- حيث أن العديد من قدامى المحاربين رفضوا الإقامة في المدينة الجديدة، وبقوا لعدة أجيال بأسرهم يقيمون في محال إقامتهم القديمة. انظر:

Jones, *The Cities of the Eastern Roman Provinces, 312*.

السلطات المحلية تميل إلى التشكيك في امتيازاتهم أو حتى تجاهلها تمامًا في بعض الأحيان، مما أدى إلى نشوب صراع مستمر بينهم وبين السلطات المحلية حول أحقيتهم في هذه الحقوق والامتيازات(١).

ومن أهم الامتيازات التي تميز بها مواطنو مدينة "أنتينوبوليس" عن مواطني مدينة الإسكندرية أن الرومان سمحوا بأن يكون لمواطني مدينة "أنتينوبوليس" مجلس شورى خاص بهم منذ تأسيس المدينة، بينما رفضوا أن يكون للإسكندرية نفس المجلس(٢).

ويتضح مما سبق أن طبقة مواطني المدن الإغريقية تمتعت بامتيازات متعددة، خاصةً الامتيازات القانونية والمالية، مما جعلها تحتل المنزلة الثانية في الهرم الاجتماعي، ويرجع الفضل في ذلك إلى تمتع أعضاء هذه الطبقة بالمواطنة الإغريقية في إحدى المدن الإغريقية، وكذلك إلى نظرة الإدارة الرومانية إلى مواطني المدن الإغريقية على أنهم إغريق خالصون سواء من الناحية الثقافية أو العرقية.

ثالثًا: طبقة المصريين:

من الناحية القانونية صنف الرومان جميع سكان مصر فيما عدا المواطنين الرومان ومواطني المدن الإغريقية الأربعة، على أنهم مصريون (*Aigyptioi*) أو المصريون الأجانب (*peregrini Aegyptii*)، دون النظر إلى عرقياتهم أو أصولهم(٣). وبذلك شملت طبقة المصريين عرقيات وثقافات مختلفة من إغريق ويهود

---

(١) A. A. Aly., *The Roman Veterans in Egypt*, Ph.D., (University of Michigan, 1949), 162.

(٢) Taubenschlag, *The Law of Greco-Roman Egypt in The Light of The Papyri, 332 BC-640 AD*, 5-6.

(٣) Benaissa, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 32, *226.*

وانظر أيضًا: جونيفييف هوسون و دومينيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، ٢٤٣.

ومصريين أصليين ومقدونيين وغيرهم، وشكلت هذه الطبقة الأغلبية العظمى من سكان مصر في عصر الرومان.

وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من أفراد طبقة المصريين كانوا يقيمون في الريف، فإن بعضهم كان يقيم في المدن الإغريقية سواء بشكلٍ مؤقت مثل العمال، أو بشكلٍ دائم مثل يهود الإسكندرية الذين كانوا يعيشون في الحي الرابع من أحياء المدينة المعروف بحي "دلتا" (*Delta*) وفي جزء كبير من الحي الثاني "بيتا" (*Beta*)[١].

وكان الوضع القانوني والمالي لأعضاء طبقة المصريين يُعَد الأدنى قانونيًا وماليًا في الهرم الاجتماعي، حيث خضعت جميع فئات هذه الطبقة لضريبة الرأس، وإن كان ذلك بنسب متفاوتة اختلفت من فئة إلى أخرى[٢]. ولأن فرض ضريبة الرأس على هذه الطبقة كان بمثابة ضربة قاصمة لكبرياء النخب الإغريقية والمتأغرقة في الريف، فإن الإدارة الرومانية عملت على ترضيتهم ومحاباتهم وتمييزهم عن المصريين الأصليين ومن على شاكلتهم الذين يشتركون معهم في نفس الطبقة، وذلك بفرض نظام متدرج لدفع ضريبة الرأس، مما يعمل على تشجيع الأفراد الطموحين من هذه الطبقة للانضمام إلى الفئات المميزة فيما يتعلق بدفع ضريبة الرأس[٣].

ونظرًا لأن أعضاء طبقة المصريين لم يمتعوا بالمواطنة سواء الرومانية أو الإغريقية، فإنهم حُرِموُا من الكثير من الحقوق ووقع على كاهلهم العديد من الالتزامات والأعباء، وقد كان يغلب علي هذه الطبقة الطابع الثقافي المصري وليس الإغريقي[٤].

وفي ضوء ما تقدم يمكن تقسيم طبقة المصريين إلى مجموعتين، المجموعة الأولى: تكونت من مواطني عواصم الأقاليم، والمجموعة الثانية: تكونت من القرويين

---

(١) آلان.ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٣٦٢.

(٢) Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, 212.

(٣) Nelson, *Status Declarations in Roman Egypt,22.*

(٤) Bell, *JEA* 8, 151.

أو المصريين الأصليين ومن على شاكلتهم[١]، ومن الناحية القانونية كان الوضع القانوني لأعضاء هاتين المجموعتين متساويًا مع بعضهم البعض، أما من الناحية الواقعية فقد اختلف الوضع المالي لمواطني عواصم الأقاليم عن الوضع المالي الخاص بالمصريين الأصليين ومن على شاكلتهم؛ فقد كان مواطنو عواصم الأقاليم يدفعون ضريبة الرأس بقيمة مخفضة، بينما دفعها المصريون الأصليون ومن على شاكلتهم بقيمتها الكاملة؛ لأن مواطني عواصم الأقاليم كانوا أكثر تأثرًا بالثقافة والتقاليد وأسلوب الحياة الإغريقية من المصريين الأصليين ومن على شاكلتهم، وكانوا بمثابة الصفوة الإغريقية والمتأغرقة المقيمة في عواصم الأقاليم التي حرصت الإدارة على تمييزها عن المصريين الأصليين ومن على شاكلتهم[٢].

وتكونت مجموعة مواطني عواصم الأقاليم من المستوطنين العسكريّين الإغريق– الذين استوطَنوا عواصم الأقاليمِ منذ فتحِ الإسكندر لمصر حتى النصف الأول من العصر البطلمي–[٣]، ومن فئات أخرى من أسيويين أو أفارقة أو من الولايات الرومانية المختلفة الذين اصطبغوا بالطابع الإغريقي في اللغة والمظهر والعادات[٤]، ومن موظفي الإدارة ورجال الأعمال الذين وجدوا في مصر فرص تجارية سانحة لعقد الصفقات التجارية، ومن ملاك الأراضي الذين تركوا ضياعهم

---

(١) Alston, *The City in Roman and Byzantine Egypt*, 2.

(٢) هـ. بل، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٩٩–١٠١؛ أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ٢٢٥.

(٣) Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt: a Social History*.61; Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*, 246.

سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق ولآثار ٣٠ق.م–٦٤٢م، ١١٩.

وعندما دخل أوكتافيانوس" مصر وجد فيها بها ثلاثين إقليمًا إداريًا، أو"نوموى"(*nomoi*)، وهى كلمة يونانية مفردها "نوموس" (*nomos*)، ولم يغير أوكتافيانوس هذا التقسيم، وكان لكل إقليم عاصمة، سميت "متروبوليس"(*metropolis*)، التي كانت مركزًا لإدارة الإقليم. انظر:

نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٥٣.

(٤) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، ١٧٥–١٧٦.

لوكلاء يديرونها بدلًا منهم، وانتقلوا للإقامة في عاصمة الإقليم[١]. وقد تمتع مواطنو عواصم الأقاليم بامتيازات مالية كبيرة[٢]، جعلتهم بمثابة النخبة داخل طبقة المصريين[٣].

ولم يكن جميع سكان عواصم الأقاليم يتمتعون بصفة المواطنة في إحدى عواصم الأقاليم؛ فهذه الصفة كانت قاصرة فقط على الأشخاص المسجلين في أحياء أو وحدات المتروبوليس والمنحدرين من أبوين من طبقة مواطني عاصمة الإقليم[٤]، أمَّا غير ذلك فقد كانوا من المقيمين في المتروبوليس وليسوا مواطنين، وهؤلاء كان عددهم كبير وازداد بشكل أكبر بعد قيام "أغسطس" بإلغاء الجيمنازيوم القروي وهجرة عدد كبير من النخب المحلية الإغريقية والمتأغرقة من القرى إلى المدن[٥]. وقد كانت عواصم الأقاليم (*metropoleis*) مهيأة بشكلٍ جيد للحياة على الأسلوب الإغريقي، فقد كانت بها جميع المرافق الخاصة بالمدن الإغريقية مثل الأسواق والمسارح والجيمنازيوم، مما جعلها مراكز إشعاع ثقافية ومراكز تجارية مزدهرة من الدرجة الأولى[٦].

وعملت الإدارة الرومانية في مصر على تقوية دور عواصم الأقاليم وازدهارها، إلى أن بلغت قمة ازدهارها في سنة ٢٠٠م عندما قام الإمبراطور "سيبتيميوس

---

(١) Jones, *The Cities of the Eastern Roman Provinces*, 309;

وانظر أيضًا: حسن الابياري حسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، ١٢٤-١٢٧.

(٢) Davies, *Race-relations in Ancient Egypt: Greek, Egyptian, Hebrew, Roman*, 150;

وانظر أيضًا: سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق ولآثار ٣٠ق.م-٦٤٢م، ٨٣، ١٠٦.

(٣) Bagnall, in Bagnall(ed.), *Hellenistic and Roman Egypt: Sources and approaches* XIV, *2.*

(٤) حسن الإبياري، وحسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، ١٢٤.

(٥) K. Vandorpe, 'Identity', in: C. Riggs (ed.), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 16, (Oxford, 2012), 266.

(٦) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 247, 249.

سيفيروس" (*Septimius Severus*) بمنحها مجالس بلدية، مما جعلها تكتسب وضعًا مميزًا أكثر من ذي قبل، وتدريجيًا تشكلت لديها حكومات مدنية قامت بتبني نظم المدن اليونانية كنموذج لها، واتخذ موظفوها نفس ألقاب الموظفين الإغريق، مثل "الجيمنازيارخوي" (*gymnasiarchoi*)، و"الاكسيجيتاي" (*exegetai*)، و"الكوسميتاي" (*kosmetai*)[١].

وعلى الرغم من المكانة المرموقة لمواطني عواصم الأقاليم[٢]، إلا أن الإدارة الرومانية ميزت بشكل واضح بينهم وبين مواطني المدن الإغريقية، فقد كان الوضع القانوني والمالي لمواطني المدن الإغريقية أفضل من الوضع القانوني والمالي لمواطني عواصم الأقاليم[٣]، ولذلك نظرت الإدارة الرومانية إلى مواطني المدن الإغريقية بكل إجلال واحترام بينما نظرت إلى مواطني عواصم الأقاليم بنظرة ازدراءٍ واحتقار؛ لتأثرهم بشكلٍ كبير بالحضارة والثقافة المصرية[٤].

وكانت مجموعة مواطني عواصم الأقاليم تتكون من ثلاث طبقات مختلفة هي: طبقة مرتادي الجيمنازيوم (*gymnasium*)، وطبقة "المتروبوليتاي" (*metropolitai*)، وطبقة الـ ٦٤٧٥ كاتويكوي أرسينوي (*katoikoi*)[٥].

وكانت طبقة مرتادي الجيمنازيوم في البداية فئة اجتماعية صغيرة تكونت في العصر البطلمي من الإغريق الخالصين؛ كردِّ فعلٍ قويٍ على ما حدث من امتزاجٍ حضاري وعنصري بين الإغريق والمصريين في عواصمِ الأقاليم، حيث لجأ بعض

---

(١) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 249, 255.

(٢) Bowman and Rathbone. *JRS* 82,114.

(٣) Bell, *JEA* 8, 152.

(٤) حسن الإبياري وحسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، ٩٦.

(٥) K. Vandorpe, 'Identity', in: C. Riggs (ed.), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 16, 263.

يعتقد بعض الباحثين أن طبقة مرتادي الجيمنازيوم، وطبقة الـ ٦٤٧٥ كاتويكوي في أرسينوي هي مجموعات متميزة داخل طبقة المتروبوليتاي وليست طبقات منفصلة عن المتروبوليتاي. انظر:
نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٥٩.

الإغريق الذين يعتبرون أنفسهم إغريق خالصين إلى تكوين شريحة اجتماعية جديدة تقتصر عضويتها على العناصر الإغريقية الأصل، ورد ذكرها في الوثائق البردية بمصطلحات كثيرة منها مرتادي الجيمنازيوم (οἱ ἀπὸ أو ἀπὸ τοῦ γυμνασίου τοῦ γυμνασίου) [١].

وفي العصر الروماني حدث تغيير جذري لفئة مرتادي الجيمنازيوم، فقد أصبحت هذه الفئة طبقة اجتماعية (τάγμα) مغلقة تقتصر عضويتها على الأشخاص المنحدرين من عرق إغريقي خالص، لا يمكن انضمام المرشحين للانضمام إليها إلا بعد إثبات عضوية أسلافهم من ناحية الأب وألام في القائمة الرسمية لأعضاء طبقة الجيمنازيوم التي وضعت في سنة ٤/٥م[٢]- التي شملت أشخاص من أصول إغريقية ومصرية- أو إثبات عضويتهم في القائمة المعدلة لأعضاء طبقة مرتادي الجيمنازيوم التي تم تعديلها في سنة ٧٢/٧٣م[٣].

وكانت طبقة مرتادي الجيمنازيوم متداخلة مع طبقة المتروبوليتاي، حيث كان من حق أبناء أعضاء طبقة مرتادي الجيمنازيوم أن يحصلوا على الوضع القانوني

---

(١) *P.Petr*. III 74 (a)(c246BC Arsinoite); *P.Flor*. I 79(AD 60 Hermoupolis Magna)= *W.Chr*. 145; *P.Lond*. III 955 (S. 127)(AD 261 Hermoupolis Magna)= *W.Chr*. 425= *Sel. Pap*. II 320;

وانظر أيضًا: فاروق القاضي، طبقة رجال الجمنازيوم في مصر في العصر الروماني في ضوء الوثائق البردية، مجلة مركز البردي والنقوش، جامعة عين شمس، المجلد الثالث، (القاهرة، ١٩٨٦)، ١١٤.

(٢) Nelson, *Status Declarations in Roman Egypt,22-23, 34* K. Vandorpe, 'Identity', in: C. Riggs (ed.), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 16, 263;

وانظر أيضًا: حسن الإبياري وحسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، ١٢٤-١٢٥.

(٣) *P.Oxy*. II. 257(AD94-5 Oxyrhynchus)= *W.Chr*. 147; *P.Oxy*. X 1266(AD98 Oxyrhynchus); *P.Oxy*. XII 1452(AD127-28 Oxyrhynchus); *P.Oxy*. XXII 2345(AD224 Oxyrhynchus); *P.Oxy*. XVIII 2186(AD260 Oxyrhynchus) ; *PSI* V 457(AD269 Oxyrhynchus) ; *PSI* VII 731(I-IIspc Oxyrhynchus).

وانظر أيضًا: فاروق القاضي، طبقة رجال الجمينازيوم في مصر في العصر الروماني في ضوء الوثائق البردية، ١٢٣؛ آلان. ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٢٢٠-٢٢١؛ سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق ولآثار ٣٠ق.م-٦٤٢م، ١١٩-١٢٠.

لطبقة المتروبوليتاي؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر تشير إحدى الوثائق البردية إلى أن أحد الأشخاص عند بلوغه سن الثالثة عشر عامًا تم تقديم طلبين لفحص مستنداته، الطلب الأول تم تقديمه إلى الاستراتيجوس والكاتب الملكي والموظفين الآخرين، لقبول انضمامه في طبقة المتروبوليتاي دافعي الأثنى عشر دراخمة، بينما الطلب الثاني تم تقديمه لقبول انضمامه إلى طبقة مرتادي الجيمنازيوم(١).

وقد كان للتعليم الإغريقي دور كبير في تكوين هذه الطبقة، فأبناء أعضاء طبقة مرتادي الجيمنازيوم الذين التحقوا كشبيبة أو "إيفيبى" (*ephebes*) بمؤسسة "الجيمنازيوم" (*gymnasium*)، في سن الرابعة عشر كان لهم فيما بعد الحق في الحصول على عضوية طبقة مرتادي الجيمنازيوم(٢). التي كفلت لأعضائها امتيازات عديدة لم يتمتع بها غيرهم من مواطني عواصم الأقاليم(٣).

أما طبقة المتروبوليتاي فإن نشأتها ترجع إلى الممارسة الاجتماعية الرومانية، حيث عمل الرومان على تكوين طبقة المتروبوليتاي للقيام بأعباء الحكم والإدارة في عواصم الأقاليم(٤)، نظرًا لحاجة الرومان إلى خبرتهم في مجال الإدارة ولقلة عدد الموظفين الرومان، ولذلك ميزتهم الإدارة الرومانية عن القرويين بعددٍ من الامتيازات، وقد كانت طبقة المتروبوليتاي متداخلة مع طبقة مرتادي الجيمنازيوم وكانوا يمثلون السكان الإغريق في عواصم الأقاليم(٥).

ويتفق كل من "العبادي" و"جوردون" و "بل" أن طبقة "المتروبوليتاي"، لم تكن قاصرة على الأشخاص ذوي الأصول الإغريقية فقط، بل تكونت من عرقيات مختلفة من العرقيات التي اختلطت مع الإغريق عن طريق الزواج، خاصةً وأن القانون لم

---

(١) *P.Oxy*. XII 1452(AD127–28 Oxyrhynchus)

(٢) Bagnall, *Egypt in Late Antiquity*, 100;

وانظر أيضًا: محمد حمدي إبراهيم، الجمناسيون في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني، ١٦.

(٣) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt*, 15, 254.

(٤) محمد حمدي إبراهيم، الثقافة والتعليم في مصر في العصر الروماني، ١٩١–١٩٢، ٢٠٥–٢٠٦.

(٥) K. Vandorpe, 'Identity', in: C. Riggs (ed.), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 16, 263

يمنع الزواج بين هذه العناصر وبعضها البعض[١]، بينما يرى "لويس" أن طبقة المتروبوليتاي كانت قاصرة على الإغريق فقط، وأن أبناء الزواج المختلط مع الإغريق لم يحصلوا على عضوية طبقة المتروبوليتاي، لعدم انحدارهم من أبوين من طبقة "المتروبوليتاي"[٢].

ورغم أن "المتروبوليتاي"" كانوا حريصين على نقاء دمائهم والتمسك بتقاليدهم وحضارتهم الإغريقية ومحاكاة المدن الإغريقية في مؤسساتها ومرافقها وأنشطتها الثقافية والرياضية، والإنفاق ببذخ على مدنهم حتى خلال القرن الثالث الميلادي، إلا أن الإدارة الرومانية لم تنظر إليهم على أنهم إغريق خالصون مثل إغريق المدن الإغريقية الأربعة، وأدرجتهم في طبقة المصريين، وجعلت وضعهم المالي متدنيًا عن الوضع المالي الخاص بمواطني المدن الإغريقية الأربعة[٣]، ومن جانب آخر لم يعترف " المتروبوليتاي" بتصنيف الإدارة الرومانية لهم، وبإدراجهم في طبقة المصريين، بل أن بعضهم كان يدَّعِي أنه من أصل إغريقي خالص، وكانوا يتباهون بثقافتهم الإغريقية، ويفخرون بأن لديهم مؤسسات مدنية ذات طابع إغريقي مثل التي موجودة في المدن الإغريقية الأخرى[٤].

أما أعضاء طبقة الـ ٦٤٧٥كاتويكوي في أرسينوي فهم من أحفاد المستوطنين العسكريين الذين استوطنوا إقليم أرسينوي[٥]، وقد كان اللقب الكامل لكاتويكوي

---

(١) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢٢٢؛
Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 249; Bell, *JEA* 8, 148.

(٢) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٥٩.

(٣) سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق ولآثار ٣٠ق.م-٦٤٢م، ص ١١٩.

(٤) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ص ص ٥٧-٥٨؛ آلان.ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ص ٢٢٠.

(٥) Lindsay, *Daily life in Roman Egypt*, XIV.

أرسينوي في العصر الروماني هو (κάτοικοι τῶν Ἀρσινοίτηι ἀνδρῶν Ἑλλήνων)[١].

وقد كانت طبقة الـ ٦٤٧٥ كاتويكوي توازي طبقة مرتادي الجيمنازيوم في باقي عواصم الأقاليم، وتمتع أعضاؤها بوضع قانوني ومالي مميز، وعند تأسيس الإمبراطور "هادريانوس" لمدينة "أنتينوبوليس، فإن عدد كبير من أعضائها استوطنوا هذه المدينة[٢].

وحتى الآن لا يوجد تفسير مقنع يوضح لنا سبب تسمية هذه الطبقة بالـ ٦٤٧٥ كاتويكوي، وإن كان كل من " لويس" و"الناصري" و"فاندوربي" (*Vandorpe*) يرجحان بأن هذا الاسم يشير إلى العدد الأساس للمجموعة الأرستقراطية الذي تكونت منه الطبقة، وتم الاحتفاظ بهذا العدد كمسمى لهذه الطبقة لأجيال تالية على الرغم من تزايد أعدادها بمرور الزمن، مما جعل هذا المسمى لا يتطابق في الواقع مع عددها الفعلي[٣].

بينما كان القرويون وبمعنى أدق المصريون الأصليون ومن هم على شاكلتهم يشكلون الأغلبية الساحقة من طبقة المصريين بشكلٍ خاص ومن سكان مصر بشكلٍ عام، وتكونت هذه المجموعة بشكل أساسي من الفلاحين المصريين الأصليين المرتبطين بالأرض، وممن هم على شاكلتهم من العرقيات الأخرى من يهود وفرس وإغريق وغيرهم، الذين تمصروا تماماً وتأثروا ثقافيًا بالثقافة والحضارة المصرية، وهؤلاء معظمهم من الإغريق الذين استقروا في الريف وامتزجوا بالفلاحين المصريين

---

(١) *P. Corn*. 16; Nelson, *Status Declarations in Roman Egypt, 39.*

(٢) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 254; Lindsay, *Daily Life in Roman Egypt*, 324.

(٣) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ص ٥٩؛ سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار ٣٠ق.م-٦٤٢م، ص ١٢٠؛

K. Vandorpe, 'Identity', in: C. Riggs (ed.), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 16, 263

الأصليين وتمصروا وفقدوا الطابع الإغريقي[١]، وتزوجوا من نساء مصريات، ولم يثقفوا ثقافة هللينية، وتأثروا بالثقافة المصرية خاصةً في المناطق النائية في الريف، حيث كان التأثير الثقافي الإغريقي ضعيفًا في هذه المناطق، ولذلك فإنهم كانوا يعاملون معاملة المصريين الأصليين[٢]. وقد احتلت هذه المجموعة الوضع القانوني والمالي الأدنى من بين مجموعتي طبقة المصريين، وأثقل كاهلها بالعديد من الأعباء والالتزامات، وحُرِمت من معظم حقوقها الأساسية في الحياة، ونظرت إليها الإدارة الرومانية بنظرة ازدراء واحتقار[٣].

ومع تغير نظام الحكم السياسي للبلاد من البطالمة إلى الرومان، لم يحدث تغيير جوهري في حياة المصريين الأصليين، فقد ظل المصريون مغلوبون على أمرهم، وعاشوا حياة بائسة بالكاد فوق حد الكفاف، وسكنوا في منازل متواضعة مع حيواناتهم الأليفة، تلك المنازل التي كانت متكدسة في أزقة ضيقة ومزدحمة للغاية[٤].

وكان عدد قليل من المصريين الأصليين المقيمين في القرى من الأغنياء، كانوا شخصيات بارزة في مجتمعهم المحلي، وعاشوا في منازل تضارع منازل عواصم الأقاليم، والبعض الآخر انتقل إلى عاصمة الإقليم؛ بحثًا عن تحسين وضعه الاجتماعي والثقافي، وخير مثال على ذلك "سارابيون (*Sarapion*) بن يوتيخيديس" (*Eutychides*) الذي انتقل وأسرته من القرية إلى "هرموبوليس"، وكان "سارابيون" وأسرته يمتلكون مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية بالقرب من "هرموبوليس"، وفي الجزء الشمالي من إقليم هرموبوليس، وكان لديهم عدد كبير من قطعان الأغنام

---

(١) سيد أحمد علي الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار ٣٠ق.م-٦٤٢م، ص ص ١٢٠، ١٥٨.

(٢) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 249.

وقد كان الأطفال الذين يولدون من الزواج المختلط بين المصريين والإغريق، يحملون أسماء إغريقية أو مصرية. انظر:

أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ص٢٢٥.

(٣) محمد السيد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ص ١٤٦.

(٤) محمد السيد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ص ١٦٦؛ أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ٢١٨.

والماعز وصل عددهم إلى ألف رأس، وكانوا يزرعون محاصيل العلف على نطاق واسع لتوفير الغذاء اللازم لهذا العدد الكبير من قطعان الأغنام والماعز[١].

وقد كان الكهنة المصريون من أهم المجموعات التي تنتمي إلى فئة المصريين الأصليين ومن على شاكلتهم؛ فقد حاز الكهنة على وضع مالي مميز، وخضعوا لإجراء عملية الفحص، لإثبات حق أبنائهم في التمتع بالوضع القانوني والمالي المميز للكهنة[٢]. وعلى الرغم من تمييز الرومان للكهنة المصريين عن غيرهم من المصريين الأصليين ومن على شاكلتهم، إلا أن الإدارة الرومانية عملت على السيطرة على الكهنوت المصري، وفرضت عليهم ضريبة الرأس، ولم تستثني منهم إلا عددًا قليلًا في كل معبد من المعابد المصرية، وخفضت عدد المعابد التي لها حق إيواء اللاجئين، وبذلك فإن القيود المفروضة على الكهنة في مصر في عصر الرومان تزايدت بشكل مستمر ومتواصل دون أن تقدم لهم الإدارة الرومانية أي نوع من التعويضات عن ذلك[٣].

اليهود:

وكان اليهود من الناحية القانونية (*De jure*) إحدى الفئات التي كانت على شاكلة المصريين الأصليين، سواء المقيمين منهم في الإسكندرية أو في غيرها من المدن اليونانية أو في عواصم الأقاليم أو في الريف، وكانوا كالمصريين الأصليين ملزمين بدفع ضريبة الرأس بقيمتها الكاملة والقيام بالخدمات الإجبارية[٤].

أما من الناحية الواقعية(*De facto*)، فإننا نجد أن الإدارة الرومانية كانت تعطي لليهود امتيازات عديدة خاصةً يهود الإسكندرية الذين كانوا أكثر تميزًا عن يهود الريف، فقد تمتع يهود الإسكندرية بعدد كبير من الامتيازات التي لم يتمتع بها

---

(١) محمد السيد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ١٦٤-١٦٥.

(٢) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 257.

(٣) Bell, *JEA* 8, 148.

(٤) J. R. Bartlett, Jews in the Hellenistic and Roman Cities, (New York, 2002), 189; Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, 217;

وانظر أيضًا: سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان، ص ١٨٥.

يهود الريف؛ نظرًا للخدمات الكبيرة التي أسداها للرومان قبيل دخولهم مصر؛ خاصةً الخدمات التي قدمها يهود الإسكندرية للرومان عندما قام الرومان بإعادة "بطلميوس الزمار" عنوةً إلى العرش في عام ٥٥ ق.م، حيث قامت الحامية اليهودية في "بلوز يوم" بفتح الحدود المصرية للقوات الرومانية، وأيضًا الخدمات التي قدمها اليهود للرومان أثناء حرب الإسكندرية في سنة ٤٧ق.م حيث أفسحت الحامية اليهودية في "ليونتوبوليس" الطريق أمام القوات الرومانية لنجدة "يوليوس قيصر" من حصار السكندريين له(١)، وفي أثناء الصراع بين "أوكتافيانوس" و"أنطونيوس" و"كليوباترا السابعة" وقف اليهود على الحياد، أو على الأقل لم ينحازوا إلى جانب "أنطونيوس" و"كليوباترا"(٢).

وقد كانت أهم الامتيازات التي تمتع بها يهود الإسكندرية هي حقهم في العيش وفق قوانين أسلافهم، واحتفاظهم برابطتهم أو "البوليتوما" (*Politeia*) وحقهم في التمتع بكل الامتيازات التي حصلوا عليها في عصر البطالمة(٣)، ومنها الحق في تنظيم شئونهم الخاصة من خلال مسؤول قومي هو " الأثنارخوس (*Ethnarchos*)، يساعده في ذلك مجلس شيوخ أو ما يعرف بـ"الجيروسيا" (*Gerousia*)، ودار للسجلات (*archeion*) خاصة بهم، وحقهم في بناء معابدهم، والحق في إرسال سفارات يهودية إلى روما(٤). ورغم تمتع يهود الإسكندرية بهذه الامتيازات التي كانت تشكل نوعًا من الحكم الذاتي سواء في الناحية الاجتماعية أو الدينية إلا إنهم كانوا

---

(١) مصطفي كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ٤٩.

وتقدر"ديليا" (*Delia*)عدد اليهود الذي كانوا يقيمون في الإسكندرية بحوالي ١٨٠٠٠ يهودي، وأن هذا العدد الكبير كان له دور خطير في تفشي أعمال العنف بين السكندريين واليهود، ولكن يبدو أن هذا العدد مبالغ فيه من قبيل الدعاية اليهودية لتهديد المواطنين السكندريين. انظر:

D. Delia, 'The Population of Roman Alexandria', *TABA* 118 (1988), 288

(٢) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الإغريق والرومان، ص ١٢١.

(٣) *Josephus*. *Ant*. XVI, 163; J. Barclay, *Jews in the Mediterranean Diaspora: From Alexander to Trajan (323 BCE–117 CE)*. Vol. 33, (Univ of California Press, 1996), 49.

(٤) Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, 21, 22.

وانظر أيضًا: سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الإغريق والرومان، ص ١٢٠.

يصنفون كمستوطنين ذوي امتيازات مدنية في الإسكندرية[١]، إذ أن الإدارة الرومانية لم تعترف بهم كمواطنين سكندريين في المدينة، ومنعتهم من الانخراط في عضوية منظماتها الإغريقية كالجمينازيوم أو الشبيبة[٢]. ونظرًا للامتيازات الهامة التي كان يتمتع بها يهود الإسكندرية ولم يتمتع بها يهود الريف، فإن "هاركر" (*Harker*) يرجح أن يهود الإسكندرية كان يتم تسجيلهم بطريقة مشابهة لطريقة تسجيل المواطنين السكندريين، لمنع يهود الريف من ادعاء الحق في التمتع بامتيازات يهود الإسكندرية[٣].

وعلى نقيض النظرة القانونية التي نظرت بها الإدارة الرومانية إلى اليهود، فإنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مجموعة ذات وضع مستقل عن طبقة المصريين، خاصةً يهود الإسكندرية[٤]، الَّذِينَ كانوا يتطلعون إلى كسب المزيد من الامتيازات والمساواة الكاملة من الناحية القانونية مع المواطنين السكندريين، وكانوا يعتقدون بتفوقهم

---

(١) رجب سلامة عمران، مرسوم الوالي أفيليوس فلاكوس في كتاب ضد فلاكوس للفيلسوف فيلون اليهودي حوالي ٢٠ق.م-٥٠م، توظيف المصطلح والنص في الدراسات التاريخية، ص ١٣٥.

(٢) *P.Lond*. VI 1912(AD41 Philadelphia)= *C.Pap.Jud*. II 153= *Sel. Pap*. II 212; *Cass. Dio*. LXVI. 7. 2; Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 256;

وانظر أيضًا: مصطفى كمال، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ص١٣٢-١٣٣.

ومن المؤشرات الأخرى التي تشير إلى عدم اعتراف الرومان باليهود كمواطنين سكندريين أن الأمير "جرمانيكوس"، ولي عهد الإمبراطور "تيبيريوس"، قام باستثناء اليهود من منحة القمح التي وزعها على مواطني الإسكندرية، وهذه ليست المرة الأولى التي يستثنى فيها اليهود من الحصول على منحة القمح، ففي العصر البطلمي حرموا من منحة القمح التي قامت بتوزيعها الملكة كليوباترا السابعة على المواطنين السكندريين. انظر:

Gambetti, *The Alexandrian Riots of 38 CE and the Persecution of the Jews: A Historical Assessment*, 61.

(٣) Harker, in C. Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 17, 279.

(٤) آلان.ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٢٢٢.

العنصري على غيرهم من السكان، وقد ترسخ هذا الاعتقاد في أذهانهم بعد أن قام الرومان بإقرار امتيازاتهم السابقة التي كانوا يتمتعون بها في عصر البطالمة[١].

وعلى الجانب الآخر كان السكندريون يكنون كراهية بغيضة لليهود وينظرون إلى أنهم عملاء للرومان[٢]، ولم ينسوا لليهود الخيانات المتتالية في حقهم، وأنهم كانوا أحد أسباب سقوط دولة بني جلدتهم، وتحويل مدينتهم من عاصمة دولة مستقلة إلى عاصمة ولاية من ولايات الإمبراطورية الرومانية، مما أدى ذلك إلى اندلاع أعمال عنف بين الإغريق واليهود في المدينة في سنة ٣٨م ، وانتهز السكندريون هذه الفرصة وصبوا جام غضبهم على اليهود، مما استدعى تدخل القوات الرومانية للفصل بين الجانبين، وفي هذا الوقت استطاع السكندريون الوقيعة بين الرومان واليهود، مما جعل الرومان ينقلبون على اليهود[٣].

ويتضح فيما سبق، أن النظرة القانونية الرومانية إلى طبقة المصريين ساوت بين جميع أعضاء هذه الطبقة ورأت أنهم جميعًا مصريون، أما من الناحية العملية، فإن الرومان ميزوا بين مجموعتين في طبقة المصريين، المجموعة الأولى تكونت من مواطني عواصم الأقاليم الذين كانوا يمثلون نخبة داخل طبقة المصريين؛ وحصلوا على العديد من الامتيازات والحقوق، لأن العرق والطابع الثقافي الإغريقي كان يغلب على هذه المجموعة، والمجموعة الثانية: تكونت من القرويين أو المصريين الأصليين ومن على شاكلتهم وقد مارست الإدارة الرومانية التمييز ضدهم على أساس عرقي و ثقافي، نظرًا لأن العرق والطابع الثقافي المصري كان يغلب على هذه المجموعة[٤].

---

(١) رجب سلامة عمران، مرسوم الوالي أفيليوس فلاكوس في كتاب ضد فلاكوس للفيلسوف فيلون اليهودي، ص ص١٣٠، ١٣٤.

(٢) Harker, *Loyalty and dissidence in Roman Egypt*, 212;

ولتعزيز التفرقة بين اليهود والسكندريين، عملت الإدارة الرومانية علي إعطاء اليهود امتيازات وحقوق عديدة، في حين إنها لم توافق علي إعادة مجلس الشورى الخاص بالسكندريين، وذلك لكي تشعر السكندريين بالمهانة والدونية مقارنةً باليهود. انظر:

مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ١٤٠.

(٣) سيد أحمد علي الناصري، مصر تحت حكم الإغريق والرومان، ص١٢١.

(٤) هـ . بل، مصر من الإسكندر الأكبر إلي الفتح العربي، ص ١٠١.

الفصل السادس:

الخدمات الإجبارية

الخدمات الاجبارية:

كانت الخدمات الإجبارية (*λειτουργία*) إحدى المجالات التي ميزت فيها الإدارة الرومانية بين المواطنين وغير المواطنين على أساس المواطنة؛ فقد أعفي المواطنون الرومان من الخدمات الإجبارية إعفاءً كاملًا عند بداية الحكم الروماني لمصر على الأقل وبعد ذلك كانوا معفون من تأديتها في الريف فقط، وعلى الأساس ذاته أعفي مواطنو المدن الإغريقية من الخدمات الإجبارية في الريف فقط، بينما وقع عبء الخدمات الإجبارية كاملًا على كاهل الأشخاص المنتمين إلى الوضع القانوني الخاص بطبقة المصريين باعتبارهم أدنى طبقات الهرم الاجتماعي في المجتمع.

وعَرّفَ "لويس" الخدمة العامة الإجبارية بأنها: "استدعاء الأفراد لتأدية خدمة أو عمل من أجل الصالح العام"، وقد كان نظام الخدمة الإجبارية معروفًا في مصر منذ عهد الفراعنة، وعند الرومان كان يعرف باسم الواجبات العامة (*munera*)، وكل يقوم به الميسرون ماليًا والقادرون جسمانيًا. وقد أُعفيّ المواطنون الرومان في مصر من الخدمات الإجبارية بمقتضى قانون "بابيا بوبايا" (*Lex Papia Poppaea*)، الذي صدر في سنة ٩م وأعطى بموجبه امتيازًا هامًا للمواطنين الرومان المتزوجين تمثل في إعفائهم من مختلف الخدمات الإجبارية، وكان الهدف من هذا القانون تشجيع الزواج والحد من العزوبيّة في المجتمع الروماني. وهكذا كان المواطنون الرومان يتمتعون بامتياز الإعفاء من تأدية الخدمات الإجبارية وتولى أعباء الوظائف الإجبارية في مصر عند بداية الحكم الروماني على الأقل.

ويشير أحد الباحثين إلى أن امتياز المواطنين الرومان الخاص بالإعفاء من الخدمات الإجبارية قد تقلص منذ منتصف القرن الثاني الميلادي على الأقل؛ ولذلك فإننا نجد بعض المواطنين الرومان يقومون بالخدمات الإجبارية الخاصة بجباية الضرائب عن طريق الالتزام؛ مما دفعهم إلى الحصول على مواطنة أنتينوبوليس، لكي يتمتعوا بامتياز إعفاء مواطني أنتينوبوليس من القيام بالخدمات الإجبارية خارج مدينتهم.

ولذلك كان المواطنون الرومان ومواطنو المدن الإغريقية يتهربون من الخدمة الإجبارية الخاصة بجباية الضرائب بكل السبل الممكنة، وكانوا يتذرعون بعدم قانونية ذلك الأمر؛ لأنهم لا ينتمون إلى عواصم الأقاليم، ولكونهم مواطنين رومان أو مواطنين إغريق في إحدى المدن الإغريقية، ولذلك فلا يجوز قانونيًا أن يقوموا بخدمات إجبارية في الريف، لأن الموطن هو الأساس في تولي الخدمات الإجبارية. وتشير إحدى الوثائق البردية من إقليم "كوبتوس" (*Koptos*) إلى تهرب المواطنين الرومان ومواطني المدن الإغريقية من القيام بالخدمات الإجبارية الخاصة بجباية الضرائب في الإقليم، وعلى أثر ذلك قام استراتيجوس إقليم كوبتوس المدعو "بطلميوس" بتقديم شكوى إلى الوالي "افيديوس هيليودوروس" (*Avidius Heliodorus*)، يشكو فيها تهرب هؤلاء المواطنون الرومان ومواطنو المدن الإغريقية من القيام بالخدمة الإجبارية الخاصة بجمع الضرائب في الإقليم الذي يرأسه.

أما مواطنو المدن الإغريقية فقد كانوا معفون فقط من الخدمات الإجبارية في الريف (leitourgi/ai xwri/kai)، وذلك وفقًا لنص مرسوم الوالي "تيبيريوس يوليوس إسكندر" الصادر في ٦ يوليو من عام ٦٨م، والذي أكد فيه حق السكندريين في الإعفاء من الخدمات الإجبارية في الريف، وأن هذا الحق سيتم الحفاظ عليه بشكل دائم، ويبدو أن هذا المرسوم صدر من الوالي لطمأنة وتهدئة السكندريين، الذين عُرفَ عنهم الشغب وسرعة الهياج والتمرد.

وقد جاء نص هذا المرسوم على النحو التالي:

"**جريًا على عادة الأباطرة في منح الهبات والعطايا فإن السكندريين المقيمين في الريف من أجل العمل، يجب ألّا يُجبروا على تأدية الأعمال التي يُجبر على تأديتها الأشخاص المقيمون خارج الإسكندرية، وأتعهد لكم بأنني أضمن لكم الحفاظ على حقكم في ذلك الأمر، حتى لا يُجبر السكندريين في هذه المدينة على القيام بعبء إلزامي من الأعباء التي يقوم بها الأشخاص من خارج الإسكندرية.**

أما المصريون فقد كانوا ملزمين بتأدية الخدمات الإجبارية للدولة دون مقابل مثل حفر الترع وشق القنوات وتعبيد الطرق وحراسة المحاصيل، بالإضافة إلى ذلك، فإنهم كانوا عرضة للقيام بأكثر من خدمة إجبارية طيلة حياتهم، وكان المسؤولون عن الخدمات الإجبارية يمارسون وسائل العنف والبطش ضد المصريين لإجبارهم على القيام بهذه الخدمات الإجبارية.

ويتضح فيما سبق، أن الإدارة الرومانية في مصر ميزت من الناحية القانونية بين طبقات الهرم الاجتماعي فيما يتعلق بالخدمات الإجبارية، وذلك على أساس المواطنة؛ فقد أعفت المواطنين الرومان إعفاءً كليًا من الخدمات الإجبارية وتولي الوظائف المحلية عند بداية الحكم الروماني لمصر على الأقل، وبعد ذلك أعفتهم من تأدية الخدمات الإجبارية في الريف، وأيضًا أعفت مواطني المدن الإغريقية من الخدمات في الريف، بينما ألقت هذا العبء كاملًا على كاهل طبقة المصريين.

الفصل السابع:

التعداد

مقدمة:

عرفت مصر التعداد منذ عصر الدولة القديمة (٢٧٨٠-٢٢٦٣ق.م)، ومنذ ذلك الوقت كان التعداد يتم بشكل سنوي، بهدف التأريخ وتحصيل الضرائب؛ فالنظام الضريبي في مصر في هذا الوقت كان قائماً على أساس التعداد المنتظم للحقول وقطعان الماشية والذهب، والتعداد الزراعي بشكل خاص قام به موظفون متخصصون، كانوا يقومون بقياس مساحات الأراضي الصالحة للزراعة، وعمل تقدير أولى عن نسبة الضرائب المحتمل تحصيلها من المحصول الذي سيزرع، وعندما يبدأ المحصول في النمو، فإن مفتشي الضرائب كانوا يضعون التقييم النهائي للضرائب على هذا المحصول(١).

التعداد في مصر في العصر البطلمي:

كان التعداد (ἀπογραφὴ) في العصر البطلمي أساسًا لفرض ضريبة الرأس على الأفراد، ويعود أقدم تعداد بطلمي إلى سنة ٢٣٩ق.م، أو إلى ٢٢٧ ق.م، وتعتقد "دوروثي تومسون" (*Dorothy Thompson*)، أن نظام التعداد البطلمي تم تطويره في عهد الملك "بطلميوس الثاني"، لكي يكون متوافقًا مع التطورات الاقتصادية والمؤسسية الشاملة التي قام بها "بطلميوس الثاني" في هذا الوقت(٢).

اهمية التعداد في مصر في عصر الرومان:

وبعد استيلاء الرومان على مصر أصبح التعداد أكثر أهمية من ذي قبل؛ لأن سياسة التمييز العنصري التي اتبعها الرومان في مصر اعتمدت بشكل أساسي

---

(١) D. A. Rosalie, *The Handbook to Life in Ancient Egypt*, (New York, 1998),93, 95; J. Malek, 'The Old Kingdom (c2686-2160BC), in I. Shaw (ed.), *The Oxford history of ancient Egypt* 5, (Oxford, 2000), 88, 95; B.M. Bryan, 'The 18th Dynasty before the amarna Period', in I. Shaw (ed.), *The Oxford history of ancient Egypt* 9, (Oxford, 2000), 256.

(٢) D. J. Thompson, 'Economic Reform in the Mid-Reign of Ptolemy Philadelpus', in P. Mckechnie, and P. Guillaume(ed.), *Ptolemy the Second Philadelphus and his World*, (Leiden, 2008) 29-30.

على التعداد؛ فمن خلاله استطاعت الإدارة الرومانية تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في الهرم الاجتماعي والتمييز بينهم في الحقوق والواجبات بشكل دقيق[١]، وتحديد الأفراد الذين ينتمون إلى الأوضاع القانونية والمالية العليا، وأولئك الأفراد الذين ينتمون إلى الأوضاع القانونية والمالية الدنيا في الهرم الاجتماعي[٢]، فضلًا عن ذلك كان التعداد أداة فعالة في تحصيل الدولة لمستحقاتها المالية بكفاءة عالية، خاصةً فيما يتعلق بضريبة الرأس[٣].

وعلى الرغم من استمرار الإدارة الرومانية في اتباع نفس الإجراءات التي كانت متبعة في إجراء التعداد في العصر البطلمي، إلا أنها قامت بإدخال تغيير خاص على التعداد تمثل في ربط التعداد بضريبة الرأس؛ بإجرائه كل أربعة عشر عامًا بدلًا من إجرائه بشكل سنوي، وبذلك تم ربط التعداد بالسن الإلزامي لدفع ضريبة الرأس بالنسبة للأفراد الذين ينتمون إلى الأوضاع القانونية والمالية الخاصة بطبقة المصريين- الذي كان يبدأ عند سن الرابعة عشر-، وبالتالي تم تحديد الأفراد الملزمين بدفع ضريبة الرأس وتمييزهم عن الأفراد الذين ينتمون إلى الأوضاع القانونية والمالية الخاصة بالمعفين إعفاءً كاملًا من ضريبة الرأس-المواطنين الرومان ومواطني المدن الإغريقية- وتمييزهم أيضًا عن الأفراد المعفين إعفاءً جزئيًا من ضريبة الرأس- مواطني عواصم الأقاليم[٤].

---

(١) H. M. Cotton, 'The Roman Census in the Papyri from the Judaean Desert and the Egyptian κατ οικιαν απογαφη' in: L. H. Schiffman(ed.), *Semitic Papyrology in Context*, (Leiden: 2003), 105-122 . 111.

(٢) T.V. Evans, and D. D. Obbink, *The Language of the Papyri*, (Oxford, 2010), 135.

(٣) Hübner, *The family in Roman Egypt,* 24; J. Rowlandson, *Women and Society in Greek and Roman Egypt: A Sourcebook*, (Cambridge University Press, 1998), 13.

(٤) Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 96; Bagnall, and Frier, *The Demography of Roman Egypt*,*2*;

وانظر أيضًا: نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ص ٢٢٥.

يرجع تاريخ أول تعداد سنوي موثق تم إجرائه في مصر تحت حكم الرومان إلى سنة ١٨/ ١٩ق.م.انظر:

P.Grenf. 1 45(19 and 18 BC Arsinoite)=*P.Lond*. III 646 = *W.Chr*. 200A.;

الاعلان عن التعداد:

ونظرًا لأهمية التعداد في تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في الهرم الاجتماعي، فإن الإعلان عن بدء إجراء التعداد كان يتم بواسطة الوالي (*Prefectus*) شخصيًا الذي كان يصدر مرسومًا خاصًا بهذا الشأن الهام[١]، وذلك في نفس السنة التي يُجْرى فيها التعداد أو في السنة السابقة لإجراء التعداد[٢]، وهذا المرسوم تضمن الإعلان الرسمي عن بدء التعداد، وحث الناس على تقديم إقرارات تعدادهم في الموعد المحدد إلى الموظفين المسؤولين عن عملية التعداد، كما تضمن هذا المرسوم بعض التوجيهات التي يجب أن يتبعها المسؤولون عند إجراء التعداد[٣].

وقد اختلف الباحثون حول أول تعداد تم إجرائه وفقًا لدورة الأربعة عشر عامًا، فالبعض يرى أن ذلك يرجع إلى سنة ١٩-٢٠م، بينما يرى محررو بردية(*P.Oxy.* II. 256)، أن ذلك يرجع إلى سنة ٦ م أو إلى ٢٠ م أو ربما إلى ٣٤ أو ٣٥م ، ويرى كل من "جرينفل" و"هنت" في مقدمة بردية (*P.Oxy.* II 254) أن ذلك يرجع إلى سنة ٩-١٠ق.م، بينما يرى آخرون أن ذلك يرجع إلى سنة ١٢/١١م، أما بالنسبة لآخر تعداد، فإن البعض يرى أنه تم في سنة ٢٥٨/٢٥٧م، بينما يرى آخرون أنه تم في سنة ٢٤٤/٢٤٣م، وأيًا كان تاريخ آخر تعداد، فإن "ديوقلديانوس" قام في سنة ٢٨٧ م بعمل تعداد يتم كل خمس سنوات، ثم بعد ذلك قام بإدخال تعداد آخر تم كل خمس عشرة سنة في سنة ٣١٢م. انظر:

P. Oxy. II. 256(ca. 34 Oxyrhynchos); Grenfell and A.S. Hunt, *The Oxyrhynchus Papyri. Published by the Egypt Exploration Society in Graeco-Roman Memoirs.Vol II*,(London, 1899), 210-212; Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 96-97; R. S. Bagnall, 'The Beginings of the Roman Census in Egypt', in R. S. Bagnall(ed.), *Hellenistic and Roman Egypt: Sources and Approaches* XIII, (Hampshire, 2006), 255; Bagnall, and Frier, *The Demography of Roman Egypt*, *2;* Gambetti, *The Alexandrian Riots of 38 CE and the Persecution of the Jews,* 65; Hübner, *The family in Roman Egypt*, 24-25.

(١) *P.Hamb.* I 60(10.Dez.90)= *C.Pap.Jud.* III 485;

وانظر أيضًا: نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٢٢٥.

(٢) Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 101.

(٣) Bagnall, and Frier, *The demography of Roman Egypt*, 11.

ويُعد مرسوم الوالي "جايوس فيبيوس ماكسيموس" (*Gaius Vibius Maximus*)، من مراسيم الولاة التي تتعلق بالإعلان عن بدء إجراء التعداد، وصدر هذا المرسوم في ٧ أغسطس سنة ١٠٤م[١]:

"**جايوس فيبيوس ماكسيموس والي مصر يعلن عن بدء التعداد منزل منزل، ومن الضروري على كل الغائبين عن أقاليمهم أن يعودوا إلى منازلهم، لكي يقوموا بالإجراءات المتعارف عليها للتسجيل، ولكي يقوموا بتكريس جهودهم للزراعة الخاصة بهم. مع العلم أن بعض الأشخاص القرويين تحتاج إليهم مدينتنا (الإسكندرية)، أتمنى أن هؤلاء الذين يعتقدون أن لديهم أسباب مقنعة للبقاء هنا، أن يسجلوا أنفسهم عند " فولويسيوس فيستوس" (*Volusius Festus*) قائد سلاح الفرسان، الذي كلفته للقيام بهذه المهمة، وأولئك الذين أبدوا أن بقائهم ضروريًا في المدينة يجب أن يحصلوا على تصاريح موقعة من القائد "فيستوس" في غضون مدة أقصاها ثلاثون يومًا من الشهر الحالي(أبيب)، أما من ليس لديهم أسباب للبقاء في المدينة عليهم أن يعودوا إلى منازلهم في غضون نهاية الشهر الحالي بحد أقصى، ومن سيخالف ذلك سيتعرض للعقاب...**" [٢].

وفورَ صدور مرسوم الوالي كان كل مالك منزل ملزم بعمل إقرار تعداد عن المنزل الذي يمتلكه، وحتى أولئك الأشخاص المُعْفون من دفع ضريبة الرأس، كانوا ملزمين بذلك سواء عن أنفسهم أو عن الأشخاص المقيمين معهم في نفس المنزل أو في منزل آخر يمتلكونه[٣].

---

(١) Hübner, *The family in Roman Egypt,* 24.

(٢) *P.Lond*. III. 904(104 A.D)=*W.Chr*. 202; *Sel.Pap*.II.220.

ترجمة المرسوم، نقلًا عن، نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ص ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) كان إقرار التعداد في مصر في عصر الرومان يعرف بمصطلح (λαογραφὴ)، أو (ἀπογραφὴ)، ولكن المصطلح الأخير، كان الأكثر استخدامًا في إقرارات التعداد، وهذا المصطلح كان يرد كثيرًا في صيغة "تعداد منزل تلو الآخر" (κατ'οἰκίαν ἀπογραφὴ). انظر:

BGU I 54 (AD 161 Arsinoite); *BGU* I 119 (AD175 Arsinoite); *BGU* I 53(AD 133 Arsinoite); BGU I 55 (AD 175 Arsinoite); *BGU* I 57 R (AD 161 Arsinoite); *BGU* I 59 (AD 174/5 Arsinoite); *BGU* I 90 (AD 161 Arsinoite); *BGU* I 95 (AD147 Arsinoite);

إقرارات التعداد:

وكان إقرار التعداد عبارة عن تقرير (κατ'οἰκίαν ἀπογραφὴν ,ἀπογραφὴ)، شامل ومفصل عن كل سكان المنزل، وإذا كان المالك يقيم في نفس المنزل الذي يقدم عنه الإقرار، فإنه كان يكتب إقرار تعداد يشمل تقريرًا وافيًا عن نفسه وعن الآخرين المقيمين معه في المنزل[1]، أما

BGU I 116 (AD189 Arsinoite); *BGU* I 117(AD189 Arsinoite); *BGU* I 118 Kol. I and Kol.II and Kol. III (AD189 Arsinoite); *Sel.Pap*. II. 313(A.D 189)= *P. Tebt*.II. 321.; *P. Tebt*.II. 322. ; *P.Oxy*. II 254; *P.Oxy*. II 255= *W.Chr*. 201; *P.Oxy*. II 256; *BGU* 1 60(ca. Juni – Aug. 189); *P.Lond*. II 261, S. 53 = *W.Chr*. 61; Bagnall, and Frier, *TheDemography of Roman Egypt*, 12; Evans, and Obbink, *The Language of the Papyri*, 124.

ولعل تغير دلالة أو معنى كلمة (λαογραφὴ) من العصر البطلمي إلى العصر الروماني، تشير بشكل واضح إلى الارتباط القوي بين التعداد وضريبة الرأس في العصر الروماني، فالتعداد في العصر الروماني أصبح أساسًا لفرض ضريبة الرأس وجمعها من السكان. انظر:

Hübner, *The family in Roman Egypt,* 24.

(1) Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 98–99;

وقد بلغ عدد إقرارات التعداد التي عثرّ عليها إلى الآن حوالي أربعمائة إقرار، معظمها اكتشف في مصر الوسطى، وقد قام الأستاذ "باجنال" والأستاذ "فرير" بتناول ثلاثمائة وأربعة إقرار من هذه الإقرارات في كتابهما الموسوم بديموجرافيا مصر الرومانية.انظر:

Hübner, *The family in Roman Egypt,* 24; Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt: ASocial History*, 213.

وكان إقرار التعداد (κατ'οἰκίαν ἀπογραφὴν)، ينقسم إلى خمسة أجزاء رئيسية، الجزء الأول كان خاص بمخاطبة الموظفين المعنيين بالتعداد، وهؤلاء الموظفون اختلفوا من إقليم إلى آخر. والجزء الثاني كان خاصًا باسم ومحل إقامة مالك المنزل، وكان يتم تحديد محل إقامة المالك بشكل أكثر تحديدًا، إذا كان المالك من المقيمين في المدينة، لأن عدد سكان المدينة كان أكثر من عدد سكان القرية، ولذلك كان على مقدم إقرار التعداد أن يحدد الشارع الكائن فيه المنزل ورقمه، وقد يختلف محل إقامة المالك عن عنوان المنزل الذي يقدم عنه إقرار التعداد. والجزء الثالث احتوى على أسماء وأوصاف المقيمين في المنزل، وصلة النسب وعلاقة الزواج، والسن والأوصاف البدنية، وأي تغيير لمحل الإقامة أو حدوث حالة وفاة أو ميلاد أطفال بعد آخر تعداد، والجزء الرابع: شمل على القسم، وفيه كان مقدم الإقرار يقسم بأن البيانات الواردة في الإقرار صحيحة، وصيغة القسم اختلفت من إقليم إلى آخر، والجزء الخامس كان خاصًا بتاريخ كتابة الإقرار.انظر:

BGU I 111 (AD138/9 Arsinoite); Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 100–104.

إذا كان مالك المنزل لا يقيم في المنزل الذي يقدم عنه الإقرار، فإنه كان يكتفي فقط بتقديم تقرير شامل عن المقيمين في المنزل من المستأجرين، وفي هذه الحالة، كان الإقرار يعرف بمصطلح (γραφὴἐνοικίων)[1].

ويظهر دور إقرارات التعداد في تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في احتوائها على بيانات دقيقة وواضحة عن أسماء وأعمار وجنس وممتلكات الأفراد

---

(1) *BGU. I*. 182 (II spc Arsinoite)=*SB* XX 14328 Z. 1 – 15; *BGU*. III 6, 123, 138; *P. Tebt*. II. 321; *P. Lond*. III. I II9 a (p. 25); *P.Oxy* II. 254, 255, 256; *P. Ryl*. II. 285; S. L. Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 99.

وانظر أيضًا: نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٢٢٦-٢٢٧.

وفي عدد من الوثائق البردية نجد أن مقدمي إقرار التعداد، كانوا يقرون بأن المنزل الذي يمتلكونه شاغرًا من الناس. انظر:

BGU I 119 (AD175 Arsinoite); *BGU* I 118 Kol. II(AD189 Arsinoite).

وقد اختلفت إقرارات تعداد إقليم "منف" عن باقي إقرارات الأقاليم الأخرى، حيث كانت إقرارات تعداد منف تتم بواسطة المستأجر وليس المالك، وكان المستأجر في إقراره يقر بأن مالك المنزل هو المسؤول عن دفع ضريبة الرأس المفروضة على المستأجرين المقيمين في المنزل. انظر:

Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 98-99, 101.

عن إقرارات التعداد التي تقدم بها المستأجرون في منف: انظر:

P. Lond. III. 915(AD160/1 Memphis); 919 b(AD175 Memphis); *BGU.* III. 833(AD174 Memphis); *P. Cair. Goodsp.* 10 (AD180 Memphis).

وفي الواقع لم يتوقف تقديم إقرارات التعداد على المالك الفعلي للمنزل فقط، بل كان يتم تقديمه من خلال الوصي القانوني على القاصر، إذا كان مالك المنزل قاصرًا، وأحيانًا أخرى كان يتم تقديم إقرار التعداد بواسطة العبيد، وذلك في حالة غياب أسيادهم عن المنزل، وكان أيضًا للمرأة الحق في تقديم إقرار التعداد مع زوجها، إذا كانت مالكةً للمنزل، أما إذا كانت أرملة أو مطلقة، فقد كانت المرأة تقوم بتقديم إقرار التعداد مع الوصي القانوني عليها أو بنفسها دون الحاجة إلى وصي يشاركها القيام في هذا الأمر، وقد يشترك أكثر من شخص في تقديم إقرار التعداد، فأحيانًا كان الزوج والزوجة يشتركان في تقديم إقرار التعداد، وأحيانًا أخرى كان ثلاثة أخوة يشتركون في تقديم إقرار التعداد. انظر:

Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 100-101.

من أمثلة إقرارات التعداد المشتركة، نجد أن هناك إقرار تعاد تقدم به زوج وزوجته من هرموبوليس ماجنا، يرجع هذا الإقرار إلى سنة ٢٣١م. انظر:

P. Lond. III. 946, (AD231 Hermoupolis Magna).

المقيمين في المنزل سواء أكانوا نساءً أو أطفالاً أو شيوخًا أو عبيدًا أو من المعتقين، وكذلك ما يمتلكونه من أملاك–عبيد وماشية وأغنام وإبل– والحرفة التي يمارسونها، والحي الذي يقطنون فيه ودرجة القرابة بين كل منهم، والوضع القانوني والمالي الخاص بهم، وذلك لتحديد موقفهم من الامتيازات المالية خاصة فيما يتعلق بالإعفاء من ضريبة الرأس سواء بشكل كلي أو جزئي(١).

النساء في اقرارات التعداد:

ونظرًا لاختلاف الأوضاع القانونية والمالية للرجال عن النساء خاصةً في طبقة المصريين، كان يتم أحيانًا الفصل بين الرجال والنساء في إقرارات التعداد؛ لأن النساء بشكلٍ عام والمصريات بشكلٍ خاص كن معفيات من دفع ضريبة الرأس، وهذا الفصل كان واضحًا في بعض إقرارات تعداد إقليم "أوكسيرينخوس"– البهنسا في بني سويف حاليًا–، ويبدو أن هناك هدف آخر لهذا الفصل تمثل في تسهيل مهمة مكاتب التعداد في عمل قوائم بالأفراد الخاضعين قانونيًا لدفع ضريبة الرأس(٢).

أهمية الموطن في اقرارات التعداد:

وقد أظهرت إقرارات التعداد الارتباط الواضح بين الأوضاع القانونية والمالية للأفراد من ناحية وبين الموطن من ناحية أخرى؛ فمواطنو المدن الإغريقية الأربعة كانوا يتمتعون بامتيازات قانونية ومالية عديدة لم يتمتع بها المصريون، لأن موطنهم القانوني هو إحدى المدن الإغريقية الأربعة، وكذلك الأمر نفسه بالنسبة لمواطني عواصم الأقاليم الذين تمتعوا بامتيازات ضريبية هامة لم يتمتع بها باقي أفراد طبقة المصريين، لأن موطنهم القانوني هو أحد أحياء المتروبوليس، ولذلك فإن الإدارة الرومانية كانت تلزم مقدمي إقرارات التعداد بتقديم إقراراتهم في موطنهم القانوني حتى يتم تحديد وضعهم القانوني والمالي داخل الهرم الاجتماعي، وكانت تناشد الأفراد المتغيبين عن مواطنهم القانونية بالعودة إليها لتقديم إقرارات تعدادهم(٣).

---

(١) زكي علي، مقننة الإديولوجوس، ص ٢٢٨.

(٢) Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 102.

(٣) Hübner, *The Family in Roman Egypt*, 24– 25;

الاستخدامات المختلفة لاقرارات التعداد:

واستطاعت الإدارة الرومانية من خلال إقرارات التعداد أن تعد قوائم دقيقة بالأفراد المسؤولين عن دفع ضريبة الرأس وإعداد قوائم أخرى بالأفراد المعفين منها وإعداد قوائم ثالثة بالأفراد المسؤولين عن تأدية ضرائب الرؤوس الأخرى، ولذلك كانت إقرارات التعداد في الغالب تسبق عملية جباية ضريبة الرأس، فضلًا عن ذلك فإن هذه الإقرارات استخدمت في دراسة المجموعات المحلية، ودراسة التعقيد الأسرى وأنماط الزواج في ذلك الوقت، ويدلل على ذلك أن إقرارات التعداد كانت تشمل أشخاص غير ملزمين بدفع ضريبة الرأس مثل النساء والأطفال والشيوخ فوق سن الثانية والستين(١).

التعداد الخاص بالمواطنين الرومان:

ونظرًا لتمييز الإدارة الرومانية بين الأوضاع القانونية والمالية للمواطنين الرومان عن الأوضاع القانونية والمالية للطبقات الأخرى في الهرم الاجتماعي، فإن المواطنين الرومان كان لهم تعداد خاص بهم عن بقية السكان، ومنها تعداد سنة ٤٨/٤٧م، وهو التعداد الوحيد من بين التعدادات الخاصة بالمواطنين الرومان الذي وصلتنا منه إقرارات تعداد تقدم بها مواطنون رومان إلى المسؤولين عن عملية التعداد لتحديد وضعهم القانوني والمالي في الهرم الاجتماعي(٢).

العقوبات المفروضة على المتخلفين عن تقديم اقرار التعداد:

وكانت الإدارة الرومانية في مصر حريصة على تقديم إقرارات التعداد في الوقت المحدد لها، وذلك لأهميتها في التمييز بين الأفراد وتحديد وضعهم القانوني والمالي في المجتمع، وفرضت عقوبات رادعة على الأفراد الذين لم يتقدموا بإقرارات

---

(١) *BGU* I 111 *(AD138/9 Arsinoite)*; Hübner, *The Family in Roman Egypt*, 24;

(٢) *PSI* XI 1183*(AD 47/8 Oxyrhynchus)*= *P.Thomas* 6= *FIRA III* 8= *C.Pap.Lat.* 170= *ChLA XXV* 785; D. Rathbone, 'PSI XI 1183: A Record of a Roman Census Declaration of AD 47/8', in T. Gagos & R.S. Bagnall (eds), *Essays and Texts in Honor of J. David Thomas,*American Society of Papyrologists 42, (2001), 99 – 113; Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 251.

تعدادهم إلى المسؤولين عن التعداد، ونصت القاعدة الثامنة والخمسين من قواعد الخزانة الخاصة على عقوبة مصادرة ربع أملاك الأفراد الذين لم يقدموا إقرارات تعدادهم، وجاء ذلك على النحو التالي:

" **الأشخاص الذين لم يسجلوا أنفسهم في التعداد المنزلي ولم يسجلوا الأشخاص الملزمين بتسجيلهم تصادر ربع أملاكهم، وإذا لم يتقدموا بإقرارات تعدادهم في تعدادين متتاليين، يعاقبوا بضعف العقوبة السابقة**"(١).

ويبدو لنا من خلال هذه القاعدة القانونية أن العقوبة التي فرضتها الإدارة الرومانية على الأشخاص الذين تخلفوا عن تقديم إقراراتهم ومن يقيمون معهم في أحد التعدادات كانت مصادرة ربع الأملاك، أما إذا تأخر مقدم الإقرار عن تقديمه لمده دورتين متتاليتين للتعداد فإن العقوبة كانت تتضاعف وتصبح مصادرة نصف الأملاك بدلًا من الربع، ويرجح البعض أن هذه العقوبة كانت خاصة بالأفراد الذين ينتمون إلى الوضع القانوني والمالي لطبقة المصريين، وذلك لأهمية إقرارات تعدادهم في ضمان حق الدولة في تحصيل مستحقاتها من الضرائب وإلزامهم بتأدية الخدمات الإلزامية(٢).

أما الأفراد الذين ينتمون إلى الوضع القانوني والمالي لطبقة الرومان وطبقة السكندريين يعاقبون بمصادرة ربع أملاكهم، إذا لم يقروا في إقرارات تعدادهم بالأشخاص المسؤولين عنهم، وذلك وفقًا للقاعدة القانونية التاسعة والخمسين من قواعد الخزانة الخاصة نصت على الآتي:

---

(١) *BGU* V *1210(cAD150 Theadelphia)* LL. 150-152; Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*,715.

وراجع أيضًا: زكي على، مقننة الاديولوجوس، ص ٢٢٧.

(٢) زكي علي، مقننة الإديولوجوس، ص ٢٣١.

"**الرومان والسكندريون الذين لم يسجلوا أولئك الأشخاص المسؤولين عن تسجيلهم في التعداد، سواء شخص واحد أو أكثر، يعاقبون بمصادرة ربع أملاكهم**"(١).

وأيضًا كانت هناك عقوبة خاصة على الأفراد الذين لم يقروا في إقرارات تعدادهم بالعبيد الذين يمتلكونهم، حيث نصت القاعدة القانونية الستون من قواعد الخزانة الخاصة على مصادرة العبيد في حالة عدم إقرار المالك في إقرار تعداده بما يمتلكه من عبيد، وجاء ذلك كالآتي:

"**أولئك الذين أخفقوا في تسجيل عبيدهم في سجل التعداد، يعاقبون بمصادرة العبيد فقط**"(٢).

وقد كانت كتابة إقرارات التعداد تتم وفقًا لتعليمات الوالي، حيث كان مقدمو إقرارات التعداد يشيرون في الغالب إلى ذلك الأمر عند كتابة إقراراتهم(٣)، ومن هذه الإقرارات إقرار تعداد يعود تاريخه إلى سنة١٤٧م، ونصه:

"**إلى "يوليوس ساتورنيوس" (*Julius Saturninus*) استراتيجوس إقليم هيراكليوبوليس (*Heracleopolite*)، من "بيتيسوخوس" (*Petesouchus*) بن "بيسويتيس" (*Pisoitis*) و "ثينامينيوس" (*Thennmenneus*)، من قرية انكيرونون (*Ancyronon*)، قَدمتُ إقراري عن السنة التاسعة من حكم سيدي "انطونيوس قيصر" (*Antoninus Caesar*)، وفقًا لتعليمات الوالي "فاليريوس بروكلوس" (*Valerius Proclus*)، أملك نصف منزل وفناء، وأبلغ من العمر ٤٢ عامًا دون علامة مميزة، وزوجتي "تاوسيريس" (*Tausiris*) بنت "باريتيوس" (*Pareitis*) تبلغ من العمر ٣٤ عامًا، وابني "بينيفيروس" (*Pnephoros*) يبلغ**

---

(١) *BGU* V *1210(cAD150 Theadelphia)* LL.153-154; Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*,715.

وراجع أيضًا: زكي على، مقننة الاديولوجوس، ص ٢٣١.

(٢) *BGU. V. 1210(cAD150 Theadelphia)*.L.155.

وراجع أيضًا: زكي على، مقننة الاديولوجوس، ص ٢٣١.

(٣) Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 101.

من العمر ١٧ عامًا، وابني الآخر "بسنامونيس" (*Psenamounis*) يبلغ من العمر خمسة أعوام، دون علامة مميزة، واملك أيضًا عقارات أخرى في القرية المذكورة، وزوجتي " تاوسيريس "(*Tausiris*) تملك عقارات أخرى هناك"[١].

اهم البيانات الواردة في إقرار التعداد:

ويعكس لنا هذا الإقرار مدى الدقة والعناية الفائقة التي اتبعت في كتابة إقرارات التعداد، فالمُقَر ذكر اسمه وعمره وما يملكه، ثم ذكر أسماء من يعيشون معه في المنزل وأعمارهم وصلة القرابة بينه وبينهم والعلامات المميزة لهم، وأكد على الوضع القانوني والمالي المميز الذي تمتع بها بعض هؤلاء الأفراد وأن بعضهم تقدم لعملية الفحص في وقت سابق على وقت تقديم إقرار التعداد.

وقد حرص مقدمو إقرارات التعداد على بيان وضعهم القانوني والمالي في إقراراتهم حتى يتمكنوا من الحصول على امتياز دفع ضريبة الرأس بقيمتها المخفضة لأنفسهم ولأبنائهم؛ فمن خلال إحدى إقرارات التعداد التي تعود إلى سنة ١٨٩م نجد أن مقدم إقرار تعداد يدعى "أخيليوس" (*Achilleus*)، تقدم بإقراره مبينًا انتمائه إلى الوضع القانوني والمالي الخاص بطبقة الكاتويكوي (*Katoikoi*)؛ وهذا جزء مقتبس من إقرار التعداد[٢]:

"**أنا أبوللونيوس** (*Apollonios*) **أدعى أيضًا ديوجينيس** (*Diogenes*)، **وَقَعْتَ. إلى أمونيوس** (*Ammonios*) **استراتيجوس قسم هيراكليديس** (*Herakleides*) **التابع لإقليم أرسينوي** (*Arsinoite*)، **وإلى هاربوكراتيون** (*Harpokration*) **أيضًا يدعى هيراقس** (*Hierax*)، **الكاتب الملكي في نفس القسم، وإلى ميستيس** (*Mysthes*) **وهيرون** (*Heron*)، **الكتبة السابقين للميتروبوليس، من أخيليوس** (*Achilleus*) **بن أبوللونيوس** (*Apollonios*) **بن**

---

(١) *Sel.Pap.* II*. 312(AD147 Hibeh).=P. Baden IV 75 b ; P.Tebt.* II *321.*

(٢) *P.Tebt., II.322(AD189 Tebtynis)=Sel. Pap. II 313*; Wallace, *Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian*, 100.

لوروس (*Lourios*) **أيضًا ادعى أبوللونيوس** (*Apollonios*)، **مسجل كاتويكوى** (*Katoikos*) **في التعداد، وسُجلت بالفعل في مذكرة أخرى، أنني أمتلك في قسم مويريوس** (*Moeris*) **جزء من منزل وصالة مفتوحة، وفناء ....**"[١].

وفي نفس الإقرار نجد " أخيليوس" (*Achilleus*) يقوم بعد ذلك بتوضيح الوضع القانوني والمالي الخاص بالأفراد المقيمين معه في المنزل وموقفهم بشكلٍ خاص من دفع ضريبة الرأس، حيث قال:

"....**أتقدم بإقرار إضافي عن المقيمين الحاليين في هذا المنزل في تعداد منزل تلو الآخر في العام الثامن والعشرين من حكم السيد أوريليوس كومودوس انتونينوس قيصر** (*Aurelius Commodus Antoninus Caesar*)، **وهؤلاء كانوا من قبل من سكان المتروبوليس المسجلين في الحي السوري، وتقدموا بإقرارات تعداد منزل تلو الآخر في العام الرابع عشر من حكم القيصر. وهم باسيجينيس** (*Pasigenes*) **بن ثيون** (*Theon*) **بن إيوتيخويس** (*Eutyches*)، **خاضع لضريبة الرأس**(*laographia*) ، **سائق حمير، عمره ٦١عامًا، وابنه يوتيخوس** (*Eutychos*)، **ووالدته ابوللونيوس**(*Apollonous*) **ابنة هيرودس** (*Herodes*)، **عمرها ثلاثون عامًا، وهي زوجة باسيجينوس** (*Pasigenes*)، **هراكليا** (*Herakleia*) **بنت كرونيون** (*Kronion*)، **معتقه من ديديموس** (Didymos) **بن هيرون** (*Heron*)، **من حي الخزانة**(*Treasuries*) ، **وعمرها أربعون عامًا، وابنتهم ساسيس** (*Thasis*)، **عمرها خمس سنوات، وأطفال هيراكليا** (*Herakleia*) **هم سابيني** (*Sabinos*) **بن سابينيس** (*Sabinos*) **بن كرونيوس** (*Kronion*)، **خاضع لضريبة الرأس، صانع صوف، عمره ثمانية عشر عامًا، سارابيس** (Sarapias)، **اثنان وعشرون عامًا، سُجَلت في التعداد السابق في حي الخزانة** (*Treasuries*)، **زوجة يوختيس** (*Eutyches*)، **شقيقته من ناحية الأب، تابيسوريس** (*Tapesouris*) **بنت ازيدورا** (*Isidora*)، **عمرها ثمانية عشر عامًا. وبناءً على ذلك قدمت الإقرار.**

---

(١) *P.Tebt., II.322(AD189 Tebtynis)* LL. 1-9.

تابيسوريس (*Tapesouris*) تمتلك في حي موريس ستة أسهم في منزل، ورثته عن أمها. السنة التاسعة والعشرين من حكم السيد أوريليوس كومودوس انتونينوس قيصر، الرابع من مسرى من الأيام الكبيسة. (الكتبة المسجلين) سُجِلَ لدى الاستراتيجوس، السنة التاسعة والعشرين، الرابع من مسرى من الأيام الكبيسة. سُجِلَ لدى الكاتب الملكي في نفس اليوم. سُجِلَ لدى كتبة المتروبوليس في نفس اليوم[١].

يتضح لنا من خلال هذا الجزء من الإقرار أن الأشخاص الذين تقدم أخيليوس" عنهم بإقرار التعداد كانوا من سكان المتروبوليس ومسجلين في إحدى أحيائه وخاضعين لضريبة الرأس بقيمتها المخفضة، وبالتالي فهم ينتمون إلى الوضع القانوني والمالي الخاص بطبقة مواطني عواصم الأقاليم[٢]، ويبدو من هذا الإقرار أن أخيليوس كان حريصًا على بيان الوضع القانوني والمالي للنساء اللاتي جاء ذكرهن في الإقرار– رغم إعفائهن من دفع ضريبة الرأس– لأهمية ذلك في حصول أبنائهن في المستقبل على وضع قانوني ومالي مميز في الهرم الاجتماعي، خاصةً أن الحصول على هذا الوضع كان يتوقف على انحدارهم من نسل مواطني عواصم الأقاليم من ناحية الأب والأم[٣].

ومن إقرارات التعداد الأخرى التي حددت الأوضاع القانونية والمالية للأفراد، إقرار تعداد يعود تاريخه إلى سنة ١٨٩م من إقليم "أرسينوي" تقدم به شخص غير معروف– لأن الجزء الخاص باسم مقدم الإقرار مبتور–، نجد فيه أن مقدم الإقرار يقر بأن أحد المقيمين في المنزل من المنتمين إلى الوضع القانوني والمالي لطبقة مواطني عواصم الأقاليم ومن سكان المتروبوليس ومسجل في حي الجيمنازيوم وخاضع لدفع ضريبة الرأس، وجاء نص الإقرار كالآتي:

---

(١) *P.Tebt., II.322(AD189 Tebtynis)* LL. 10–31.

(٢) *P.Tebt.*, II.322(AD189 Tebtynis)=*Sel. Pap.* II 313.

(٣) Evans, and Obbink, *The Language of the Papyri*, 135–136.

"أقدم إقرار.... تعداد منزل تلو الآخر في السنة الثامنة والعشرين من حكم السيد انتونينوس قيصر(*Antoninus*ب*Caesar*)، في حي الجيمنازيوم (*Gymnasium*)، وأيضًا تقدمت بإقرار تعداد (لهم) في التعداد السابق منذ أربعة عشر عامًا، هم ديديموس (*Didymos*) بن سارابيون (*Sarapion*) بن سوخوس (*Souchas*)، أمه هيلينى (*Helene*)، خاضع لضريبة الرأس، واحد وعشرين عامًا، أسجل زوجته، التي هي شقيقته من نفس الأب والأم، وثيرموساريون (*Thermoutharion*)،...عامًا، وأطفالهما، كلاوديوس(*Claudius*)، ولد في السنة الحالية، ...، ولذا أقدم هذا الإقرار. في السنة التاسعة والعشرين من حكم السيد "أوريليوس كومودوس انتونينوس قيصر"(*Aurelius Commodus Antoninus Caesar*)، ٢٨ من مسرى"[١].

ومن خلال إقرار تعداد تقدمت به امرأة تدعى ثيرموساريون (*Thermoutharion*) مع الوصي القانوني عليها- ابوللونيوس (*Apollonios*)- من إقليم "أوكسيرينخوس"، تتضح لنا الأوضاع القانونية والمالية للأفراد الوارد ذكرهم في إقرار التعداد، وقد جاء نص الإقرار كالآتي:

"إلى دوريون (*Dorion*)، الاستراتيجوس، وإلى ابوللونيوس (*Apollonios*)، السكرتير الملكي، وإلى كل من ديديموس (*Didymos*) وأبوللونيوس (*Apollonios*)، سكرتيري الأقسام والقرى، من ثيرموساريون (*Thermoutharion*) بنت ثيونيس (*Thoonis*)، مع وليها أبوللونيوس (*Apollonios*) بن سوتاديس (*Sotades*) يُقيم أشخاص في منزلي خلف الممر .... ثيرموساريون، معتقه من سوتاديس (*Sotades*) المذكور أنفًا، تبلغ خمسة وستين عامًا من العمر، متوسطة الطول، لون بشرتها عسلي، جبهتها عريضة، بها ندبه في الركبة اليمنى. ثيرموساريون المذكورة أنفًا، مع سيدي ابوللونيوس (*Apollonios*)، أقسم بالإمبراطور تيبيريوس كلاوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس (*Tiberius Claudius Caesar Augustus Germanicus*)، بأن

---

(١) *BGU*. I. 120 (AD189 Arsinoite)

صحتها وحريتها أفضل حالا من الباقيين الذين يعيشون معي، وأنه لا يوجد أحد آخر يعيش معي، لا أجنبي ولا مواطن سكندري ولا معتق ولا مواطن روماني ولا مصري باستثناء أولئك الذين ذكروا أعلاه. إذا أقسمت بصدق، قد يكون جيدًا بالنسبة لي، وإذا حنثت بقسمي، فإن العكس. في السنة التاسعة من حكم الإمبراطور تيبيريوس كلاوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس،...."(١).

ومن خلال هذا الإقرار يظهر التمييز في الأوضاع القانونية والمالية بين كل ما هو مصري (Αἰγύπτιον) وسكندري (Ἀλεξανδρέα) وروماني (Ῥώμαν)، ومن الواضح أن الأوضاع القانونية والمالية لمعظم هؤلاء الأشخاص خاصة بأفراد ينتمون إلى طبقة المصريين، لأن ثيرموساريون أقرت في نهاية الإقرار بأنه: "**.... ولا مصري (Αἰγύπτιον) باستثناء أولئك الذين ذكروا أعلاه**"(٢).

المهنة كاحد أهم بيانات إقرار التعداد:

ونظرًا لأن بعض المهن كان يتمتع القائمون بها ببعض الامتيازات المالية فإن المهنة كانت من أهم البيانات التي حرص مقدمو إقرارات التعداد على إثباتها في إقرارات تعدادهم(٣)، خاصةً الكهنة، والمعلمين، والجنود، تلك المهن التي كان يعفى القائمون بها من دفع ضريبة الرأس ومن الخدمات الإلزامية(٤)، في حين أن النساء لم يحرصن على ذكر المهنة في إقرارات التعداد، لأنهن كن معفيات بشكل رسمي من دفع ضريبة الرأس والخدمات الإلزامية(٥).

ويقدر "هوبكنز" (*Hopkins*) نسبة إقرارات التعداد التي ذكرت فيها المهنة بحوالي ٢٤% من إجمالي إقرارات التعداد التي وصلت إلينا، وأن ما يقرب من

---

(١) *P.Oxy.* II 255(AD48 Oxyrhynchus)= *W.Chr.* 201; Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*, 243-248.

(٢) P.Oxy. II 255(AD48 Oxyrhynchus)LL. 22-23.

(٣) W.E.H. Cockle, 'State Archives in Graeco-Roman Egypt from 30 BC to the Reign of Septimius Severus', *JEA* 70 (1984), 120.

(٤) Fischer-Bovet, in Ziche (ed), *Identity and Identification in Antiquity*, 4.

(٥) C.A.Nelson, 'Census Returns from Arsinoe', *ZPE* 9(1972), 253.

نصفها، احتوت على مهن مثل: ملاك الأراضي، والمزارعين، والكهنة، والنصف الأخر منها شملت مهن أخرى مثل: الحرفيين، والعمال غير المهرة، والنساجون، وسائقي الحمير، والحفارين، والحدادين[١].

اقرارات تعداد المعلمون:

فالمعلمون كانوا يثبتون مهنتهم في إقرارات تعدادهم، لكي يتمتعوا بالإعفاء من تأدية الخدمات الإلزامية، والإعفاء من ضريبة الرأس، مثلهم في ذلك مثل الخطباء والفائزين في المسابقات الرياضية والفلاسفة، وعلماء الموسيون (المجمع العلمي) في الإسكندرية، بالإضافة إلى ذلك فإن بعض كبار المسؤولين في إدارة الأقاليم وتقسيماتها الإدارية الأصغر، كانوا يعفون من ضريبة الرأس والخدمات الإلزامية[٢].

اقرارات تعداد الرياضيون:

وكان الرياضيون الفائزون في الألعاب، يذكرون في إقرارات تعدادهم تمتعهم بالإعفاء الكامل من دفع الضرائب، ففي إحدى إقرارات التعداد، التي تعود إلى سنة ١٧٥م، نجد شخص يدعى أمونيوس" (*Ammonios*) من إقليم "أرسينوي"، أقر بأنه من طبقة الفائزين في الألعاب المقدسة، وأنه مُعفى من دفع الضرائب، وجاء نص الإقرار كالتالي:

"... **سُجلت في تعداد منزل تلو الآخر منذ أربعة عشر عامًا، الذي فيه لم يسجل أحد، لذا قدمت هذا الإقرار في السنة الخامسة عشر من حكم السيد "أوريليوس انتونينوس قيصر"** (*Aurelius Antoninus Caesar*) **، اليوم الكبيس الثالث من مسرى، أنا...، الملقب "أمونيوس"** (*Ammonios*)**، من طبقة الفائزين في الألعاب المقدسة، المعفون من الضرائب، قدمت هذا الإقرار**"[٣].

---

(١) K. Hopkins,'Brother–Sister Marriage in Roman Egypt', *CSSH* 22 (1980),316.

(٢) محمد السيد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ص ٢٣٠؛ فوزي مكاوي وآخرون، مصر تحت حكم الرومان: سلسلة تاريخ وحضارة اليونان والرومان، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ١١٤؛ أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ص ٢٠٦.

(٣) *BGU* I 119(AD175 Arsinoite).

إقرارات تعداد الكهنة:

وبشكلٍ خاص كان الكهنة في إقرارات تعدادهم يشيرون إلى مهنتهم وتمتعهم بوضع قانوني ومالي مميز عن غيرهم من المصريين(١)؛ فالكهنة الذين سجلت أسماؤهم في القبائل الخمسة للكهنة بواسطة كاتب المعبد أعفوا إعفاءً كاملًا من دفع ضريبة الرأس، أما الآخرين فقد دفعوا ضريبة الرأس بقيمتها المخفضة(٢).

ومن خلال إحدى إقرارات تعداد إقليم "أوكسيرينخوس"، نجد أن كاهنًا يدعى "أوريون"(*Orion*)، من كهنة الإلهة إيزيس تقدم بإقرار تعداد في سنة ٢٠م، يذكر فيه الآتي:

"**إلى يوتيخيديس** (*Eutychides*) **وثيون** (*Theon*)، **سكرتيري المنطقة والقرية، من أوريون** (*Orion*) **بن بيتوسيريس** (*Petosiris*)، **كاهن ايزيس كبيرة الآلهة**(*Isis*)، **من مَقَام الأخوين، الذي يقع في السرابيوم** (*Sarapeum*) **في أوكسيرينخوس في شارع ميروبالانوس** (*Myrobalanos*). **هناك أشخاص يقيمون في المنزل الذي امتلكه أنا وزوجتي....**"(٣).

القسم في نهاية إقرارات التعداد:

ونظرًا لأهمية البيانات الواردة في إقرارات التعداد في تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في الهرم الاجتماعي، فإن المسؤولية عن صحة هذه البيانات كانت تقع كاملةً على مقدم الإقرار الذي كان يؤكد في نهاية إقراره على صحتها ويقسم بقسم (ὅρκος) على ذلك، ففي إحدى إقرارات التعداد نجد المقر يقسم بالآتي:

---

(١) *BGU*. III. 706(AD117/8 Soknopaiou Nesos); *P.Oxy*. II 254(cAD20 Bagnall., and Frier., *TheDemography of Roman Egypt*,22.

(٢) *BGU*. III. 706(AD117/8 Soknopaiou Nesos); A. Monson, 'Priests of Soknebtunis and Sokonopis: P. BM EA 10647', *JEA* 92(2006), 208; Nelson, *Status Declarations in Roman Egypt*, 62.

(٣) *P.Oxy*. II 254(cAD20 Oxyrhynchus)

"....وأقسم بسَعَادَة الإمبراطور"قيصر تيتوس إيليوس هادريانوس أنتونينوس أغسطس بيوس" (*Caesar Titus Aelius Hadrianus Antoninus Augustus Pius*) ، وبـ"هيراكليس"(*Heracles*) إله الإقليم، بأنني قدمت الإقرار سالف الذكر بأمانة وصدق ولم أقول كذب، ولم أحذف أي شخص يجب أن أقر به، ولم استغل هوية الأسماء، ولم أقدم أي شخص للفحص في شخصية أخري، وإلا أتحمل عواقب حنث القسم...."(١).

يتضح لنا من خلال هذا القسم أن بعض المُقَّرِين كانوا يقرون ببيانات خاطئة، للحصول على وضع قانوني ومالي مميز في المجتمع بطريقة غير قانونية، وللتهرب من دفع الضرائب أو القيام بالخدمات الإلزامية، وذلك بعدم إقرارهم بكل أسماء المقيمين معهم في المنزل، أو باستغلالهم لهوية الأسماء، أو تقديم شخص للفحص في شخصية أخرى. وفضلًا عن ذلك فإن هذا الإقرار يظهر الوعي القانوني لدى الأفراد وإدراكهم بالعقوبات التي قد تلحق بهم في حال تقديم إقرارات تحتوي على بيانات خاطئة.

مراجعة وتحديث سجلات التعداد:

ولكي تكون الإدارة على علم بأي تغيير قد يطرأ على الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في المجتمع، قامت بمراجعة وتحديث سجلات التعداد بشكل سنوي بواسطة موظف القرية أو المركز(٢)، وذلك بحذف أسماء المتوفين الذين كانوا ملزمين بدفع ضريبة الرأس(٣)، ونقل أسماء الأشخاص الهاربين من دفع الضرائب إلى قوائم الهاربين(٤)، وإضافة أسماء المواليد الذين ولدوا بعد إجراء أخر تعداد إلى سجلات

(١) *Sel.Pap*. II. 312(147A.D)LL. 22-34.= *P. Bad*. IV. 75 b.; *P.Tebt*. II. 321.

(٢) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ص ٢٢٩.

(٣) *BGU* I 59)(AD 174/5 Arsinoite)= *BGU* IV 1069 V)(AD243/4 Arsinoite); J. M. S. Cowey and D. Kah, 'Bemerkungen zu Texten aus BGU I–IV. Teil I: Zensusdeklarationen',*ZPE* 163 (2007), 153-156.

(٤) *P.Mich*. X 580(ca. 19/20 A.D.)

التعداد، وبذلك فإن سجلات التعداد كانت تبقى دائمًا متطابقة بشكل كبير مع الواقع السكاني[١].

ويتضح لنا مما سبق، أن التعداد كان أهم الوسائل التي استخدمتها الإدارة الرومانية في تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في المجتمع، والتمييز بينهم في الحقوق والواجبات، وتحصيل مستحقاتها من الأفراد المسؤولين عن تأديتها، وحافظت من خلاله على الهرم الاجتماعي دون تغيير[٢]، فضلًا عن ذلك كان التعداد مستندًا أساسيًا يستخدمه الأفراد في فحص الحالة لإثبات حقهم في الحصول على وضع قانوني ومالي خاصةً فيما يتعلق بالإعفاء الجزئي من ضريبة الرأس، ولذلك فإن الإدارة الرومانية فرضت عقوبات رادعة على الأفراد الذين يتخلفون عن تقديم إقرارات تعدادهم إلى الجهة المسؤولة عن التعداد[٣].

---

(١) Brunt, *JRS* 65, 138; Bagnall, and Frier., *TheDemography of Roman Egypt, 2.*

(٢) زكى على، مقننة الإديولوجوس، ص ٢٢٩.

(٣) *BGU* V 1210(cAD150 Theadelphia) LL. 150–152; Hübner, *The Family in Roman Egypt, 23–24.*

الفصل الثامن:

ضبط أسماء السكان وألقابهم

الهدف من ضبط الاسماء والالقاب:

لجأ الرومان إلى ضبط أسماء السكان وألقابهم لتحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد داخل الهرم الاجتماعي، لأن الاسم واللقب يحددان الطبقة التي ينتمي إليها الشخص، ومدى مسؤوليته عن دفع الضرائب وتأدية الخدمات الإجبارية والالتزامات الأخرى، ولذلك وضعت الإدارة الرومانية إجراءات محددة لتغيير الاسم أو اللقب، وفرضت عقوبات صارمة على الأشخاص الذين ينتهكون هذه القواعد[١].

الإديوس لوجوس ودوره في ضبط الاسماء والالقاب:

وقد عهدت الإدارة الرومانية بإجراءات تغيير الاسم واللقب إلى "الإديوس لوجوس" (*Idios Logos*)، الذي كان يشرف على تسجيل وتغيير الأسماء والألقاب، وكان الراغبون في تغيير أسمائهم أو ألقابهم يتقدمون إليه بالتماسات يطلبون فيها تغيير أسمائهم أو ألقابهم[٢]، ومن خلال إحدى الوثائق البردية التي يعود تاريخها إلى سنة ١٩٤م، نجد أحد الأشخاص يدعى "يودايمون"، يتقدم بالتماس إلى "الإديوس لوجوس"، لتغيير اسمه المصري إلى اسم إغريقي، وجاء نص الالتماس كالآتي:

"**إلى سعادة الإديولوجوس كلاوديوس أبوللونيوس من يودايمون بن بسويس و تياثريس من... في إقليم نيسوت، أرغب يا سيدي، أن تأذن لي من الآن فصاعدًا بأن يكون أسمي هو يودايمون بن هيرون بدلًا من ابن بسويس، وابن ديديمي بدلًا من ابن تياثريس، دون الإضرار بالمصلحة العامة أو الخاصة، لذلك فإنني قد أحظى بعطفكم. وداعًا.**

---

(١) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ص ٢٢١؛ سهير زكي بسيوني، طبقة المواطنين الرومان في أوكسيرنخوس، ص ٤٥.

(٢) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ص ٢٢١؛

P. V. Minnen, 'A Change of Names in Roman Egypt after AD 202? A Note on P. Amst. I 72', *ZPE* 62(1986): 90.

"أنا يودايمون قدمت هذا الطلب. في العام الثاني من حكم الإمبراطور القيصر لوكيوس سبتميوس سيفيروس برتيناكس أغسطس، اليوم الرابع من أيام النسيء من شهر مسرى(١).

وقد كان رد "الإديولوجوس " على هذا الالتماس، بأن قام بالتأشيرة عليه، وأردف هذه التأشيرة بجملة:

(التأشيرة) "إذا لم يوجد إضرار بالمصلحة العامة أو الخاصة، اسمح بذلك. ينفذ"(٢).

واستكمالًا لإجراءات تغيير الاسم، فإن الالتماس رفع إلى الاستراتيجوس(٣)، الذي بدوره رفعه إلى الكاتب الملكي لإقليم نيسوت(٤)، قائلًا له:

" هيفايستيون أيضًا يدعى أمونيموس، الكاتب الملكي لإقليم نيسوت، القائم بأعمال الاستراتيجوس، إلى هيفايستيون أيضًا يدعى أمونيموس، الكاتب الملكي للإقليم السالف الذكر، صديقي العزيز، تحياتي، نسخة من طلب قدم إلى من " يودايمون" بن بسويس و تياثريس، من ...، وتم تأشيرة من صاحب السعادة الإديولوجوس كلاوديوس أبوللونيوس، بشأن السماح بتغيير الاسم، مرفق إليكم طلبه، صديقي العزيز، وذلك للإحاطة علمًا واتخاذ اللازم. مع السلامة. السنة الثالثة من حكم الإمبراطور القيصر لوكيوس سبتميوس سيفيروس برتيناكس أغسطس، شهر هاتور"(٥).

---

(١) *Sel. Pap.*II 301.Column 5. LL.12-22(AD194unbekannt)= *W.Chr.* 52= *SB* XVIII 13175.

(٢) *Sel. Pap.*II 301.Column 5. LL.20-22.

(٣) في هذا الطلب نجد أن الاستراتيجوس بصفته المؤقتة-قائم بأعمال استراتيجوس- يخاطب بشكل رسمي نفسه ككاتب ملكي دائم. ويبدو أن هذا الأمر شيء نادر جدًا. انظر:

A.S. Hunt and C.C. Edgar, *II,Official Documents,*(London 1934), 314.

(٤) يقع إقليم نيسوت (Νεσὺτ) في شمال شرق الدلتا.

Hunt and Edgar, *II, Official Documents*, 1934, 313.

(٥) *Sel. Pap.*II 301.column 4. LL.1-8.

ويتضح لنا من خلال هذا الالتماس الحرص المشترك بين مقدمي هذه الالتماسات وبين المسؤولين عن تغيير الأسماء والألقاب، بسبب الدور الهام الذي لعبه الاسم واللقب في تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد، والحفاظ على المصلحة العامة أو الخاصة، فمن ناحية قام الملتمسون بذكر عبارة"، دون الإضرار بالمصلحة العامة أو الخاصة"، وذلك حتى يحظى التماسهم بالقبول والموافقة، خاصةً أن المسؤولين عن هذا الإجراء، كانت المصلحة العامة هي شغلهم الشاغل في المقام الأول والأخير، والتي من الممكن أن تتعرض للضرر نتيجةً لتغيير الاسم أو اللقب، ولذلك كانت موافقة المسؤولين عن هذا الإجراء مشروطة دائمًا بشرط عدم الإضرار بالمصلحة العامة أو الخاصة.

جريمة انتحال الاسماء والالقاب:

أما انتحال الأسماء أو الألقاب بشكل غير قانوني ودون استئذان السلطات المختصة[١]، فإن ذلك كان يُعد جريمة "انتحال للأسماء والألقاب[٢]، وقد انتشرت هذه الجريمة على نطاق واسع في مصر في عصر الرومان، وهي نتاج لإرث ورثه الرومان بسبب الزواج المختلط الذي حدث بين العنصرين المصري والإغريقي في العصر البطلمي، وظهور مجموعة من الأبناء الذين يجمعون بين الثقافتين المصرية والإغريقية، وحملوا أسماء مصرية وإغريقية في آن واحد[٣].

---

(١) بمعني ينتحل اسمًا أو لقبًا. انظر:

Liddell and Scott, S.V. χρηματίζειν , 2005.

(٢) *BGU* V 1210 (cAD150 Theadelphia)L. 117, 139;

وانظر أيضًا: زكي علي، مقننة الإديولوجوس، ص ٢٠٣.

وعلى ذلك فإن هذا المصطلح يعني انتحال لقب أو تسمية بشكل غير قانوني،يخالف القواعد القانونية المتعارف عليها. انظر:

Liddell and Scott, S.V. ἀκαταλλήλια, 48

(٣) سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق ولآثار ٣٠ق.م-٦٤٢م، ص ١٠٦.

منذ العصر البطلمي، كان اتخاذ الأسماء الإغريقية بالنسبة للمصريين، أحد الوسائل الرئيسية لتحسين وضعهم الاجتماعي وتأهيلهم لتولي الوظائف الحكومية، لذا أتخذ بعض المصريين أسماءً إغريقية لأنفسهم ولأبنائهم، بجانب أسمائهم المصرية. انظر:

عقوبة انتحال الاسماء والالقاب:

ونظرًا لتأثير جريمة انتحال الأسماء والألقاب بشكل سلبي على عملية تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في الهرم الاجتماعي، فإن القانون نص على عقوبات رادعة لكل شخص يقوم بارتكاب هذه الجريمة، فقد نصت بعض قواعد الخزانة الخاصة على عقوبات رادعة على الأشخاص الذين يرتكبون هذه الجريمة[١]، فقد نصت القاعدة الثانية والأربعون من قواعد الخزانة الخاصة على الآتي:

" **أولئك الذين لقبوا أنفسهم بطريقة غير سليمة (في الوثائق العامة والخاصة)، وأولئك الذين تعاونوا معهم في تلك المسألة، تتم مصادرة ربع أملاكهم**"[٢].

أما القاعدة الثالثة والخمسون من قواعد الخزانة الخاصة، فقد حَظَّرَت على السيدة المصرية المتزوجة من جندي مسرّح من تلقيب نفسها بأنها مواطنة رومانية، حيث أن ذلك يجعلها عرضة للعقاب، وقد جاء نص هذه القاعدة القانونية كالآتي:

"**إذا تزوجت مصرية من جندي مسرّح، ولقبت نفسها كمواطنة رومانية، وقعت تحت طائلة القانون الخاص بانتحال الأسماء والألقاب**[٣].

Fischer-Bovet, *Army and Society in Ptolemaic Egypt*, 55-56.

(١) زكي على، مقننة الإديولوجوس، ص٢٠٣.

(٢) *BGU* V1210 (cAD150 Theadelphia)LL. 117-118; Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*, 714;

وراجع أيضًا: زكي على، مقننة الاديولوجوس، ص ٢٠٢.

تشير بعض الوثائق البردية (*BGU*.VI. 1213 and 1250) إلى أن انتحال الأسماء أو تغيير الموطن دون إذن من السلطات المختصة في العصر البطلمي كانت عقوبته الإعدام، أما في العصر الروماني، فإن عقوبة هذه الجريمة هي مصادرة ربع أملاك المنتحل ومن يعاونه في ذلك. انظر:

Taubenschlag, *The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the Papyri, 332 BC-640 AD*, 363.

(٣) *BGU* V1210 (cAD150 Theadelphia)LL.138-139; Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*, 715.

وراجع أيضًا: زكي على، مقننة الاديولوجوس، ص ٢٢٢.

بينما نصت القاعدة القانونية السادسة والخمسون من قواعد إدارة الخزانة الخاصة على منع الجنود من تسمية أنفسهم بأسماء رومانية طالما أنهم لم يسرحوا تسريحًا مشرفًا من الخدمة العسكرية، وقد نصت هذه القاعدة على الآتي:

"**الجنود الذين لم يحصلوا على التسريح القانوني، إذا لقبوا أنفسهم بأسماء رومانية، تتم مصادرة ربع أملاكهم**"(١).

ويبدو لنا من خلال هذه القاعدة القانونية أن بعض الجنود المسرّحين تسريحًا غير مشرفًا، كانوا يرتكبون جريمة انتحال الأسماء والألقاب للحصول على وضع قانوني ومالي مميز في الهرم الاجتماعي، وذلك باتخاذهم أسماء رومانية قبل التسريح القانوني، رغم مخالفة ذلك لقواعد للقانون الروماني، ويضيف "ألستون" (*Alston*) إلى أن انتحال الأسماء والألقاب لم يتوقف على الجنود الذين لم يسرّحوا تسريحًا مشرفًا فقط، بل إن بعض جنود القوات المساعدة، كانوا يتخذون لأنفسهم أسماء رومانية أثناء فترة تجنيدهم، وذلك كان يعد أيضًا مخالفًا لضوابط منح الأسماء الرومانية(٢).

اسم القبيلة كدليل على المواطنة الرومانية بالمولد:

ومن ناحية أخرى، فإن المواطنين الرومان الأصليين كانوا يعمدون إلى تمييز أنفسهم عن المواطنين الرومان الجدد بكتابة أسماءهم مضافًا إليها اسم القبيلة التي ينتمون إليها (*Tribus*)، لكي يبرهنوا بشكل واضح على أنهم مواطنون رومان بالمولد وليس بالمنح أو الاكتساب، وللأسف لم نعثر إلا على عدد قليل من أسماء هؤلاء

---

(١) *BGU* V1210(cAD150 Theadelphia)LL. 146-147; Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*, 711-717; Lewis, *Life in Egypt under Roman Rule*, 32-33; 157 (Auszüge von § 8-63; Rowlandson, *Women and Society*, 27.

المقصود بالتسريح القانوني من الخدمة العسكرية هو التسريح المشرف (*honesta missio*)، وهو النوع الوحيد من بين الأنواع الأخرى للتسريح الذي مُنح من خلاله الجندي المسرح على المواطنة الرومانية والاسم الروماني، ولذلك فإن انتحال الجندي المسرح لصفة المواطنة في حال تسريحه تسريحًا غير مشرفًا (*ignominiosa missio*)، كان بمثابة مخالفة يعاقب عليها القانون. انظر:

زكي على، مقننة الإديولوجوس، ص ٢٢٦.

(٢) Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt*, 64ff.

الأشخاص، فاسم الشخص ملحقًا به اسم قبيلته كان يؤكد على أن هوية الشخص مواطن روماني بالمولد وليس بالمنح(١).

ومن الوثائق البردية التي ذكر فيها مواطنون رومان اسم القبيلة التي ينتمون إليها، وثيقة بردية تعود إلى ٢٦ فبراير ١٣ق.م، حيث نجد أحد المواطنين الرومان، يدعي "ماركوس ايميليوس" (*M. Aemilius*)، بن ماركوس(*Marcus*) ويذكر أنه من قبيلة "كاللِيديا" (*Callidia*)، وقام بالتعاقد مع امرأة يهودية تسمى ثيودوتي (*Theodote*)، لكي تعمل مرضعة لأطفاله(٢).

ومن خلال وثيقة بردية أخرى نجد أن كلًا من "ماركوس كوتيوس اتيكوس"(*M. Cottius Atticus*) وشخصًا آخر يدعى "كانوليوس (*Canuleius*)، تم تعيينهما من خلال وصية رومانية رسمية، أوصياء قانونين على "لوكيوس بومبونيوس روفوس" (*L. Pomponius Rufus*) من قبيلة "بوليا"(*Tribus Pollia*)، الذي انتهت الوصاية عليه عندما بلغ سن الرشد، وأخذ وثيقة تثبت ذلك من الارخيديكاستيس السكندري(٣).

---

(١) Jördens, in Riggs (ed), *The Oxford Handbook of Roman Egypt* 15, 250–251.

كان المواطنون الرومان يحملون أسماء ثنائية أو ثلاثية، والاسم الثلاثي للمواطن الروماني تكون من اسمه الشخصي (*Praenomen*)، واسم عشيرته (*Nomen*)، وكنيته (*Cognomen*)، ومع منح الإمبراطور كاراكللا المواطنة الرومانية لجميع سكان الإمبراطورية الرومانية في سنة ٢١٢م، فإن الأجانب في الولايات اتخذوا بشكل ملحوظ الاسم الثلاثي الروماني، لتمييز أنفسهم عن الأفراد الذين لم يحصلوا على المواطنة الرومانية. انظر:

B. Salway, 'What's in a Name? A Survey of Roman Onomastic Practice from c. 700 B.C. to A.D. 700', *JRS* 84(1994), 127–129, 133; Berger, *TAPhA*. 43, S.V, Missio, 584.

وأيضًا كان الجنود المسرّحين تسريحًا مشرفًا، بعد عودتهم إلى قراهم، يحرصون على اتخاذهم أسماء رومانية ثلاثية (*Tria nomina*)، لتمييز أنفسهم عن باقي السكان، وإشارة إلى تمتعهم بالوضع القانوني والمالي الخاص بالمواطنين الرومان، وإعفائهم من ضريبة الرأس. انظر:

Rowlandson, *Women and Society in Greek and Roman Egypt*, 86.

(٢) *BGU*. IV. 1106(13BC Alexandria) LL.1–3; *M.Chr*. 108= *C.Pap. Hengstl* 77= *C.Pap.Jud*. II 146

(٣) *BGU*. IV. 1113.(14BC Alexandria).

ويتضح مما سبق أن الإدارة الرومانية في مصر كانت شديدة الاهتمام بمسألة ضبط أسماء وألقاب السكان، لما لهذه المسألة من أهمية كبيرة في تحديد الأوضاع القانونية والمالية للأفراد في المجتمع، والحفاظ على حقوق وامتيازات الطبقات العليا في الهرم الاجتماعي، مما جعلها لا تتراخَ في إنزال عقوبات قاسية على كل من يقوم بانتحال الأسماء أو الألقاب[1].

(1) مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢٢١-٢٢٢.

الفصل التاسع:

الدبلوما العسكرية

مقدمة:

تُعد الدبلوما أو البراءة العسكرية (*Diploma Militare*) الوسيلة الأساسية التي استطاع الجنود المسرّحون من خلالها الحصول على وضع قانوني ومالي مميز داخل الهرم الاجتماعي، وذلك بحصولهم على المواطنة الرومانية لأنفسهم ولزوجاتهم ولأبنائهم ولأحفادهم بموجب الدبلوما العسكرية، فقد كان الجنود المسرّحون يستخدمون الدبلوما كمستند أساسي في عملية فحص الحالة لتدعيم طلبهم في الحصول على الوضع القانوني والمالي للمواطنين الرومان(١).

والدبلوما العسكرية هي نسخ رسمية من الدساتير الإمبراطورية التي نصت على امتيازات الجنود المسرّحين، وهذه الدبلوما كانت تحفر على ألواح برونزية (*Tabulae Aeneae* أو *Aereae*)، وتعطى للجنود المسرّحون تسريحًا مشرفًا من القوات المساعدة أو الأسطول–بعد قضاء مدة الخدمة العسكرية بشرف لمدة خمسة وعشرين عامًا أو أكثر–، وكانت تكتب باللغة اللاتينية(٢).

ويرجع نظام منح الدبلومات العسكرية (*Diplomata Militaria*، *Diplomata*) للجنود المسرّحين إلى عهد الإمبراطور "كلاوديوس"(*Claudius*)،

---

(١) Erdkamp, *A Companion to the Roman army*, 291.

(٢) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Diploma militare. 438; Taubenschlag, *The Law of Graeco-Roman Egypt in the Light of the Papyri*, 621.; Erdkamp, *A Companion to the Roman army*,291, 301, 419,442.

وكانت الدبلوما العسكرية، عبارة عن لوحين مستطيلين، كل منهما موصول بالآخر بسلك يمر بين ثقبين بطرفي اللوحين وثقبين آخرين في الوسط، وحررت الدبلوما في صورتين إحداهما على الوجه الداخلي، والأخرى على الوجه الخارجي ثم يطوى اللوحان. انظر:

حسن الإبياري وحسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، ٥٦–٥٧؛

Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt: A Social History*, 215.

وكان جنود القوات المساعدة يحصلون في حالات استثنائية على المواطنة الرومانية قبل قضاء مدة الخدمة العسكرية كمكافأة لهم، فقد منح الإمبراطور "تراجانوس" المواطنة الرومانية لإحدى وحدات القوات المساعدة في "داكيا"، وهم في ميدان المعركة، نظير شجاعتهم البطولية في القتال. انظر:

*C.Pap.Lat.*160; Erdkamp, *A Companion to the Roman army*,442;

حيث أصدر مرسومًا رسميًا (*Constitutio*) نقش على البرونز، تضمن هذا المرسوم إعطاء امتيازات قانونية للأشخاص الذين خدموا في القوات المساعدة أو الأسطول، وتم عرض هذا المرسوم في مكان بارز في روما، وكان الحاصلون على هذه الامتيازات يأخذون نسخة مستخرجة من هذا المرسوم على قطعة برونز مزدوجة، يشهد عليها سبعة شهود، وعرفت هذه النسخة باسم الدبلوما العسكرية، وتوقف منح الدبلومات العسكرية للقوات المساعدة عند بداية القرن الثالث الميلادي(١).

ويعد دستور الإمبراطور "دوميتيانوس" (*Domitianus*) الصادر في عام (٨٧-٨٨م) أحد الدساتير الإمبراطورية التي منحت الامتيازات للجنود المسرحين تسريحًا مشرفًا من الخدمة، سواء الذين ينتمون منهم إلى القوات المساعدة أو الأسطول، وهذه الامتيازات تمثلت في حق الجندي المسرّح في الحصول على المواطنة الرومانية لنفسه ولزوجته ولأبنائه وأحفاده، وحقه في الحصول على حق الزواج الكامل الأهلية(٢).

ولم يحصل الجنود المسرَّحون من الفرق الرومانية على دبلومات عسكرية، لأنهم كانوا أما مواطنون رومان بالمولد، أو سكندريون التحقوا بالخدمة العسكرية في الفرق الرومانية في مصر، وحصلوا على المواطنة الرومانية بمجرد تجنيدهم في الفرق، ولذلك لم يكونوا في حاجة إلى الحصول على دبلوما عسكرية(٣).

أما الجنود المسرّحون من القوات المساعدة أو أولئك الجنود الذين كانوا جنودًا في القوات المساعدة وتم تحويلهم إلى فرق أساسية، كانوا في حاجة إلى

---

(١) Erdkamp, *A Companion to the Roman army*, 212, 419, 442; Gilliam, *ICS* 3, 118.
كان الدافع وراء ما قام به "كلاوديوس" من منح المواطنة الرومانية للجنود المسرحين هو مكافأتهم على الخدمات الهامة التي أسدوها لروما طيلة فترة خدمتهم العسكرية. انظر:

(٢) *W.Chr.* 463 (A.D. 87-88)LL.10-20 = *C.Pap.Lat.* 104= Johnson, *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*,677;
حسن أحمد حسن أحمد، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام ٢١٢م، ٧٩.

(٣) *P.Mich.* VII 432 (AD 75 - 99)=*C.Pap.Lat.* 105; *P.Ryl.* IV 611(AD 87 Philadelphia.

الحصول على الدبلوما العسكرية، وذلك للتأكيد على أنهم سرحوا تسريحًا مشرفًا من الخدمة العسكرية، ولكي يحصلوا على المواطنة الرومانية وما يصاحبها من امتيازات(١).

وعلى ذلك، يبدو أن الجنود المسرّحين من الفرقة "الديوطارية الثانية والعشرين" في مصر (*Legione xxii Deiotariana*)، الذين اخذوا دبلوما أو نسخة من مرسوم الإمبراطور " دوميتيانوس"(٨٨-٨٩م)، منصوص فيها منحهم المواطنة الرومانية ولأبنائهم وحق الزواج الكامل الأهلية (*Conubium*) كانوا في الأصل جنود في القوات المساعدة ثم تم تحويلهم للخدمة في الفرق الرومانية، لذلك كان من الضروري أن يحصلوا على هذه الدبلوما العسكرية(٢).

وقد نصت الدبلوما العسكرية على العديد من الامتيازات بالنسبة للجنود المسرّحين، منها حق الحصول على المواطنة الرومانية (*Civitas Romana*) للجندي المسرّح ولزوجته ولأبنائه وأحفاده- إذا كانوا من أبوين ينتميان إلى طبقة المواطنين الرومان-، وقد ظل أبناء وزوجات الجنود المسرّحون يتمتعون بامتياز الحصول المواطنة الرومانية حتى سنة ١٤٠م، حيث ألغى الإمبراطور "انتونيوس بيوس" (*Antoninus Pius*)، حصول أبناء أو زوجة الجندي المسرح على المواطنة الرومانية، وبعد هذا التاريخ لم تنص الدبلومات العسكرية على منح أبناء الجنود

---

(١) نفتالي لويس، الحياة في مصر تحت الحكم الروماني، ٥٠.

(٢) *P.Mich*. VII 432 (AD 75 – 99)= *C.Pap.Lat*.105; Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt*, 215.

اشتق اسم الفرقة الديوطارية من اسم الملك ديوطاروس (*Deiotarus*) ملك جلاتيا الذي وقف خلال الحروب الأهلية بجانب بومبي ثم تخلى عنه وانحاز إلى جانب قيصر، وقد لقبت الفرقة الثانية والعشرون بهذا اللقب بعد انتصارها على مملكة جلاتيا، وقد توفي الملك ديوطاروس في سنة ٤٠ق.م. انظر:

L.Keppie , *Legions and Veterans: Roman Army Papers 1971-2000,* (Stuttgart,200), 225.

المسرحين المواطنة الرومانية، واقتصر منح المواطنة الرومانية على الجندي فقط دون منحها لزوجته أو أبنائه(١).

وأيضًا تضمنت الدبلوما العسكرية منح حق الزواج الكامل الأهلية (*Ius Conubii* أو *Conubium*) للجنود المسرّحين سواء كانوا متزوجين أم غير متزوجين، شريطة أن يتزوج الجندي المسرّح بامرأة واحدة فقط، وأيضًا تضمنت الدبلوما العسكرية حق الجنود المسرّحين في تحويل زواجهم غير الشرعي أثناء فترة الخدمة العسكرية إلى زواج قانوني كامل الأهلية(٢).

فقد كان الجنود أثناء فترة الخدمة العسكرية– التي كانت تصل إلى ربع قرن أو يزيد– يتزوجون من نساء الأهالي المقام على أرضهم المعسكر، رغم أن ذلك كان مخالفًا للقانون الروماني، الذي حظر زواج الجنود أثناء الخدمة العسكرية، ولذلك فإن هذا الزواج كان زواج غير شرعي من وجهة نظر القانون الروماني، والأطفال الذين

---

(١) Phang, *The Marriage of Roman soldiers (13 BC–AD 235): law and family in the imperial army, 53–54*; Gilliam, *ICS 3*,118–119; Erdkamp, *A Companion to the Roman army*, 212, 442; Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt,* 215; Mann and Roxan, *Britannia* 19, 345; Aly, *The Roman Veterans in Egypt*, 67.

وعن الوثائق البردية التي تشير إلى حصول الجنود المسرّحين تسريحًا مشرفًا على المواطنة الرومانية لأنفسهم ولأبنائهم، يمكن الرجوع إلى:

PSI XI 1183(AD 47/8 Oxyrhynchus)=*P.Thomas* 6= *PSI* XI 1183= *C.Pap.Lat*. 170; Turner, *HSCP* 79,13.

(٢) Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Diploma Militare. 438; Erdkamp, *A Companion to the Roman army*, 419; Alston, *Soldier and Society in Roman Egypt*, 215.

وانظر أيضًا: فاروق حافظ القاضي، المواطنون الرومان في مصر في القرنين الأول والثاني الميلاديين ملاحظات على الوثائق، ومنهج لدراسة أوضاعهم، ٧٧.

وقد كان حق الزواج شرطًا أساسيًا لصحة الزواج عند الرومان، وفي البداية كان هذا الحق حكرًا على النبلاء فقط، وذلك حتى صدور قانون "ليكس كانوليا" (*Lex Canuleia*)، حيث سمح للعامة بموجب هذا القانون، بالزواج من النبلاء، وبعد ذلك امتد حق الزواج ليشمل الأجانب، سواء بشكل عام أو خاص، وكان. عند الرومان. انظر:

Berger, *TAPhA*. 43, S.V. Ius conubii., 527.

يولدون من هذا الزواج أطفال غير شرعيين، ولم يتم الاعتراف بمثل هذا الزواج إلا بعد انقضاء مدة الخدمة العسكرية والتسريح بشكل مشرف(١).

وقد سجلت لنا إحدى الدبلومات العسكرية التي تعود إلى ٣٠ يونيه سنة ١٠٧م، أن الإمبراطور "تراجانوس" منح عدة امتيازات قانونية للجنود المسرّحين تسريحًا مشرفًا من سلاحي الفرسان والمشاة، والذين خدموا لمدة خمسة وعشرين عامًا أو أكثر، وتضمنت هذه الامتيازات القانونية، حق المواطنة الرومانية لهم ولأبنائهم ولأحفادهم، وحق الزواج أو الاعتراف بقانونية زواجهم أثناء فترة الخدمة العسكرية(٢)، وجاء نص الدبلوما كالآتي:

"**الذين أدوا الخدمة لمدة خمسة وعشرين عامًا أو أكثر من ذلك وسرحوا بشرف، منحوا وأبنائهم وأحفادهم حق المواطنة، ومنحوا أيضًا حق الزواج**"(٣).

ولأهمية الدبلوما العسكرية في الحصول على الامتيازات القانونية والمالية بالنسبة للجنود المسرّحين، فإنهم كانوا يستعجلونّ الحصول عليها، فعلى الفور بعد إعلان الوالي في الإسكندرية عن نسخة الدستور الإمبراطوري الخاص بامتيازات بالجنود المسرّحين الصادرة في عهد كلاوديوس، تدفق الجنود المسرّحون إلى الإسكندرية كالسيل المنهمر، للحصول على الدبلوما العسكرية الخاصة بهم، لتقديمها إلى لجنة فحص المستندات(٤).

وبعد حصول الجندي المسرّح على الدبلوما العسكرية، كان يتقدم بطلب فحص مرفقة به الدبلوما العسكرية إلى لجنة فحص المستندات- التي لم تقبل طلبات فحص إلا من الجنود المسرحين تسريحًا مشرفًا (*missi honesta missione*)-

---

(١) مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ٢٠٣-٢٠٦؛

Turner, HSCP 79, *13*; Potter, *A Companion to the Roman Empire*, (Oxford, 2010), 223.

(٢) P. Allison, 'Soldiers' Families in the Early Roman Empire', in B. Rawson, (ed.), *A Companion to families in the Greek and Roman worlds*,(Oxford, 2011), 167.; Phang, *The Marriage of Roman soldiers,* 54.

(٣) *C.Pap.Lat*. XIII. 1655(30 june 107) LL- 14-19.

(٤) حسن الإبياري وحسين يوسف، تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي في عصر الرومان، ٥٧.

لإثبات أحقيته في الحصول على المواطنة الرومانية[١]. وقد أعطت الدبلوما للجندي المسرح الحق في تقديم التماس إلى السلطات المختصة، لإجراء فحص مستندات لأبنائه غير الشرعيين، لكي يتمكنوا من الحصول على الوضع القانوني والمالي الخاص بالمواطنين الرومان في حالة اجتيازهم لعملية فحص الحالة[٢].

---

(١) Mann and Roxan, *Britannia* 19, 342-344;

انظر أيضًا: فاروق حافظ القاضي، المواطنون الرومان في مصر في القرنين الأول والثاني الميلاديين ملاحظات على الوثائق، ومنهج لدراسة أوضاعهم، ٨٣-٨٤.

(٢) مرفت جابر، ظاهرة الأبناء غير الشرعيين في مصر في العصر الروماني من خلال أوراق البردي، ٥٨-٥٩.

كان زواج الجندي أثناء فترة الخدمة العسكرية عند الرومان شيئًا غير قانونيًا، لذلك كان الأبناء ثمرة هذا الزواج أبناء غير شرعيين من الناحية القانونية الرومانية، والزوجة غير الشرعية ليس من حقها المطالبة بالمهر في حال انحلال هذه العلاقة الزوجية غير الشرعية سواء بسبب موت الزوج أو الانفصال. انظر: *Cass.Dio*. LX.24.3; Phang, *The Marriage of Roman soldiers,* 49.